الجزء الاول من كتاب

امالى السيد المرتضى

الشريف أبى القاسم على بن الطاهر أبى أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ رضى الله عنه

في التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م)

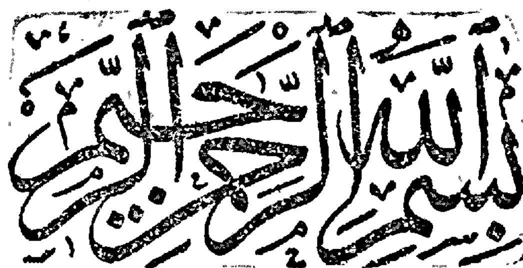
(علي نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي)



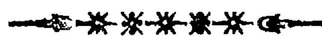
تنسيق فريق عمل ملتقى أهل الأثر

(طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل)



(الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين)

قال السيد المرتضى علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم عليّ بن الطاهر ذى المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهم وقدّس الله أرواحهم



المجلس الأول ١

[تأويل آية] ‥ قال الله تعالى (وإذا أَرَدنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فيها) الآية ‥ فى هذه الآية وجوه عدّة من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه ‥ أولها ان الاهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فاذا كان مستحقاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً وانما يكون قبيحاً اذا كان ظلماً فتعلق الارادة به لا يقتضى تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضى ذلك واذا علمنا بالأدلة تنزيه القديم تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق إلاّ بالاهلاك الحسن ‥ وقوله تعالى (أمرنا مترفيها) المأمور به محذوف وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وان وقع بعده ويجرى هذا مجرى قول القائل أمرته فعصى ودعوته فأبى والمراد إنى أمرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول ‥ ويمكن أن يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها أن يقال أيّ معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك مستحق

بغير الفسق المذكور فى الآية فلا معنى لقوله تعالى اذا أردنا أمرنا لأن أمره بما يأمر به لايحسّن ارادته العقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك بمخالفة الأمر المذكور فى الآية فهذا هو الذي يأبونه لأنه يقتضى انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق ذلك العقاب ٠٠ والجواب عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذى حسّن قوله تعالى واذا أردنا أمرنا هو ان يكون الامر بالطاعة والايمان اعذاراً الى العصاة وانذاراً لهم وايجابا واثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوه وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعظ والوعيد والانذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ وما كنّا معذّبين حتى نبعثَ رسولا ﴾ ٠٠والوجه الثانى فى تأويل هذه الآية ان يكون قوله تعالى أمرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله تعالى واذا أردنا ويكون تقدير الكلام واذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها انا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها وتكون اذا على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر فى الآية للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدلالة عليه ٠٠ونظير هذا قوله تعالى فى صفة الجنة ﴿حتّى اذا جاؤها وفُتِحَتْ أبوابُها وقالَ لهم خزَنَتُها سَلَامٌ عليكم طِبْتُم فادْخُلوها خالدينَ وقالوا الحمد لله الذى صدَقَنا وعدَهُ وأورَثَنا الأرضَ نتبوّأُ من الجنّةِ حيثُ نشاء فنعم أجرُ العاملين﴾ ولم يأت لإذا جواب فى طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد أيضاً لصحة هذا الجواب قول الهذلي

حتّى اذا سلَكوهُم في قُتَائِدَةٍ   شلاًّ كما تَطرُدُ الجمّالةُ الشُّرُدَا (١)

فحذف جواب اذا ولم يأت به لأن هذا البيت هو آخر القصيدة ٠٠ والوجه الثالث ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازاً واتساعا وتنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وانهم متى أُمروا فسقوا وخالفوا ويجرى ذكر الارادة ههنا مجرى قولهم اذا

---

(١) ــ قتائدة ــ ثنية أو عقبة أو كل ثنية قتائدة ــ وشلاً ــ طرداً ــ وشرداً ــ جمع شرود وشارد وهو النافر

أراد التاجر ان يفتقر أتته النوائب من كل وجهة وجاءه الخسران من كل جانب ٠٠ وقولهم اذا أراد العليل ان يموت خلّط في مأكله وتسرّع الي كل ماتتوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد فى الحقيقة شيئاً ولا العليل أيضاً لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسرانَ ومن حال هذا الهلاكَ حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجـه وكلام العرب وحي واشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبـة العليا من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة بريّا من البلاغة وكلام الله تعالى أفصح الكلام ٠٠ والوجه الرابع ان تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها اذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا اهلاكهم والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير ومما يمكن ان يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنُوا اذا قمتُم الى الصّلاةِ فاغسلوا وُجُوهَكم وأيديَكم الى المرافِق ﴾ والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلاة وقوله تعالى ﴿ واذا كنتَ فيهم فأقمتَ لهم الصلاةَ فلتقمْ طائفةٌ منهم معَك ﴾ وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصـلاة لان إقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال أمّا قراءة من قرأ الآية بالتشديد فقال أمَّرنا وقرأ من قرأها بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لايليق الا بان يكون ماتضمنته الآية هو الأمر الذى يستدعي به الى الفعل

[تأويل خبر] ٠٠ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه : قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقيَ الله وهو أجذم : قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم مفسراً لهذا الحديث فى كتابه غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المتلمس

وَمَا كُنتُ الاَّ مِثلَ قَاطِـعِ كَفِّهِ ... بكَفٍّ لَهُ اُخرَي فأَصبَحَ أَجذَمَا[1]

وقد خطّأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبا عبيد في تأويله هذا الخبر ٠٠ وقال الاجذم

(١) الملتمس هو عدى بن عبد المسيح وهو صاحب الصحيفة المشهورة التى يضرب بها المثل ورفيق طرفة الي عامل البحرين وقصتهما مشهورة وهذا البيت من قصيدة له تعد فى

وان كان مقطوع اليد فان هـذا المعني لايليق بهذا الموضـع قال لأن العقوبات من الله لاتكون الا وفقا للذنوب وبحسبها واليد لامدخل لها في نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى (الذينَ يأكُلونَ الرّبا لايقومونَ الاّ كما يقومُ الذى يتخبّطهُ الشيطانُ من المسّ) وزعم ان تأويل الآية أن الربا اذا أكلوه ثقل في بطونهم وربا فى أجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تعثّراً وتخبّلاً واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله رأيت ليلة أسرى بى قوما تقرض شفاههم وكلما قـرضت وفّيت فقلت ياجـبريل من هؤلاء فقال لي جـبريل هؤلاء خطباء أمتك تقرض شفاههم لأنهـم يقولون مالا يفعلون ٠٠ قال والاجذم في الخـبر انما هو المجذوم وانما جاز ان يسمي المجذوم أجذم لأن الجذام يقطّع أعضاءه ويشذّبها والجذم القطع ٠٠[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وقد أخطأ الرجلان جميعاً وذهبا عن الصواب ذهابا بعيـداً وان كان غلط ابن قتيبة أفحش وأقبح لأنه علّل غلطه فأخرجه الى أغاليط كثيرة ونحن نبين معني الخبر ثم نتكلم على ماأورداه ٠٠ أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب فى كلامها وإنما أراد عليه الصلاة والسلام بقوله يحشر أجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الـكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليـد من الأعضاء الشريفة التى لايتمّ كثير من التصرف ولايوصل الى كثير من المنافع الا بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من الـكمال وتفوته المنافع والمرافق التى كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسي القرآن ومضيعه بعد حفظه لأنه يفقد ما كان لابساً له من الجمال ومستحقاً له

جيد شعر العرب وبعده

يداه أصابت هذه حتف هـذه	فلم تجد الأخرى عليها مقدما
فلما استقادَ الكفَّ بالكفّ لم يجد	له دَرَكا فى أن تَبينَا فأحجما
فأطرقَ إطراقَ الشجاع ولو رأى	مساغاً لناباه الشجاعُ لصمما
لذى الحلم قبل اليوم ما تقرعُ العصا	وما عُلّم الانسان الا ليعلما

وقوله لناباه جعله بالالف وتلك طريقة لهم في الزام المثنى الالف في حالاته الثلاث

من الثواب وهذه عادة للعرب فى كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان أجدع وقد بقي بعده أجذم وقال الفرزدق يرثى مالك بن مسمع

تَضَعْضَعَ طَوْدَا وَائِلٍ بَعْدَ مَالِكٍ　　وَأَصْبَحَ مِنْهَا مَعْطِسُ العِزِّ أَجْدَعَا

وانما أراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن فى كلامها واشارات الى الأغراض وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويتسرع الي الفطنة لها من تعاطي تفسير كلامهم وتأويل خطابهم كان ظالماً نفسه متعديا طوره ونعود الى الكلام على ماذكره الرجلان ٠٠ أما أبو عبيد فان خطأه من حيث لم يفطن للغرض من الخبر فضلٌ عن وجهه والافالاجذم هو الاقطع لامحالة كما قال الا انه لايليق بهذا الموضع فاذاحمل عليه لم يفد شيئاً فان كانت شبهته التي أوقعته فى ذلك ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة على نسيان القرآن فليس كما ظن لأن الجذم أولا ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم أولياءه والصالحين من عباده ويقطع أعضاءهم بالامراض وقد يبتدأ خلق من هو ناقص الاعضاء فليس بلازم فى الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان يستحق ناسى القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضاً واجباً وحتما لازما لان العقوبة لاتستحق بترك ماليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك ٠٠ وأما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه فى الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظنّ ان العقوبة لاتكون الا فى محلّ الذنب وهذا القول يوجب عليه أن لايجلد ظهر الزانى وتختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان يجب أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم ان اللسان أقوى حظاً فى باب الكلام من الشفة فلم يخص بالعقوبة وحلّت بالشفاه دونه ٠٠ ثم غلطه في تأويل الآية التي أوردها أقبح من كل ماتقدم لانه توهم أنما تضمنته الآية من تخبط آكل الربا وتعثره فى القيام انما هو في الدنيا من حيث يثقل ما أكله فى معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورةً خلاف ذلك ونجد كثيراً من آكلي الربا أخف نهوضاً وأسرع قياماً وتصرفا من غيرهم ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في الآية هو ماذكره المفسرون من ان ماوصفهم الله به يكون عند قيامهم من قبورهم فيلحقهم العثار

والزال والتخبُّل على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك أيضاً أمارة لمن يعاقبهم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الوليّ والعدوّ ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الأجذم هو المجذوم .. ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع يوجب عليه أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق الأوصال كالجدري والأكلة وغيرهما يسمى جذاماً ويسمى من كان عليه أجذم وهذا باطل .. وأما قول الشاعر حيث يقول

وحَرَّقَ قيسٌ عليَّ البلادَ حتى إذا اضطرمتْ أَجْذَما

فليس هو من هذا الباب بل هو من الاجذام الذى هو الاسراع فكأنه قال لما اضطرمت أسرع عنى وتباعد منى [1] والاجذام بالذال المعجمة والدال غير المعجمة جميعا الاسراع .. وأما قول عنترة فى وصف الذباب

هَزِجاً يحُكُّ ذِرَاعَهُ بذِرَاعِهِ قَدحَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجذَمِ

فهو من هذا الباب لأن الأجذم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكأنه قال قدح المكب الأجذم وهو من أحسن التشبيه وأوقعه

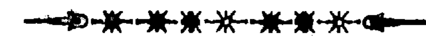
[مسألة] [2] كان بعض المشايخ المتقدمين يقول ليس بممتنع أن يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم من حاله انه يرد القيامة غير مستحق لشئ من الأعواض أو لما يوازى القدر المستحق عليه منها فاذا أراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لأن العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله ولا يجرى فى ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على مايتفضل به لأن الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين

---

(١) ويروى البيت (حتى اذا اضطرمت أحجما) أي نكص وتأخر وحاصل المعنى على الروايتين واحد

(٢) ماذكر في هذه المسألة مبني على القول بالعدل ووجوب الأصلح على الله تعالى وهي مقالة للمعتزلة ومنهم المؤلف وأهل السنة يخالفونهم فيها فلا تغتر بما تراه هنا وكن منه على حذر

عباده وبين الظلم فلا يجوز أن يتعلق إلاّ بأمر واجب والتفضل لفاعله أن لا يفعله فتؤول الحال الى تعذر الانتصاف •• وقالوا من يعلم الله انه يرد القيامة ولا أعواض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجيزون أن يمكن من الظلم من يكون فى الحال غير مستحق للعوض أو غير مستحق للقدر الذى يوازى الظلم من العوض بعد أن يكون المعلوم من حاله انه يرد القيامة وقد يستحق من الأعواض ما يوازى ما عليه منها •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وهذا القول يعنى تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو فى الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التى أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضل لأنا نعلم ان تبقية المكلف لا تجب وللقديم تعالى أن لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن لأن الله تعالى يعلم انه يبقيه فيستحق أعواضاً لأن عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فأجيزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله انه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا علم الله بانه يتفضل لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب قيل لهم وعلم الله بأنه يبقى من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية عن أن تكون غير واجبة فاستوى الأمران والصحيح أن يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له فى الحال ليستقيم الكلام ويطرد



مجلس آخر ٢

[تأويل آية] •• قال الله تعالى ﴿ يسألونك عن الروح قُلِ الروحُ من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا ﴾ •• وقد ظن قوم من غفلة الملحدة وجهلا لهم أن الجواب عما سئل عنه فى هذه الآية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا) تبكيت وتقريع لم يقعا موقعهما وانما هو على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب •• وفى هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه وتدل

على ماجهلوه٠٠أولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى لهم الى الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا فساداً وعناداً إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لأنا قد نعلم في كثير من الأحوال فيمن يسألنا عن الشيء ان العدول عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره ٠٠ وقد قيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمداً عن الروح فان أجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذاك فأمره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علماً ودلالة على صدقه وتكذيباً لليهود الرادين عليه وهذا جواب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي٠٠ وثانيها أن القوم انما سألوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة أو ليست كذلك فأجابهم بأنها من أمر ربي وهو جوابهم عما سألوه بعينه لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من أمر ربي لانه انما أراد انها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أو عيسى أو جبرائيل عليهما السلام وقد سمى الله جبرائيل روحاً وعيسى أيضاً بذلك مسمى في القرآن٠٠ وثالثها انهم سألوه عن الروح الذي هو القرآن وقد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب فاذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لأنه قال لهم الروح الذي هو القرآن من أمر ربي ومما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليجعله دلالة له وعلماً على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في إمكانهم وهذا الجواب للحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية (ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا اليك ثم لا تجدُ لكَ علينا وكيلا) فكأنه تعالى قال ان القرآن من أمري وفعلي ومما أنزلته علماً على نبوة رسولي صلى الله عليه وسلم ولو شئت لرفعته وأزلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله

[فصل] ٠٠ قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني في قوله تعالى (والأرضَ مَدَدْناهَا وَأَلْقينَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كلّ شيءٍ مَوْزُون) قال انما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين٠٠أحدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن لأنّ سائر المكيلات اذا صارت طعاماً دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن أعمّ من الكيل٠٠ والوجه الآخر ان في الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب

مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت فى الكيل وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول أبى مسلم •• ووجه الآية وماشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه أبو مسلم وانما أراد الله تعالى بالموزون المقدّر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرة أو داخلة فى باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وأفعاله موزونة مقدرة وانما يراد ما أشرنا اليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين فى القرآن على أحد التأويلين وانها التعديل والمواساة بين الثواب والعقاب •• قال الشاعر هو ذو الرمة

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ ... رَخِيمُ الحَوَاشِي لا هُرَاءٌ وَلاَ نَزْرُ

ـ الهراء ـ الكثير ـ والنزر ـ القليل وكأنه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجرى مجرى أن يقول هو موزون •• وقال مالك[1] بن أسماء بن خارجة الفزارى

وَحَدِيثٌ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نًا وَخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

---

(١) •• قال ابن قتيبة بعد أن ذكر نسبه وكان مالك شاعراً غزلاً ظريفاً وهو القائل فذكر البيتين وذكر بعدهما قوله

حبذا يومنا بتلِّ بَوَنَّا ... حيث نُسقى شرابنا ونُغنى

من شراب كأنه دمُ جوفٍ ... يترك الكهل كالفتى مُرجحنا

أينما دارتِ الزجاجة دُرنا ... يحسب الجاهلون أنا جُننا

ومررنا بنسوة عطرات ... وسماع وقرقف فنزلنا

ـ وبَوَنَّا ـ من قرى الكوفة •• ويقال ان عمر بن أبى ربيعة مرّ بمالك هذا فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده فقال عمر ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التى تذكرها فيه قال مثل ماذا قال مثل قولك

أشهدتِني أم كنتِ غائبةً ... عن ليلتي بحديثة القَسْب

•• ومثل قولك

وهذا الوجه الذى ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية وأليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم ٠٠ فأما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن أحياناً فلم يرد اللحن فى الاعراب الذي هو ضد الصواب وانما أراد به الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه على معنى قوله تعالى (ولتعرفنهم فى لحن القول) ٠٠ وقول الشاعر

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لِكَيمَا تَفْطَنُوا ... وَلَحَنْتُ لَحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وقد قيل ان اللحن الذى عنى به فى البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ماروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته أي أفطن لها وأغوص عليها ٠٠ ومما يشهد لما ذكرناه ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكرى قال حدثنا العنزي قال حدثنا على بن اسماعيل اليزيدى قال أخبرنا اسحاق بن ابراهيم قال تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها أتلحنين وأنت شريفة وفى بيت قيس قالت أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الانصارية قال وما هو قالت قال

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا ... نًا وَخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

فقال لها الحجاج انما عنى أخوك اللحن فى القول اذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن فى العربية فأصلحي لسانك ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه قد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن من النساء الغرائر وليس بمستحسن منهم كل الصواب والتشبه بفحول الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن انه

حبذا يومنا بتل بونّا ... حيث نسقى شرابنا ونغنى

فقال مالك هي قرى البلد التى أنا فيه وهي مثل ما تذكره أنت في شعرك من أرض بلادك قال مثل ماذا قال مثل قولك

ما على الربع بالبليين لو بـيـن رجع السلام أولو أجابا

فأمسك ابن أبي ربيعة ولم يجب بشيء

أراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الأخبار أبيات الفزاري واعتذر بها من لحن أصيب في كتابه * وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني يحيي بن علي المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري ويفسره علي انه أراد اللحن في الاعراب وانما أراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح فقال له قد فطنت لذلك بعدُ قلت فغيره من كتابك فقال كيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطئه [قال المرتضي] رضي الله عنه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أن رجلا من بني العنبر حصل أسيراً في بكر بن وائل فسألهم رسولاً الى قومه فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا أن ينذرهم فجيء بعبد أسود فقال له أتعقل فقال نعم اني لعاقل فقال ما أراك عاقلا وأشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال أراك عاقلا ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا أدري ولكنه كثير فقال أيما أكثر النجوم أم التراب فقال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد أدبى [1] وشكت النساء وآمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد طال ركوبها وان يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معكم حيساً واسألوا أخي الحارث عن خبري فلما أدّى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جُنّ الأعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملا أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد أدبى العرفج يريد ان الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر [2] وقوله الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان [3] وهو الجبل

(١) ـ العرفج ـ ضرب من النبات ـ وأدبى ـ خرج منه مثل الدبى وهو أصغر الجراد

(٢) ـ الشكاء ـ جمع شكوة وهو وعاء من جلد يجعل للماء واللبن

(٣) ـ الصمان ـ والصمانة كل أرض صلبة ذات حجارة الى جنب رمل والصمان موضع بعالج

الأصهب وقوله أكلت معكم حيساً يريد اخلاطاً من الناس قد غزوكم لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه

[تأويل خبر] ٠٠ روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً أو تجفافاً ٠٠ قال أبو عبيد وقد تأول بعض الناس هذا الخبر على انه أراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر ولا تميز بينهما قال والصحيح انه أراد به الفقر في يوم القيامة وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكأنه أراد من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلفى عنده ٠٠ قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر ان من أحبنا فليصبر على التقلّل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن أحوال الدنيا وأعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف أو الجلباب لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب أو التجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التأويل ماروى عنه عليه والسلام انه رأى قوماً على بابه فقال ياقنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال مالي لا أرى فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى ويبس الشفاه من الظما وعمش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة والوجهان في الخبر جميعاً حسنان وان كان الوجه الذي قاله ابن قتيبة أحسن وأصح ٠٠ ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللغة وهو ان أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحز أنف البعير حتى يخاص الى العظم أو قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقراً اذا فعل به ذلك وبعير مفقور وبه فقرة وكل شئ حززته وأثرت فيه فقد فقّرته تفقيراً ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحمل القول على أن يكون عليه السلام أراد من أحبنا فليزمّ نفسه وليخطمها وليقدها الى الطاعات وليصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما أريد بها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان

له شاهد فى اللغة وكلام العرب لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منها منفرداً وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه وأكثر ما يلزمه ماذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام

[فصل] ٠٠ قال الشريف المرتضى رضى الله عنه وممن كان من مشهورى الشعراء ومتقدميهم على مذهب أهل العدل[١] ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته أبو الحارث وذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله وهو في صفة الوتد

* أَشعثُ باقي رُمَّةِ التَّقليدِ *[٢]

ـ والرمة ـ القطعة البالية من الحبل يقال حبل أرمام اذا كان ضعيفاً بالياً وقيل انه انما لقب بذى الرمة لأنه كان وهو غلام يتفزع[٣] فجاءته أمه بمن كتب له كتاباً وعلقته عليه برمة من حبل فسمى ذا الرمة ويشهد بمذهبه فى العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى قال حدثنا ابن دريد قال أخبرنا أبو عثمان الاشناندانى عن

---

(١) ـ أهل العدل لقب المعتزلة لقبوا به أنفسهم لقولهم بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى وانه يعاقب المسيء على اساءته ويثيب المحسن على احسانه ولا بد وانما سموا المعتزلة لأن رئيسهم واصل بن عطاء كان يحضر حلقة الحسن البصري فسأله يوماً عن مرتكب الكبيرة هل يكون مؤمناً أو لا فقال انه مؤمن وأمره فى كبيرته مفوض الى ربه ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه فلم يعجب ذلك واصل فقعد الى سارية من سوارى المسجد يقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وانه مخلد فى النار فقال الناس قد اعتزل واصل فقيل لمن وافقه على رأيه معتزلة

(٢) الذي فى غيره من كتب الأدب وانما قيل له ذا الرمة لقوله

لم يبق منها أبد الأبيد | غيرُ ثلاثٍ ماثلاتٍ سودِ
وغير مشجوج القفا موتود | فيه بقايا رمة التقليد

(٣) أي يفزع فى نومه

التوزى عن أبي عبيدة قال اختصم رؤبةُ وذو الرمة عند بلال بن أبي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر أفحوصاً ولا تقرمص سبع قرموصاً الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ماقدّر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك قال رؤبة أفبقدرته أكلها هذا كذب على الذئب ثانٍ فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح فى قوله بالعدل[1] واحتجاجه عليه وبصيرته فيه فأما ــالعيايل ــ فجمع عَيّل وهو ذو العيال ــ والضرائك ــ جمع ضريك وهو الفقير .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي عن أبى العيناء عن الأصمعي عن اسحاق بن سويد قال أنشدنى ذو الرمة

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولاَنِ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت وانما قلت وعينان فعولان فوصفتهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني أحمد بن خالد النحاس قال حدثني محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدثنى الأصمعي قال لما أنشد ذو الرمة قوله

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَيْنِ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما[2] فقال

---

(١) لأن المعتزلة يقولون ان الله لا يريد الشر وان ما يقع فى الكون من الشرور فانما يقع على خلاف ارادته وليس لقول ذى الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك معنًى الا ان هذا شر والشر لا يكون مراداً لله تعالى

(٢) ــ قلت عظيما ــ انما قال له ذلك لأنه لما نصب فعولين جعله معمولا لكانتا فاقتضى ان كون العينين فعولان بالألباب كما تفعل الخمر بأمر الله تعالى وهو شر لا يصلح أن تتعلق به ارادة الله تعالى على مذهب عمرو بن عبيد وكان عمرو بن عبيد هذا شيخ المعتزلة في عصره ولسانهم وكان آية فى الذكاء والحفظ وكان متقشفاً زاهداً

فعولان بالالباب فقال ذوالرمة ما أبالي قلت هذا أم سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال سبحان الله لو عنيت ماظننت كنت جاهلا •• وممن روي انه كان على مذهب أهل العدل من شعراء الطبقة الاولى أعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله

إِستَأثَرَ اللهُ بِالوَفاءِ وَبِالعَدْ لِ وَوَلَّى المَلامَةَ الرَّجُلا

وممن قيل انه على مذهب الجبر [١] من المشهورين أيضاً لبيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله

إِنَّ تَقوى رَبِّنا خَيرُ نَفَلْ وَبِإِذنِ اللهِ رَيثي وَالعَجَلْ

مَنْ هَداهُ سُبُلَ الخَيرِ اهتَدى ناعِمَ البالِ وَمَنْ شاءَ أَضَلْ

وان كان لاطريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك •• أما قوله وباذن الله ريثي والعجل فيحتمل ان يكون بعلمه كما يتأول عليه قوله تعالى ﴿ وما هم بضارّين به من أحد الا باذن الله ﴾ أي بعلمه وان قيل في هذه الآية أنه أراد بتخليته وتمكينه وان كان لاشاهد لذلك في اللغة أمكن مثله في قول لبيد ••وأما قوله من هداه اهتدى ومن شاء أضلّ فيحتمل ان يكون مصروفا الى بعض الوجوه التي يتأوّل عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه

[مسئلة] •• اعلم ان أصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله بقوله ﴿ لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ ﴾ وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون

يضرب به المثل في ذلك فيقال أزهد من عمرو بن عبيد وفيه يقول القائل

كلكم طالبُ صيد غير عمرو بن عُبَيد

(١) يريد بالجبر مذهب أهل السنة وانما سموا مجبرة لأنهم لما جعلوا أفعال العبد مخلوقة لله تعالى وليس لقدرة العبد دخل في ايجاد أفعاله فقد جعلوا العبد مجبوراً على مايصدر عنه من الافعال وأما المعتزلة فقالوا ان أفعال العبد من قدرته فكان مختاراً عندهم

ثبوت الرؤية له في وقتٍ من الاوقات نقص وذمّ •• قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لايرى وقد شاركه في نفي الرؤية ماليس بممدح كالمعدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدّح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدّح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات أصناف •• منها مالا يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات •• ومنها مايُرى ولا يَرى كالألوان •• ومنها مايرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها مايَري ولايُري فثبت المدح لله تعالي بمتضمن الآية •• فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان تكون صفة لاتقتضى المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن أن يتمدّح متمدح بأنه شئ عالم أوموجود قادر فاذا كان لامدحة فى وصف الذات بانها شئ وموجود وان انضمت الي صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لاتقتضى مدحا فكذلك لامدحة فى نفى الرؤية عما تثبت له من حيث كانت بانفرادها لاتقتضي مدحا. فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع فى الصفة ان تكون لاتقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم فان نفى السنة والنوم ههنا انما يكون مدحاً اذا انتفى عمن هو بصفة الأحياء وان كان بانفراده لايقتضى مدحاً لمشاركته ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالنفي والوجود وبين ماذكروا بالشئ من حيث لاتأثير لهاتين الصفتين فى المدح •• واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات ماتكاد تفتقر الي شرطٍ في كونها مدحاً •• وصفات النفي اذا كانت مدحاً فلا بدّ فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفى أعمّ من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات أشدّ اختصاصاً ألا تري ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير متناه والثانى لا بد أن يكون متناهياً فلما اشتملت صفات النفى الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصها وأنت اذا اعتبرت سائر صفات النفى التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط ألا تري ان من ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفى اذا كان حياً ذاكراً لانه قد يكون الحى لاعالماً ولاجاهلا لسهو يلحقه وذهول

يعتريه ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحاً اذا كان أيضاً موجوداً حياً ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحاً اذا كان قادراً على الظلم وله دواع اليه ولا بد فى الشرط الذي يحتاج اليه فى صفات النفى حتي يكون مدحاً من ان يكون أيضاً إثباتا أو جاريا مجري الاثبات ولا يكون نفياً لانه ان كان نفياً لم يتخصص وساوى فيه الممدوح ماليس بممدوح • مثال ذلك أنا اذا مدحنا غيرنا بانه لايظلم وشرطنا فى هذه المدحة انه لم يدعه داع الي الظلم لم تحصل المدحة لانه قد يشاركه فى نفى الظلم ونفى الدواعي اليه ماليس بممدوح فلا بد من شرط يجرى مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب دواعيه فاذا صحت هـذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة فى الآية انما تتعلق بنفى الادراك عن القديم تعالي لكن بشرط ان يكون مدركا ونجعل كل واحد من الصفتين تقتضى المدح مجتمعاً مع أن كل واحدة لاتقتضيه على سبيل الانفراد وليس بمنكر ان يقتضى الشئ غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى فاذا لم يوجد لم يحصل مقتضاه ونفى السنة والنوم والظـلم عن الله تعالي انما كان مدحاً بشروط معروفة على نحو ماذكرناه وهذا التلخيص فى هذا الموضع أولى وأحسم للشبه مما تقـدم ذكره

(مجلس آخر ٢)

[تأويل آية] •• ان سأل سائل فقال ما تقولون فى قوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى ﴿ فألقَى عَصَاهُ فإذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ •• وقال تعالى في موضع آخر ﴿ وأنْ ألْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كأنَّها جَانٌّ ولَّي مُدْبِراً ولَمْ يُعَقِّبْ ﴾ والثعبان الحية العظيمة الخلقة والجان الصغير من الحيَّات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حال واحدة بصفة ماعظم خلقه من الحيّات وبصفة ماصغر منها وبأي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام (الجواب) أول مانقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التى أخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوّة وقبل مصير موسى الي فرعون والحال التي صار

العصا عليها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدلّ على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسئلة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب على هـذا السؤال إما لظنهم ان القصة واحدة أو لاعتقادهم ان العصا الواحدة لايجوز ان تنقلب فى حالين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان أو على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ماظنّ لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه أحسن ماتكلف به الجواب لاجله لان الاولين لا يكونان الا عن غلط أو عن غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة من تأويلها ٠٠ أحدهما انه تعالى اىما شبهها بالثعبان فى إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبّهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهـذا أبهر في باب الإعجاز وأبلـغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتـين ٠٠ وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان واذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغـيره فى بعض وجوهه فيشبّهون المرأة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم أن فى الظباء والبقر من الصفات مالا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون آخر ٠٠ والجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان فى الآية الاخرى الحية وانما أراد أحد الجن فكأنه تعالى أخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقـة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كأحـد الجنّ في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ويمكن ان يكون في الآية تأويل آخر اسـتخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاوّلين لم ينقص عنهما والوجـه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذى تُوُهِّمَ زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حيـة صارت أولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان ولم تصر كذلك ضربة واحدة

فتتفق الآيتان على هذا التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الاولى تتضمن ذكر الثعبان اخباراً عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانيــة تتضمن ذكر الحال التي ولى موسى فيها هاربا وهى حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت بعــد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان .. فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ماذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هى ثعبان مبين وهذا يقتضى أنها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل .. قلنا ليس تفيــد الآية ماظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التى صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجرى هذا مجرى قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ مع تباعد مابين كونه نطفة وكونه خصيماً مبيناً وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من أعلا الحائط فاذا هو في الأرض ونحن نعــلم ان بين خروجــه من منزله وبلوغه ضيعته زماناً وانه لم يصل اليها الا علي تدريج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد

[آية أخرى] .. قال الله تعالى ﴿ وإذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهم وأَشْهَدَهُم على أنفسهمْ أَلستُ بِرَبِكمْ قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يومَ القيامةِ انَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إنما أَشْرَكَ آباؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ أَفَتُهلِكُنَا بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُون ﴾ .. وقدظن [1] بعض من لا بصيرة له ولافطنة عنده ان

(١) اعلم ان للمفسرين فى هذه الآية قولين أحــدهما ان ذلك الاخراج والاشهاد حقيقة واليه ذهب كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس قالوا ان الله استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم علي بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به واحتجوا لذلك بأحاديث كثيرة وردت من طرق متعددة يقوى بعضها بعضاً منها ماروى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال صلي الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالي خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته الحديث وروى على عن ابن عباس فى قوله تعالى واذ أخذ ربك الآية قال

تأويل هذه الآية ان الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر فقررهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع ان العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأن الله تعالى قال واذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم

ان الله تعالي خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم فى صلبه حتي يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم الى يوم القيامة أما المعتزلة وأصحاب المعقولات من المفسرين فانهم جعلوا ذلك على سبيل التمثيل وقالوا انه تعالى أخرج الاولاد وهم الذرية من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشراً سويا وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فى عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته فكأنه قررهم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا واعترفنا بوحدانيتك قالوا وباب التمثيل واسع فى كلام الله ورسوله وكلام العرب وفى القرآن الكريم (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين .. وقال الشاعر

امتلأ الحوض وقال قطنى مهلاً رويداً قد ملأت بطنى

وطعنوا فيما ذهب اليه الفريق الأول بما بسطه المؤلف هنا وكل ما طعنوا به يمكن الجواب عنه .. أما قولهم ان المذكور في القرآن ان الله أخذ من بني آدم من ظهورهم لا من آدم ولا من ظهره وما روى أصحاب القول الأول يدل على انه أخذ من آدم كما فى الرواية التي سبق نقلها .. فالجواب عنه ان الله انما أخرج من صلب كل رجل ذريته الا انهم لما كانوا جميعاً من صلب آدم صح أن يقال انه أخذهم من صلب آدم ومثل هذا الاستعمال سائغ لا مجال للطعن فيه .. وأما قولهم انهم حين أخرجوا فان كانوا عقلاء مستوفين لشرائط التكليف لزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم وان لم يكونوا عقلاء لم يكن للاشهاد معنى .. فالجواب عنه أن نختار انهم كانوا عقلاء ولا يلزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم الآن فان النفس انما تذكر حين ملابستها للبدن ما كان وقع لها حين ملابسته

ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشؤا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضى ان الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه وانها تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويله فأما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من أن تكون من ظهر آدم فخوطبت وقررت أن تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف أولا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف فان كانت بالصفة الأولي وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشائهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه فى تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لأن العاقل لا ينسي ما يجري هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا فى بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسي مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر أحواله وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير لأنه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون

فأما ما وقع لها عند تجردها عن البدن والانقطاع عنه فلا تذكره ومثل هذا يقع لأصحاب الرياضات فقد يتفق لبعضهم وقت تجرد فيه نفوسهم عن أبدانهم ويصدر عنهم حينئذ من الاقوال والافعال شيء كثير فاذا عادت نفوسهم اليهم لم يذكروا شيئاً مما كان منهم ولهذا أسباب ليس هذا محل بسطها انما الغرض أن نبين ان النفس انما تذكر عند ملابسة البدن ما يقع لها في مثل ذلك الحال واذا جاز أن تفارق النفس البدن زمناً طفيفاً ثم لا تذكر عند العود الي البدن ما كان منها عند المفارقة فكيف لها أن تذكر ما كان لها قبل أن يخلق البدن بآلاف من السنين .. هذا أقوى ما احتجوا به على ابطال قول الفريق الاول .. ثم اعلم بعد هذا ان ما ذهب اليه الفريق الثاني لا يبطل قول الفريق الأول ولا هو مستنكر فى ذاته والتمثيل غير منكر في كلام أي كلام كان من كلام الخالق أو البشر وكما أمكن حمل الآية على التمثيل يمكن حمل الاحاديث فانها غير صريحة فى ان الاخراج حقيقة وانما دعواهم ان المعنى الحقيقي غير ممكن ارادته ودعوى ان ذلك باطل شرعا وعقلا مما ننكره ونأباه وليس فيه الا تغليب الرأى والوهم على ظاهر الكتاب والسنة كما هي عادة المتكلمين

والاغماء من أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم لأن سائر ما عددناه مما ينفي العلوم يجرى مجرى الموت في هذا وليس لهم أن يقولوا اذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقول ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية وذلك أن الله تعالى أخبرنا بأنه انما قررهم وأشهدهم لئلا يدّعوا يوم القيامة الغفلة وسقوط الحجة عنهم فيه فاذا جاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك عبثاً قبيحاً * فان قيل قد أبطلتم قول مخالفيكم فما تأويلها الصحيح عندكم * قلنا في الآية وجهان • أحدهما أن يكون تعالى انما عني بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلغهم وأكمل عقولهم وقررهم على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته فأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وانما أُتي من اشتبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن عاقلا كاملا وليس الأمر كما ظن لأنه سمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال تعالى (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وذرّياتهم) ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان كاملا عاقلا فان استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم • والجواب الثاني انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذى أراده الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) وان لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى

(شاهدين على أنفسهم بالكفر) ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم وانما ذلك لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك •• وما روى عن بعض الحكماء من قوله سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حِوَاراً أجابتك اعتباراً وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة فى النظم والنثر يغني عن ذكر جميعها القدر الذى ذكرناه منها

(تأويل خبر) •• قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أراد يستغن به واحتج بقولهم تغنيت تغنياً وتغانيت تغانياً وأنشد بيت الأعشى

وَكُنْتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ

•• وقول الآخر

كِلاَنَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ اذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غني أى مستغن وبالحديث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها فى آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن ان أحداً أُعطي أفضل مما أعطى لانه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل من ملكه • واحتج أيضاً بخبر رفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بيته فاذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن •• قال أبو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على ان التغني بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال ــ والمثال ــ هو الفراش قال الشاعر

بِكُلِّ طُوَالِ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يَرَى بِسُرَى اللَّيْلِ الْمِثَالَ الْمُمَهَّدَا

يعنى الفراش •• قال أبو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقرآن ليس منه عليه الصلاة والسلام •• وذكر عن غير أبى عبيد جواب آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرجع فيه واحتج

صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال أتيت سعداً وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من أنت فأخبرته فقال مرحباً بابن أخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا فقوله فابكوا أو تباكوا دليل على ان التغنى هو الترجيع والتحنين •• وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يأذن الله لشئ من أهل الارض الا لأصوات المؤذنين والصوت الحسن فى القرآن ومعنى قوله يأذن يستمع له يقال أذنت للشيء آذن أذنا اذا استمعت له •• قال الشاعر

صُمٌّ اذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ ... وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

•• وقال عدي بن زيد العبادي

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ ... إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ

والاذن هو السماع وانما حسّن تكرير المعنى اختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله

* وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ *

فأما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلاث دد على مثال دم ودداً على مثال فتى وَدَدَنٍ على مثال حزنٍ •• ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا من ددٍ ولا الددمنّيه * فان قيل كيف يحمل لا يأذن الله لشئ كاذنه لكذا وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل شئ مسموع فأى معنى للاختصاص * قلنا ليس المراد ههنا بالاستماع مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكأنه عليه الصلاة والسلام قال ان الله لا يتقبل أو يثيب على شئ من أهل الأرض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا أسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه وانما يريد نفى القبول لا الادراك والبيت الذى أنشدناه يشهد بذلك لانه قال * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا * ونحن نعلم أنهم يستمعون الذكر بالخير والشر معاً من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الانبارى وجهاً ثالثاً فى الخبر قال أراد عليه الصلاة والسلام من لم يتلذذ بالقرآن ويستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به

وسمى ذلك تغنياً من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغنى بالغناء وذكر ان ذلك نظير قولهم العمائم تيجان العرب والحباء حيطان العرب والشمس حمامات العرب .. وأنشد بيت النابغة

بُكَاءُ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً مُفَجَّعَةٍ عَلَى فَنَنٍ تُغَنِّى[١]

فشبه صوتها لما أطرب اطراب الغناء بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت مقام التيجان تيجاناً وكذلك القول فى الحباء والشمس . وجواب أبي عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدها لأن التلذذ لا يكون الا فى المشتهيات * وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم معانيه من الأفعال الشاقة فكيف يكون ملذاً مشتهى . فان عاد الى أن يقول قد تستحلى التلاوة من الصوت الحزين * قلنا هذا رجوع الى الجواب الثانى الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن أن يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام من لم يتغنّ من غَنِيَ الرجل بالمكان اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كأن لم تغن بالأمس وكأن لم يغنوا فيها أي لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر الايادى

وَلَقَدْ غَنَوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ[٢]

---

(١) ــ الهديل ــ ذكر الحمام وقيل انه طائر كان على عهد نوح عليه السلام صاده جارح من الطير فما من حمامة الا وهي تبكي عليه الى اليوم وهذا من خرافات العرب فى الزمن الأول وقد ضمن بعض شعراء الاسلام أشعارهم هذه الحكاية كقول أبي العلاء يرثي رجلا

يا بنات الهديل أسعدن أوعد ... ن قليل العزاء بالاسعاد

إيه لله دركن فأنتن ... اللواتي تحسن حفظ الوداد

ما نسيتن هالكا في الأوان الـ ... ـخال أودي من قبل هلك إياد

والمقصود حكاية المشهور لا أنهم يعتقدون ذلك ــ والمفجعة ــ المؤلمة بفقد ما يعز عليها ــ والفنن ــ الغصن وجمعه أفنان

(٢) هو له من أبيات يشكو بها من موت لداته وتأخر وفاته أولها

وبيت الاعشى الذى أنشده أبو عبيد

وَكُنتُ امرأً زَمَنًا بالعِرَاقِ عَفِيفَ ٱلْمُنَاخِ طَوِيلَ ٱلتَّغَنْ

بطول المقام أشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى أراد انى كنت ملازماً لوطنى مقيماً بين أهلي لا أسافر للانتجاع والطلب ويجرى قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصاري

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ قَبْرِ ٱبْنِ مَارِيَةَ الجَوَادِ المُفْضِلِ

أراد بقوله حول قبر أبيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم وأوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن فلا يتجاوزه الى غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا*فان قيل أليس يتعدى القرآن الى السنة والاجماع وسائر أدلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه*قلنا ليس فى ذلك تعد للقرآن لان القرآن دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من أدلة الشرع فمن اعتمد بعضها فى شيء من الاحكام لا يكون متجاوزاً للقرآن وأما قوله عليه الصلاة والسلام ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على أخلاقنا واستشهد ببيت النابغة

اذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنى لستُ منكَ وَلستَ مِنّي

ومن الحوادث لا أبا لك انني ضُربتْ عليّ الأرض بالاسداد

لا أهتــدي فيها لموضع تلعة بين العذيب وبين أرض مراد

كان كف فى آخر عمره فهو يقول ذلك

ماذا أؤمل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد اياد

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

نزلوا بأنقرة يسيل عليهــم ماء الفرات يجيء من أطواد

أرض تخيرها لطيب مقيلهــا كعب بن مامة وابن أم دؤاد

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فأرى النعيم وكل ما يلهي به يوماً يصير الى بلى ونفــاد

•• وقيل انه أراد ليس منا أى على ديننا وهذا الوجه لايليق الا بجوابنا وهو بعده بجواب أبي عبيد أليق لانه محال ان يخرج عن دين النبي ومانته من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحيلها

[مسئلة] •• إعلم ان أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ماظنه أصحاب الرؤية فى قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ على وجوه معروفة لأنهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ودلوا على ان النظر ينقسم الى أقسام كثيرة •• منها تقليب الحدقة الصحيحة فى جهة المرئي طلباً لرؤيته •• ومنها النظر الذى هو الانتظار •• ومنها النظر الذى هو التعطف والمرحمة •• ومنها النظر الذى هو الفكر والتأمل وقالوا اذا لم يكن فى أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جميعا الى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية وتأولها بعضهم على الانتظار للثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل حذف المرئى فى الحقيقة وهذا كلام مشروح في مواضعه وقد بينا مايرد عليه ومايجاب به عن الشبهة المعترضة فى مواضع كثيرة •• وههنا وجه غريب فى الآية حكى عن بعض المتأخرين لايفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر أو الى تقدير محذوف ولايحتاج الى منازعتهم فى أن النظر يحتمل الرؤية أولا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها الى انه أراد نعمة ربها لان الآلاء النعم وفي واحدها أربع لغات ألاً مثل قفاً وألى مثل رمي وإلى مثل مي وإلي مثل حني قال أعشي بكر بن وائل

أَبيَضُ لاَيَرْهَبُ الهُزَالَ وَلاَ   يَقطَعُ رُحْماً وَلاَ يَخُونُ إِلىٰ

أراد أنه لايخون نعمة وأراد تعالى الى ربها فأسقط التنوين للاضافة * فان قيل فأي فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على انه أراد به الى ثواب ربها ناظرة بمعني رائية انعمه وثوابه * قلنا ذلك الوجه يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفا

ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقـدير محذوف وفى الجواب الذى ذكرناه لايفتقر الي تقدير محـذوف لان الي فيه اسم يتعلق به الرؤية ولايحتاج الى تقدير غيره [١] والله أعلم بالصواب

اعلم أن مما وقع فيـه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة رؤية البارى جلّ شأنه في الآخرة فأثبت الأولون جواز ذلك ووقوعه ونفى المعتزلة الأمرين واعتلوا لما ذهبوا اليه من عدم جواز رؤيته تعالى بأن الرؤية تعتمد كون المرئي فى جهة وكونه مقابلا للرائى وكونه غير مفرط البعد عنه ولا مفرط القرب منه فان اختل شرط من ذلك لم يمكن وقوع الرؤية . قالوا وكل هذه الشروط لايمكن اعتبارها فى حقه سبحانه وتعالى فلا تكون رؤيته جائزة لأن مايتوقف على محال فوجوده محال: وبناء على القاعدة المعروفة بين المتكلمين من ان النقـل اذا عارضه العقل وجب تأويله حتى يوافق العقل عمدوا الى تأويل النصوص القرآنية المصرحة بوقوع رؤيته تعالى لجماعة من المؤمنين فى الآخرة لئلا تصادم العقل فتأولوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بما ذكره المصنف وتأولوا قوله تعالى لموسى (لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه فسوف ترانى) بأنه علق الرؤية على استقرار الجبل حين تحركه واستقرار الجبل حين تحركه محال فما علق عليه كذلك والحق الذي يجب المصير اليه أن رؤية الباري جل شأنه جائزة والآيات القرآنية التي وردت بوقوعها في الآخرة ان كان فيها بعض اجمال يسوّغ التأويل فقد ورد فى الأحاديث الصحيحة الصريحة مالا يمكن الطعن فيه ولا صرفه عن ظاهره ومن ذلك الحديث الذي رواه أحد وعشرون صحابياً ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فكان هذا بياناً لمجمل الآيات ثم ان كون الرؤية مشروطة بما تقـدم من الشروط فانما ذاك فى رؤية الحوادث وكون ذلك مشروطاً فى رؤيته تعالى غير معلوم وقياس الغائب على الشاهد مع اختلاف ما بينهما غير جائز والوقوف عند ظواهر الشريعة واجب ما أمكن والتسرع في التأويل لمجرد التوهم غير حميد والله الهادي

مجلس آخر ٤

[تأويل آية] ٠٠ ان قال قائل ما تأويل قوله تعالى (وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ) فظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان انما كان لهم فعله باذنه وأمره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن هنا على الارادة اقتضى أن من لم يقع منه الايمان لم يرده الله منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلفاً فكيف يستحق العذاب وهو بالضد من الخبر المرويّ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أكثر أهل الجنة البله ٠٠ الجواب يقال له في قوله تعالى الا باذن الله وجوه ٠٠ منها ان يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع إلا بعد ان يأذن الله فيه ويأمر به ولا يكون معناه ما ظنه السائل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري هذا مجرى قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ومعلوم ان معنى قوله ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه وان كان الاشبه في هذه الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون المراد بالاذن العلم ٠٠ ومنها أن يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في ان الله يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه ٠٠ ومنها أن يكون الاذن العلم من قولهم أذنت لكذا وكذا اذا سمعته وعلمته وأذنت فلانا بكذا اذا أعلمته فتكون فائدة الآية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات فانه ممن لا يخفى عليه الخفيّات ٠٠ وقد أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن العلم وزعم ان الذى هو العلم الاذَنُ بالتحريك واستشهد بقول الشاعر

* إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ *

وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن هو اسم الفعل فيجري مجرى الحذر والحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مَثَلٍ ومِثْلٍ وشَبَهٍ وشِبْهٍ ونظائر ذلك كثيرة ٠٠ ومنها أن يكون الاذن العلم ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعو

الى فعله ويكون معنى الاية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله لها بما يبعثها على الايمان وما يدعوها الي فعله •• فاما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لايحتمل الارادة في اللغـة ولو احتملها أيضاً لم يجب ماتوهمـه لانه اذا قال ان الايمان لايقع إلا وأنا مريد له لم ينف أن يكون مريداً لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا دلالته شيء من ذلك •• وأما قوله تعالي ويجعل الرجس علي الذين لايعقلون فلم يعن بذلك الناقصى العقول وانما أراد الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ماوجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم والاعتراف بنبوة رسـله والانقياد الى طاعتهم ووصفهم تعالى بانهـم لايعقلون تشبيها كما قال تعالى صم بكم عمي وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الامور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل •• فاما الحديث الذى أورده السائل شاهداً له فقد قيل انه عليه السلام لم يرد بالبله ذوى الغفلة والنقص والجنون وانما أراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلهاً عن ذلك من حيث لايستعملونه ولا يعتادونه لامن حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشيء هو الذى لايعرض له ولا يقصد اليه فاذا كان المتنزه عن الشر معرضاً عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر

وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِطِفْلَةٍ مَيَّالَةٍ ... بَلْهَاءَ تُطْلِعُنِي عَلى أَسْرَارِهَا

أراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرها •• وقال أبو النجم العجلى

مِنْ كُلِّ عَجْزَاءَ سَقُوطِ البُرْقُعِ ... بَلْهَاءَ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعِ

أراد بالبلهاء ماذكرناه •• فأما قوله ـ سقوط البرقع ـ فاراد انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنه وادلالاً بجماله وقوله لم تحفظ أراد ان استقامة طرائقها تغـني عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها غير محتاجة الى مسدّد وموقف وقوله ـ لم تضيع ـ أراد انها لم تهمل في أغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتشقى ومثل قوله سقوط البرقع •• قول الشاعر

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلَتْ ... وُجُوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا

•• ومثله أيضاً

بها شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ ... أَطَارَتْ مِنَ الحُسْنِ الرِّدَاءَ المُحَبَّرَا

أي رمت بها عنها ثقة بالجمال والكمال •• ومثله وهو مليح

لَهَوْنَا بِمَنْجُولِ البَرَاقِعِ حِقْبَةً ... فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزَّنَا بِالوَصَاوِصِ

أراد بمنجول البراقع اللاتى يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال ما بال دهر أحوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي النقب الصغار للبراقع •• ومما يشهد للمعنى الاول الذى هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ اذَا عَرَضُوا لَهُ ... بِبَعْضِ الأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ

ويروى بنفسى وأهلي

وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ البَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ ... بِهِ سَكْتَةٌ حَتَّي يُقَالَ مُرِيبُ

•• ومثله

أُحِبُّ اللَّوَاتِى في صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ ... وَفِيهِنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحُ

مُسِرَّاتُ حُبٍّ مُظْهِرَاتٌ عَدَاوَةً ... تَرَاهُنَّ كَالمَرْضَى وَهُنَّ صِحَاحُ

•• ومثله

يَكْتَبِينَ اليَنْجُوجَ في كَبَدِ المَشْـ ... ـتي وَبُلْهٌ أَحْلَامُهُنَّ وِسَامُ

•• أما قوله ـ يكتبين ـ فمأخوذ من لفظ الكباوهو العود أراد يتبخرن به والينجوج هو العود وفيه ست لغات • يجوج • وأنجوج • ويلنجوج • وألنجوج • وبلنجج • وألنجج •• فاما كبد المشتى فهو ضيقه وشدته •• ومنه قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ في كَبَدٍ ﴾ وقد روى فى كبّة المشتى والمعنى متقارب لان الكبّة هي الصدمة مأخوذ من كبة الخيل وأما الوسام فهي الحسان من الوسامة وهي الحسن •• ويمكن ان يكون فى البله جواب آخر وهو ان يحمل على معني البله الذى هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معني

الخبر ان أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلها فى الدنيا فعندنا ان الله ينعّم الاطفال فى الجنة والمجانين والبهائم وانما لم نجعلهم بلهاً فى الجنة وان كان مايصل اليهم من النعيم على سبيل العوض أو التفضل لايفتقر الى كمال العقل لان الخبر ورد بأن الاطفال والبهائم اذا دخلوا الجنة لم يدخلوها الا وهم على أفضل الحالات وأكملها ولهذا صرفنا البله عنهم في الجنة ورددناه الي أحوال الدنيا والا فالعقل لايمنع من ذلك كمنعه إياه فى باب الثواب والعقاب

[تأويل آية أخرى] •• قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة (ذٰلكَ يومٌ مجموعٌ لَهُ الناسُ وذلكَ يومٌ مَشهُودٌ وَما نُؤَخّرُهُ الا لأجلٍ معدُودٍ يومَ يأتى لاتكلّمُ نفسٌ إلا باذنه) *وقال في موضع آخر (هَذَا يومُ لا يَنطِقُونَ ولا يُؤْذَنُ لَهمْ فَيَعْتَذِرُونَ) *وفى موضع آخر (وأقبل بَعضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَساءلون) وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف لان بعضها ينبيءُ عن أن النطق لايقع منهم فى ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبيءُ عن خلافه •• وقد قال قوم من المفسرين فى تأويل هذه الآيات إن يوم القيامة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان يمنع النطق فى بعضه ويؤذن لهم فى بعض آخر وهذا الجواب يضعّف لان الاشارة الى يوم القيامة بطوله فكيف تجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب ان يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك[1] •• والجواب السديد عن هذا أن يقال انما أراد الله تعالي نفى النطق المسموع المقبول الذى ينتفعون به ويكون

---

(١) اعلم ان اليوم فى لغة العرب قد يستعمل مراداً به بياض النهار مَن حين طلوع الشمس الى غروبها وذلك اذا أضيف الي فعل له امتداد كقولك صمت يوماً فان الصوم وهو الامساك ممتد فيراد باليوم بياض النهار وقد يراد به مطلق الوقت أي ساعة كان من ليل أو نهار كما تقول جئتك يوم السبت وزرتك يوم قدم زيد فهاهنا المراد باليوم مطلق الوقت ولا يصح ارادة المعنى الأول وفي الآية المضاف الى اليوم النطق منفياً وهو فعل غير ممتد فيكون المراد باليوم مطلق الوقت قل أو كثر فلا تكون هذه الآية منافية لما حكى الله عنهم من قولهم (ربنا أمتنا اثنين وأحييتنا اثنين) وقولهم (ربنا أخرجنا منها) الى غير ذلك مما أخبر الله عنهم من قولهم وهذا الجواب لا يحتاج الى تكلف تقدير لا ينطقون في بعضه حتى يكون خلاف الظاهر كما توهم المصنف

لهم في مثله عذر أو حجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجرى هـذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئاً وان كان الذى وصف بالخرس عن الحجة والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير الا انه من حيث لم يكن فيـه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذى حكيناه عليـه ومثل هذا قول الشاعر

أَعمى إِذَا ما جَارَتى خرَجتْ ... حتّى يُوارِى جارَتى الخِدْرُ

وَيَصَمُّ عَمّـا كَانَ بَيْنَهـمَا ... سَمعي وَما بِي غَـيْرُهُ وَقْـرُ

•• وقال الآخر

لَقَدْ طَالَ كِتْمَانيكَ حَتَّى كَأَنَّني ... بردِّ جَوَابِ السَّائِلِى عَنْكَ أَعْجَمُ

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لان التساؤل والتلاؤم لا حجة فيه •• وأما قوله تعالى ولا يُؤْذَنُ لهم فيعتذرُونَ فقد قيل [1] انهم غير مأمورين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويجاب بحمل الاذن على الامر وانما لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليف فيها والعباد ملجؤن عند مشاهدة أحوالهم الى الاعتراف والاقرار •• وأحسن من هذا التأويل ان يحمل يؤذن على معنى انه لا يستمع لهم ولا يقبل عذرهم والعـلة فى امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها

[تأويل خبر] •• روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا الدهر فان الدهر هو

---

(١) هذا الاستشكال ساقط لا محل له ومنشأ توهم المتوهم انه ظن لرفع يعتذرون المقرون بالفاء مع كونه بعد النفى انه منقطع عما قبله وان المعنى وهم يعتذرون ولم يؤذن لهم بالاعتذار وليس كما توهم وانما هو مرتبط بما قبله والمعنى ولا يؤذن لهم بالاعتذار مما كان منهم حتى يعتذروا وهو عطف على يؤذن وانما رفع لأنه رأس آية فرق بينه وبين ماقبله من رؤس الآى والرفع والنصب جائزان فى مثل هـذا كما فى قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) قرئ بالرفع والنصب جميعاً

الله •• وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر ان المراد به لاتسبوا الدهر فانه لافعل له وان الله مصرّفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرّف والمدبر وقال هو الدهر •• وفى هذا الخبر وجه آخر هو أحسن من ذلك الذي ذكرناه وهو ان الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ماينزل بهم من أفعال الله كالمرض والعافيـة والجدب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلّت عظمتـه ويذمون الدهر ويسبونه فى كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لاتسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون أنه الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لها •• وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر أفعال الله وقد حكي الله سبحانه عنهم قولهم ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر •• وقال لبيد

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ... نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَابْتَهَلْ

أى دعا عليهم •• وقال عمرو بن قميئة

كأَنى وَقَدْ جَاوَزْتُ تسعِينَ حجَّةً ... خَلَعْتُ بها عنّي عِـذَارَ لجامي

عَلَى الرَّاحتَيْنِ مرَّةً وَعَلَى العَصَا ... أَنُوءُ ثَلاثًا بعْدَهُنَّ قيَامى

رَمَتْنِي بنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حيثُ لا أَرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامى

فَلَوْ أَنَّهَا نبلٌ إِذًا لاتقيْتُهَا ... وَلَكِنَّنِي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامِ

إِذَا مَا رَآنِي النَّاسُ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ ... جَلِيدًا حَدِيدَ الطَّرْفِ غَيْرَ كَهَامِ

وَأَفْنَى وَمَا أُفْنِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً ... وَلَمْ يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامِ

وَيُهْلِكُنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ... وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامِ

•• وقال الأصمعي ذم أعرابى رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر وأنشد الفراء

حَنَتْنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّي ... كَأَنِّي خَاتِلٌ أَدْنُو لِصَيْدِ

قَصيرُ الخَطوِ يحسبُ من رَآنى　　وَلستُ مُقيَّدًا أَني بقيدِ

•• وقال كثير

وَكُنتُ كَذِي رِجلَينِ رِجلٍ صَحيحةٍ　　وَرِجلٍ رَمى فيها الزَّمانُ فَشلَّتِ

•• وقال آخر

فاستأثرَ الدَّهرُ الغداةَ بهمْ　　وَالدَّهرُ يَرميني وَمَا ارمي

يادهـرُ قدْ أكثرتَ فجعتَنا　　بسراتنا وَوقرتَ في العظمِ

قوله ــ وقرت فى العظم ــ أراد به اتخذت فيه وقراً أو وقيرة والوقر هى الحفيرة العظيمة تكون فى الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب أيضاً كذلك والوقيرة أيضاً الحفيرة إلا أنها دون الاوليين فى الكبر وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التى لايشاركه فيها غيره الى الدهر فحسن وجه التأويل الذي ذكرناه

[مسئلة] •• إعلم ان المنافع التى عرض الله تعالى الاحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب •• فاما المنفعة على سبيل التفضل فهى الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها أن يفعلها وله أن لايفعلها •• وأما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها •• وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل •• فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكأن التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ماعداه لانه لاسبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حيًّا له شهوة والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح أنه لاسبيل الي النفع بمنفعة العوض والثواب إلا بعد تقدم التفضل •• فاما المنفعة بالثواب فهي الاصل للمنفعة بالعوض لان الآلام وما جرى مجرى الآلام مما يُستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضى الي الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العبث ولهذا نقول ان الله تبارك وتعالى لو لم يكلف أحداً من المكلفين ما كان يحسن منه أن يبتدئ بالآلام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث •• ومنهم

من عرض لاثنتين ومنهم من عرّض لواحدة والمكلف المعرض للثواب لابد أن يكون منفوعا بالتفضل من الوجه الذى قلناه لانه اذا خلق حيًّا وجعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعا بالعوض لانه لايمتنع أن يخلو المكلف منا من ألم يبتدؤه الله به فلا يكون معرّضاً للعوض فمتى عرّض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا على تعريضه لاثنتين من المنافع ومجوزاً تكامل الثلاث له .. فاما من ليس بمكلف فمقطوع فى تعريضه على إحدى المنافع وهى التفضل من حيث خلق حياً ومكن من كثير من المنافع ومشكوك فى تعريضه للعوض من الوجه الذى بينا وكما قطعنا على أحد المنافع فيه فنحن قاطعون أيضاً على نفي التعريض للثواب عنه لفقد مايوصل اليه وهو التكليف ولا بد فى كل حيّ محدث أن يكون معرّضاً لاحدى هذه المنافع أو لجميعها وإنما أوجبنا ذلك من جهة حكمة القديم تعالي لامن جهة أنه يستحيل فى نفسه وانما قلنا ليس بمستحيل لان كونه حياً وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضاً للنفع فاما اذا فعل تعريضاً للضرر أو لوجه من الوجوه فانه لايكون منفعة ولا نعمة وأوجبناه من جهة حكمة القديم لانه اذاجعل الحيّ بهذه الصفات فلا يخلو من أن يكون أراد بها نفعه أوضره أو لم يرد بها شيئاً فان كان الاول فهو الذي أوجبناه وان كان الثانى أو الثالث فالقديم تعالى منزه عنهما لان الثانى يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه وقد يشارك القديم تعالى فى النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان يشاركوه فى النفع بالثواب لان الصفة التى يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل شاقا عليه لايكون إلا من قبله تعالي وليس لاحد أن يظن فيمن يهدي الى الدين والرشاد الى الايمان وما يستحق به الثواب انه معرض للثواب وذلك أن المكلف قد يكون معرّضاً للثواب ويصح أن يستحقه من دون كل هداية وإرشاد يقع منا ولولا الصفة التى جعله الله عليها لم يصح ان يستحقه فبان الفضل بين الامرين على ان أحدنا وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله تعالى ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعماً ألا ترى

أنه لو لم يخلق الحياة والشهوة لم يكن مايوصل اليهما مما ذكرنا منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى الملذوذ لم يكن سبيل لنا الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ماقصدناه

مجلس آخر ٥

[إن سأل سائل] •• فقال ماتأويل قوله تعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريثهم نعمهم ﴿كذلكَ وأورثناها قوماً آخرينَ فما بكتْ عليهمُ السماءُ والأرضُ وماكانوا مُنظَرينَ﴾ وكيف يجوز أن ينفي البكاء عنهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما •• والجواب يقال له في هذه الآية وجوه أربعة من التأويل •• أوّلها انه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف في قوله واسئل القرية وفي قوله حتى تضع الحرب أوزارها أراد أهل القرية وأصحاب الحرب ويجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم يريد السخاء سخاء حاتم •• وقال الحطيئة

وَشَرُّ المَنَايا ميتٌ وَسْطَ أهلِهِ ... كَهُلْكِ الفَتَى قدْ أسلَمَ الحيَّ حاضِرُهْ

أراد شر المنايا منية ميت •• وقال الآخر

قليلٌ عيبُهُ وَالعَيبُ جَمٌّ ... وَلَكنَّ الغنَى رَبٌّ غفُورُ

أراد غني رب غفور •• وقال ذو الرمة

همُ مجلسٌ صهْبُ السِّبَالِ أذِلَّةٌ ... سوَاسيَةٌ أحرَارُهَا وَعَبيدُهَا

أراد أهل مجلس •• وأما قوله ـ صهب السبال ـ فانما أراد به الاعداء والعربُ تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الأسبلة •• وقوله ـ سواسية ـ يريد انهم مستوون مشتبهون ولا يقال هذا الا في الذم •• وثانيها انه أراد تعالى المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لأن العرب اذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده وأظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الأمر وشمول ضرره •• قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

الشَّمْسُ طَالعةٌ لَيْستْ بكَاسفةٍ   تبْـكي عليك نُجُومَ اللَّيلِ وَالقمرَا

٠٠ وقال يزيد بن مفرّغ الحميري

الرِّيحُ تبْـكي شجْوَهَا   وَالبَرْقُ يَلْمعُ في الغَمَامَهْ

٠٠ وهذا صنيعهم في وصـف كل امرئ جلّ خطبه وعظم موقعه فيصـفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهاراً لفقد الشمس وضوئها ٠٠ قال النابغة

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالعةٌ   لاَ النُّورُ نُورٌ وَلاَ الإِظْلاَمُ إظْلاَمُ

٠٠ وقال طرفة

ان تُنَـوِّلْهُ فقَـدْ تمْنَعُهُ   وَتُرِيهِ النجمَ يجْرِي بالظُّهُرْ

٠٠ ومن هذا قولهم لأرينك الكواكب بالنهار ومعناه أورد عليك مايظلم له في عينك النهار فتظنه ليلا ذا كواكب ٠٠ وأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة ٠٠ أحدها انه أراد الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم الرزء قد سلبها ضوءها فلم ينافِ طلوعها ظهور الكواكب ٠٠ والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا أكلمك الأبد والدهر وطوال المدى وماجري مجرى ذلك فكأنه أخبر بان الشمس تبكيه ماطلعت النجوم وظهر القمر ٠٠ والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليـل باكين الشمس على هذا المرثي فبكتهن أي غلبتهن بالبكاء كما يقال باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته أي غلبته وفضلت عليه ٠٠ وثالثها أن يكون معنى الآية الاخبار عن انه لا أحد أخذ بثارهم ولا انتصر لهم لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل الا بعد الأخذ بثاره وقتل من كان بواءً به من عشيرة القاتل فكني تعالي بهذا اللفظ عن فقد الانتصار والأخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن ٠٠ ورابعها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التأويل ماروي عن ابن عباس في قوله تعالى ما بكت عليهم السماء والارض قيل له أو يبكيان على أحد قال نعم مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء ٠٠ وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا

مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده ‥ قال ابن مقبل

لعمرُ أبيكَ لقدْ شاقَني مكَانٌ حزِنْتُ لهُ أوْ حزِنْ

‥ وقال مزاحم العقيلي

بكَتْ دارُهُمْ منْ أجلهمْ فتهلّتْ دُمُوعي فأيَّ الجازِعينَ ألُومُ
أمُستعبِرًا يبكي منَ الهونِ والبلا وآخرَ يبكي شجوَهُ ويَتيمُ

فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقامٌ صالح فى الأرض ولا عمل كريم يرفع الي السماء جاز أن يقال فما بكت عليهم السماء والارض ‥ ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون البكا فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية أن السماء لم تسق قبورهم ولم تجُدْ عليهم بالقطر على مذهب العرب المشهور فى ذلك لأنهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من أعزائهم ويستنبتون لمواضع حفرهم الزهر والرياض ‥ قال النابغة

فمَا زالَ قبرٌ بينَ تُبْنى وجاسمٍ عليهِ منَ الوَسمي طلٌّ ووابلُ [1]
فينْبتَ حوْذانًا وعوْفًا منوّرًا سأُتبعهُ منْ خيرِ ما قالَ قائلُ

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسئلة الله لهم الرضوان والفعل الذى أضيف الي السماء وان كان لا يجوز اضافته الي الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان

---

(١) ـ تبنى ـ بضم أوله وسكون ثانيه مقصور بلدة بحوران من أعمال دمشق وقال ابن حبيب تبنى قرية من أرض الثنية لغسان قال ذلك في تفسير قول كثير

أكاريس حلّت منهم مرج راهط فأكناف تبنى مرجها فتلالها
كأن القيان الغر وسط بيوتهم نعاجٌ بجوٍّ من رُماح حلالها

ـ وجاسم ـ موضع آخر بالشام دفن بين هذين الموضعين أحد آل جفنة فرثاه النابغة ـ وطل ـ يروى بدله جود ـ والوسمي ـ مطر الربيع الاول ويقال للمطر الثاني الولي لأنه يليه

يقدر لها فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل مثل هذا ٠٠ قال الشاعر

يَالَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا　　مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه أراد حاملا رمحاً ومثل هذا يقدر في الآية فيقال انه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم وان الأرض لم تعشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه

[تأويل خبر] ٠٠ روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحب الأعمال الى الله عز وجل أدومها وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي وصفه تعالى بالملل وجوه أربعة * أولها انه أراد نفي الملل عنه وانه لا يمل أبداً فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتي يلج الجمل في سم الخياط) ٠٠ وقال الشاعر

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تُنَاهِي　　اذَا مَاشِبْتَ أَوْ شَابَ الغُرَابُ

أراد انك لا تحكم أبداً ٠٠ فان قيل ومن أين قلتم انما علقه به لا يقع حتى حكمتم بأنه أراد نفي الملل على سبيل التأبيد ٠٠ قلنا معلوم ان الملل لا يشتمل البشر في جميع آرابهم وأوطارهم وانهم لا يعرون من حرص ورغبة وأمل وطمع فلهذا جاز أن يعلق ماعلم تعالى أنه لا يكون بمللهم ٠٠ والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللا وان لم يكونا في الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه ٠٠ قال عدي بن زيد العبادي

ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرُ بِهِمْ　　وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرِّجَالِ

٠٠ وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

سَائِلْ بِنَا حُجْرَ ابْنَ أُمِّ قَطَامِ اذْ　　ظَلَّتْ بِهِ السُّمْرُ الذَّوَابِلُ تَلْعَبُ[1]

(١) ـ حجر بن أم قطام ـ هو حجر بن عمرو الكندي أبو امرئ القيس الشاعر وكان حجر هذا ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فامتنعوا منه فسار

فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيهاً •• وقال ذو الرمة

وَأبيضُ مَوْشيُّ القميصِ نَصبتُهُ   على خصْرِ مِقلاةٍ سَفيهٍ جديلُها

فسمى اضطراب زمامها وشدة تحركه سفهاً لأن السفه في الا صل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط •• وأما قوله ــ وأبيض موشي القميص ــ فانما عنى سيفه وقميصه جفنه والمقلاة الناقة التي لا يعيش لها ولد * والوجه الثالث أن يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله ففعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله مللا وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظتين في الصورة وان اختلفتا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم •• وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها﴾ •• ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي

ألا لا يَجهلنْ أحدٌ علينا   فنَجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

وانما أراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به •• والوجه الرابع أن يكون الراوي وهِمَ وغلط من الفتح الى الضم وان يكون قوله يُمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان أحدهما انه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا

اليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى فسموا عبيد العصى وأسر منهم جماعة فيهم عَبيد بن الأبرص الأسدي فقام بين يدى الملك •• فقال

يا عين فابكي ما بني   أسد هم أهل الندامه
أهل القباب الحمر والـ   ـنعم المؤبل والمدامه
في كل واد بين يثـ   ـرب والقصور الى اليمامه
تطريب عان أو صيا   ح محرق وزقاء هامه
أنت المليك عليهم   وهم العبيد الى القيامه

فرحمهم الملك وعفا عنهم وسرحهم الى بلادهم ثم انهم أغاروا عليه في غرة منه فقتلوه واستولوا على أمواله فقال عبيد عدة قصائد يفتخر بذلك

عن طاعته لان الملة هي مشتوي الخبز يقال ملّ الرجل الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد • والمعنى الثاني أن يكون أراد انه لا يسرع الي عقابكم بل يحلم عنكم رفقاً وحتى تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم المحارم وتتابعكم في المآثم •• وروي انه قيل للفرزدق هل حسدت أحداً على شئ من الشعر فقال لا لم أحسد على شئ منه إلا ليلى الأخيلية في قولها

وَمُخَرَّقٍ عنهُ القَميصُ تخالُهُ ... بينَ البيُوتِ منَ الحياءِ سَقيما
حتَّي اذَا رُفعَ اللَّوِيُّ رأَيتَهُ ... تَحتَ اللّوِيّ على الخميسِ زَعيما[1]
لاَ تقربنَّ الدَّهرَ آلَ مُطَرِّفٍ ... لاَ ظَالمـاً أبدًا وَلاَ مَظلوما

•• قال على أنى قد قلت

ورَكبٍ كأَنَّ الرِّيحَ تَطلُبُ عندَهم ... لهَا تِرَةً من جَذْبِهَا بالعَصائبِ
سَرَوْا يَخْبطُونَ اللَّيلَ وَهيَ تَلُفُّهُمْ ... إلي شُعَبِ الاكوارِ من كلِّ جانبِ
اذَا أبصَرُوا نارًا يقُولونَ ليتَها ... وَقَدْ خصِرَتْ أَيْدِيهِمُ نارَ غَالبِ[2]

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلى بل هي أجزل ألفاظاً وأشد أسراً الا أن أبيات ليلى أطبع وأنصع •• وقد كان الفرزدق مشهوراً بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والافراط في استحسان مستحسنه •• وروي ان الكميت بن زيد الاسدي رحمه الله لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته التى أولها

---

(١) ــ اللوى ــ اللواء سمى بذلك لأنه يلوى به يقال ألوى الرجل بثوبه اذا أشاح به ــ والخميس ــ الجيش لأن له خمسة أركان مقدمة ومؤخرة وقلب وجناحان ــ والزعيم ــ الكفيل بالأمر القائم به

(٢) ــ خصرت ــ أصابها الخصر وهو شدة البرد ــ وغالب ــ أبو الفرزدق •• يقول انهم يتمنون اذا أبصروا ناراً أن تكون نار غالب لانهم يرون عندها من القرى مالا يرون عند نار أخرى

أتصرِمُ الحبلَ حبلَ البينِ لم أَم تصلُ ... فكيفَ والشيبُ في فوديكَ مشتعلُ

والأبيات

لما عبأتَ لقوسِ المجدِ أسهمها ... حيثُ الجدودُ على الأحسابِ تتّصلُ

أحرزتَ من عشرِها تسعاً وواحدةً ... فلا العمى لكَ من رامٍ ولا الشللُ

الشمسُ إياكَ إلا أنها امرأةٌ ... والبدرُ إياكِ إلا أنهُ رجلُ

حسده الفرزدق فقال له أنت خطيب وانما سلّم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر ولما بهره من حسن الابيات وأفرط بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها الي معنى الخطابة ٠٠ وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه به من أدل دليل على حسن نقده وقوة بصيرته فيه وان كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل أيضاً على انصافه فيه وأنه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى والاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر وفضل الى أن يعموا عن محاسن غيرهم ويستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير ٠٠ ولابيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول ٠٠ أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال سليمان للفرزدق أنشدني فأنشده الابيات التي تقدم ذكرها فاسودّ وجه سليمان وغاظه فعله وكان يظن أنه ينشده مديحاً له فلما رأى نصيب ذلك قال ألا أنشدك فانشده

أقولُ لركبٍ قافلينَ لقيتُهم ... قفا ذاتِ أوشالٍ ومولاكَ قاربُ

قفوا خبّروني عن سليمانَ إنني ... لمعروفهِ من أهلِ ودّانَ طالبُ

فعاجوا فأثنوا بالذي أنتَ أهلهُ ... ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ

فقال له سليمان أنت أشعر أهل جلدتك ٠٠ وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما سأله عنه سليمان ٠٠ وروي أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان

أحسنت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول

وَخيرُ الشّعرِ أَكْرمُهُ رِجَالاً وَشرُّ الشعْرِ ماقَالَ العَبيدُ

ولا شبهة في ان أبيات الفرزدق مقدمة فى الجزالة والرصانة على أبيات نُصَيب وان كان نصيب قد أغرب وأبدع فى قوله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب * الا ان أبيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وأبيات الفرزدق جاءت فى غير وقتها على غير وجهها فلهذا قدمت أبيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الذروة العلياء والغاية القصوى شريف الآباء كريم البيت له ولآبائه مآثر لاتدفع ولا تجحد والفرزدق لقبٌ لقب به وليس باسمه وانما لقب به لجهامة وجهه وغلظه لأن الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التى تتخذ منها النساء الفتوت ٠٠ واسمه همام بن غالب وكنيته أبو فراس وقيل انه كان يكنى فى شبابه بأبي مكية [1] وهي أغرب كناه ٠٠ وكان شيعيا مائلا الي بني هاشم ونزع فى آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على انه لم يكن فى خلال فسقه منسلخاً من الدين جملة ولا مهملا أمره أصلا ٠٠ ومما يشهد بذلك ما أخبرنا به على بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيي الصولى عن أبى حفص الغلاّس عن عبد الله ابن سوّار عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت أحادثه فسمعت صوت حديد يتقعقع فتأملت الامر فاذا هو مقيد الرجلين فسألت عن السبب

---

(١) كنى بذلك ببنت له اسمها مكية وكانت كأبيها حاضرة الجواب خبيثة اللسان فيقال ان رجلا قرع باب الفرزدق يسأل عنه وكان مقطوع اليد فخرجت اليه مكية فسألها عن أبيها فقالت انه خرج في بعض حاجه ثم قالت مالي أرى يدك مقطوعة فقال قطعها الحرورية فقالت بل قطعت فى اللصوصية فانصرف الرجل خجلا ثم جاء الفرزدق فأخبر بذلك فقال أشهد انها بنتي حقاً ثم أنشأ يقول

حام اذا ما كنت ذا حميه بدارمي بنته صبيه صمحمح يكنى أبامكيه

وكانت مكية هذه من زنجية

فى ذلك فقال انى آليتُ على نفسى انى لا أنزع القيد من رجلى حتي أحفظ القرآن

•• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال أخبرنا أبو ذر القراطيسى قال أخبرنا ابن أبي الدنيا قال أخبرنا الرّياشى عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام تقذف المحصنات فقال واللهِ اللهُ أحب الىَّ من عينىّ هاتين أفتراه يعذبني بعدها

•• وروى انه تعلق باستار الكعبة فعاهد الله علي ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما •• وقال

أَلَمْ تَرَنى عاهدتُ رَبي وإنَّني لبيْنَ رِتَاجٍ قَائماً ومَقامِ

على حلفةٍ لاَ أَشتمُ الدَّهرَ مُسلماً وَلاَ خارجاً مِنْ فِيَّ زُورُ كَلامِ

أطعتُكَ ياإبليسُ تسعينَ حجةً فلمَّا قضى عمْرى وَتمَّ تمامي

فَزِعتُ إلي رَبي وأَيقنتُ أنَّني مُلاَقٍ لأَيَّامِ الْحُتُوفِ حمامي

•• وروى الصولي عن الحسين بن الفيّاض عن إدريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان أوثقنا بالله فقال له رجل ألك هذا الرَّجاء والمذهب وأنت تقذف المحصنات وتفعل ماتفعل فقال أترونى لو أذنبت ذنباً الى أبويّ أكانا يقذفاني فى تنور وتطيب أنفسهما بذلك فقلنا لابل كانا يرحمانك قال فأنا والله برحمة ربى أوثق منى برحمتهما ••وأخبرنا أبوعبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعيد الورّاق قال حدثنى محمد بن محمد بن سليمان الطفاوى قال حدثنى أبى عن جدى قال شهدت الحسن البصرى فى جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان الفرزدق حاضراً فقال له الحسن وهو عند القبر ياأبا فراس ماأعددت لهذا المضجع قال شهادة أن لاإله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب •• وفي رواية أخرى أنه قال نعم ماأعددت ثم قال الفرزدق فى الحال

أَخَافُ وَرَاءَ القَبْرِ إنْ لمْ يُعافني أَشَدَّ منَ المَوْتِ التهاباً وأَضيقا

إِذَا جاءَني يَوْمَ القِيامةِ قائدٌ عَنيفٌ وسَوَّاقٌ يَسُوقُ الفرزدقا

لقدخاب من أولاد آدم من مشى   إلي النار مغلول القلادة أزرقا
يقاد إلي نار الجحيم مسربلاً   سرابيل قطران لباساً محرّقا

.. قال فرأيت الحسن يدخل بعضه فى بعض ثم قال حسبك .. ويقال ان رجلا رأى الفرزدق بعد موته فى منامه فقال مافعل الله بك فقال عفا عني بتلك الابيات .. وأما مايدل علي تشيعه وميله الى بنى هاشم فما أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمرو ابن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلاّبي قال حدثنا مهدى بن سابق قال حدثنا أبولبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال ياعمّ انى قد قلت قصيدة أريد أعرضها عليك فقال له قل .. فانشده

* طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب *

فقال له الفرزدق فالي من طربت ثكلتك أمك فقال

* ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب *

ولم تلهني دار ولا رسم منزلٍ   ولم يتطرّبني بنان مخضّب

فقال له إلام طربت فقال

ولا أنا ممن يزجر الطير همّه   أصاح غراب أم تعرّض ثعلب

[قال المرتضي رضى الله عنه] .. تقف علي الطير ثم تبتدئ بهمه ليعلم الغرض

ولا السانحات البارحات عشيّةً   أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضب [1]

ولكن إلي أهل الفضائل والنهى   وخير بني حوّاء والخير يطلب

.. قال الفرزدق هؤلاء بنو دارم .. فقال الكميت

---

(١) ـ السانحات ـ جمع سانحة ـ والبارحات ـ جمع بارحة والسانح من الطير ما مرّ من مياسرك الى ميامنك والبارح بعكسه والعرب كانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح .. ومن أمثالهم من لي بالسانح بعد البارح أى بالمبارك بعد المشؤم

إلى النَّفَرِ البيضِ الَّذينَ بِحُبِّهِمْ ... الى اللهِ فيما نَابَني أَتَقَرَّبُ

فقال الفرزدق هؤلاء بنو هاشم فقال الكميت

بَني هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبيِّ فانَّني ... بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَارًا وأَغْضَبُ

فقال له الفرزدق والله لوجزتهم الي سواهم لذهب قولك باطلا .. ومما يشهد أيضاً بذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني .. قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا جدى يحيي ابن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من أهل الادب أن علي بن الحسين عليه السلام حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمِ ... هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ

هَذَا الذَّي تَعْرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَهُ ... وَالبيْتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

اذَا رأَتْهُ قُرَيْشٌ قالَ قائلُها ... الي مكَارِمِ هذَا يَنْتَهي الكَرَمُ

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ رَاحتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ اذَا ماجاءَ يَستَلِمُ

يُغْضِي حياءً وَيُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ ... فَما يُكَلِّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

أيُّ القَبَائِلِ لَيستْ في رِقَابِهِمُ ... لأَوَّلِيَّةِ هـذَا أَوْلَهُ نِعَمُ

مَنْ يَشكُرِ اللهَ يَشكُرْ أَوَّلِيَّةَ ذَا ... فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هذَا نَالَهُ الأُمَمُ

.. وفى رواية الغلابى أن هشام بن عبد الملك حج فى خلافة عبد الملك أو الوليد وهو حدث السن فاراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينظر خلوةً فاقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء وهو من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً بين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحَّى الناس له عنه حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال له رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لاأعرفه لئلا يرغب فيه أهل

الشام فقال الفــرزدق وكان هناك حاضراً لكنى أعرفه وذكر الأبيات وهى أكثر مما روينآه لكنا تركناها لانها معروفة ٠٠ قال فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة فبلغ ذلك عليّ بن الحسين عليه السلام فبعث الي الفرزدق باثني عشر ألف درهم وقال اعذرنا ياأبا فراس فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر منها لوصلناك به فردّها الفرزدق وقال يابن رسول الله ماقلت الذى قلت الا غضباً لله ولرسوله وما كنت لارزأ عليه شيئاً وردّها اليه فردها عليه وأقسم عليــه فى قبولها وقال له قد رأى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن أهل بيت اذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيــه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو فى الحبس ٠٠ ومما هجاه به

أَتَحْبسُني بَينَ المدينَةِ وَالّتي ... اليهَا رقابُ النّاس يَهْوِي مُنيبهُا
يُقَلّبُ رَأْساً لَمْ يكن رَأْسَ سَيّدٍ ... وَعَيْناً لَهُ حوْلاَءَ بَادٍ عيُوبُها



مجلس آخر ٦

[ان سأل سائل] ٠٠ فقال ماعندكم فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلاّ مَنْ رَحِمَ رَبّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ وظاهر هذه الآية يقتضي أنه تعالى ماشاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا بخلاف ماتذهبون اليه ٠٠ ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من أن يكون عــنى إنه للاختلاف خلقهم أو للرحمة ولا يجوز ان يعنى الرحمة لأن الكناية عن الرحمة لاتكون بلفظة ذلك ولو أرادها لقال ولتلك خلقهــم فلما قال ولذلك خلقهــم كان رجوعه الي الاختلاف أولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها لان الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله تعالى الامن رحم دالا على الرحمة فكذلك قوله مختلفين دالا على الاختلاف على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لايجوز على الله تعالى ومتى ماتُعُدِّيَ بها ماذكرناه لم يعن بها الا العفو وإسقاط الضرر وماجرى

مجراها عن مستحقه وهذا مما لايجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لأنه لوخلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين ٠٠ الجواب يقال له أماقوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى بها المشيئة التى ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار وانما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وانه لايغالب ولا يعصى مقهوراً من حيث كان قادراً على العباد واكراههم على ماأراد منهم ٠٠ فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف[1] بدليل العقل وشهادة اللفظ ٠٠فاما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز أن يكون شائياً له ومخبرا بخلق العباد عليه ٠٠ وأما شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين اليها أولى فى لسان العرب ٠٠ فاما ماطعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة لاتكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيقى واذا كنى عنها بلفظة التذكير كانت الكناية على المعني لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرّنى كلمتك يريدون سرّني كلامك وقال تعالى (هذا رحمة من ربي) ولم يقل هذه وانما أراد هذا فضل من ربي ٠٠ وقالت الخنساء

فذلكِ ياهندُ الرَّزيةُ فاعلمي وَنيرانُ حَربٍ حينَ شَبَّ وَقودُها

أرادت الرزء ٠٠ وقال امرؤ القيس

---

(١) ــ قلت ــ بل الصواب أن يعود على الاختلاف لا لأن رجوع اسم الاشارة على الرحمة غير ممكن بل لأن السياق يدل على خلافه فان الله جل شأنه ذكر صنفين من خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله ولذلك خلقهم فعمّ بقوله ذلك صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما انه ميسر لما خلق له ومعنى قوله ولذلك خلقهم على هذا انه على علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم انه يكون فيهم المؤمن والكافر والشقى والسعيد خلقهم فاللام فى قوله ولذلك بمعنى على وبهذا يندفع كل اشكال يرد هنا

بِرَهْرَهَةٍ رَوْدَةٍ رَخْصَةٍ ... كَخُرْعُوبَةِ البَانَةِ المُنْفَطِرْ[1]

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن •• وقال الآخر

هَنِيئًا لِسَعْدٍ مَا اقْتَضَى بَعْدَ وَقْعَتِي ... بِنَاقَةِ سَعْدٍ وَالعَشِيَّةُ بَارِدُ

فذكّر الوصف لانه ذهب الى العشيّ •• وقال الآخر

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِهِ ... مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ

تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ ... قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه أراد شخصاً ذا غربة ••وقال زياد الاعجم

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ ضُمِّنَا ... قَبْرًا بِمَرْوَ عَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ

•• فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا •• قال الفراء لأنه ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران والعرب يقولون قصارة الثوب يعجبني لان تأنيث المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر •• وقال الفرزدق

تَجُوبُ بِنَا الفَلَاةَ الى سَعِيدٍ ... إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الأَرْطَاةِ قَالَا

فذكر الوصف لأنه أراد التيس ••فأما ـ الارطاة ـ واحدة الارطى وهو شجر ينبت في الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحر وتأوى اليه •• قال الشماخ

إِذَا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ ... خُدُودُ جَوَازِئٍ بِالرَّمْلِ عِينِ

•• وقوله ـ قالا ـ من القيلولة لا من القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل أيضاً على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير في موضعه لأن الفعل مذكّر ويجوز أيضاً أن يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن

---

(١) ـ الرهرهة ـ الناعمة البيضاء من النعمة ـ والرودة ـ اللينة من قولهم ريح رود أي لينة ـ والرخصة ـ الغضة الناعمة ـ والخرعوبة ـ والخرعوب الغصن لسنته أو الغصن السامق الناعم الحديث البنات

اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه أمة واحدة [1] ولا محالة ان لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى ﴿ وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ .. وقال قوم في قوله تعالي ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ان معناه انه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة فيكونوا فى وصول جميعهم الى النعيم أمة واحدة وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في انه أراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن ان ترجع لفظة ذلك الي ادخالهم أجمعين الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الي نعيمها .. فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات .. وذكر أبو مسلم محمد بن بحر فى قوله مختلفين وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم فى الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك اختلفوا وسواء قولك قتل بعضهم بعضاً واقتتلوا .. ومنه قولهم لاأفعل كذا مااختلف العصران والجديدان أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنه فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من أحسن الي غيره وأنعم عليه يوصف بأنه رحيم به وان لم تعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لايعهدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من لارقة عنده أكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا أن من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا أنعم وصف بذلك فوجب أن يكون معناها ماذكرناه على أنه لايمتنع أن يكون معنى الرحمة فى الاصل ماذكرتم ثم انتقل بالتعارف الي ماذكرناه كنظائره وقد وصف الله القرآن بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتأتى فى القرآن ماظنوه وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها مما

---

(١) ـ قلت ـ هذا الجواب لا يتمشى الا على مذهب المعتزلة الذين يجوزون على البارى جل شأنه أن يقع فى ملكه ما لايريد .. أما على مذهب أهل السنة فلا يصح لأنه لو خلقهم للاجتماع على الايمان لم يفترقوا فيه

يجاوره الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده نخلٌ محل وصف الشهوة بانها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم وصنوف الاحسان ألا ترى انا نصف المنعم علي غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضرراً ولم يتجاوز له عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما جري مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجرى مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ماضمنه السائل سؤاله •• فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين فاي معني لاستثناء من رحم من جملة المختلفين ان كانت النعمة هي الرحمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة •• قلنا لاشبهة في ان نعم الله شاملة للخلق أجمعين غير ان في نعمه أيضاً مايختص بها بعض العباد إما لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص فاذا حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة به لاتكون الا مستحقة فمن استحق الثواب بأعماله وصل الي هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الآية علي النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقاً وان في الافعال مايختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لايمنع من شمول نعم أخر كما أن شمول تلك النعم لايمنع من اختصاص هذه

[تأويل خبر] •• روى أبومسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ماشئت وفي هذا الخبر وجوه من التأويل ثلاثة •• أحدها أن يكون معناه اذا علمت أن العمل لله وأنت لاتستحي من الناظرين اليك ولا تخوفهم أن ينسبوك فيه الي الرياء صنعت ماشئت لان فكرك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدود حقوقه واذا اطرحت الفكر توفّرت على استيفاء عملك •• والوجه الثاني ان من لم يستحي من المعاير والمخازي والفضائح صنع ماشاء والظاهر ظاهر أمر والمعني معنى تغليظ وانكار مثلي

قوله تعالى (اعملوا ماشئتم) وقوله عز وجل (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وهذا نهاية التغليظ والزجر والاخبار عن كبر الذنب واطراح الحياء ويجري مجرى قولهم بعد أن فعل فلان كذا فليفعل مايشاء وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ماشاء والمعنى المبالغة في التعظيم لما ارتكبه وقبح مااقترفه .. والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر اذا لم تفعل ماتستحي منه فافعل ماشئت فكأن المعنى اذا لم تفعل قبيحاً فافعل ماشئت لانه لاضرب من ضروب القبائح الا والحياء يصاحبه ومن شأن فاعله اذا قرّع به أن يستحي منه فمتى جانب الانسان مايستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبائح وما عدا القبيح من الافعال فهو حسن ويجري هذا مجرى خبر عن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما أظنه أن رجلا جاءه فاسترشده الى خصلة يكون فيها جماع الخير فقال عليه الصلاة والسلام أشترط عليك أن لاتكذبني ولن أسألك ماوراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كل ماهم بقبيح يفكر ويقول أرأيت لو سألني عنه النبي ماكنت قائلا له لانني ان صدقته افتضحت وان كذبته نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه لسائر القبائح وهكذا معنى الخبر الذى تأوّلناه لان في اجتناب مايستحي منه اجتنابا لسائر القبائح

[تأويل خبر آخر] .. روى محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال[1] كان قد كثر على مارية القبطية أم ابراهيم في ابن عم لها قبطيّ كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي عليه الصلاة والسلام خذ هذا السيف وانطلق به فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله أكون فى أمرك كالسكة المحماة أمضى لما أمرتني أم الشاهد يرى مالا يرى الغائب فقال النبي عليه الصلاة والسلام بل الشاهد يرى مالا يرى الغائب فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما أقبلت نحوه علم انى أريده فأتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا انه أجبُّ أمسح

---

(١) ــ قلت ــ في النفس من هــذا الحديث أشياء وفى عبارته ركة وفى سياقه اضطراب ولم يتيسر لنا حين النظر فيه الكشف عنه والوقوف على حقيقته وأغلب الظن إنه موضوع لا أصل له .

ماله مما للرجال قليل ولا كثير فغمدت السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال الحمد لله الذى يصرف عنا الرجس أهل البيت ٠٠[قال المرتضى] رضى الله عنه في هذا الخبر أحكام وغريب ونحن نبدأ بأحكامه ثم نتلوه بغريبه ٠٠فأول مافيه أن لقائل ان يقول كيف يجوز أن يأمر الرسول بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا مايجرى مجراها ٠٠والجواب عن ذلك ان القبطي جاز أن يكون من أهل العهد الذين أخذ عليهم أن تجري عليهم أحكام المسلمين وأن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية فخالف وأقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض العهد من أهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل ٠٠فأما قوله ــ بل الشاهد يرى مالايرى الغائب ــ فانما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا معنى فى هذا الموضع لرؤية البصر فكأنه عليه الصلاة والسلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الرأي والتدبير ما لا يصح للغائب ولولم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وانما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يخير بين قتله والكف عنه ويفوّض الى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق التى لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لأن ناقض العهد ممّن الى الامام القائم بأمر المسلمين اذا قدر عليه قبل التوبة أن يقتله وان يمن عليه ٠٠ ومما فيه أيضاً من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام لايقتضى الوجوب لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه وفى حسنها ووقعها موقعها دلالة على أنه لا يقتضى ذلك ٠٠ ومما فيه أيضاً من الاحكام دلالته على أنه لا بأس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر ينزل ولا يوجد من النظر اليها بدّ إمّا لحد يقام أو لعقوبة تسقط لان العلم بأنه أمسح أجب لم يكن الا عن تأمل ونظر وانما جاز النظر والتأمل لتبين هل هو ممن يكون منه ما قرف به أم لا والواجب على الامام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه مجبوب أن يأمر بالنظر اليه وتبين أمره وبمثله أمر النبي عليه الصلاة والسلام فى قتل مقاتلة بني قريظة لأنه أمر أن ينظروا الى مؤتزر كلّ من أشكل عليهم أمره فمن وجدوه قد أنبت قتلوه ولولا جواز النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعاً عليها ولم يتأمل أمرهما حتى

التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة وقد سأله عمن وجد مع امرأته رجلا أيقتله فقال لا حتى يأتي بأربعة شهداء ولو لم يكن للشهداء اذا حضروا تعمد النظر الى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم تقم شهادة الزنا لأن من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة ٠٠ فان قيل كيف جاز لأمير المؤمنين الكف عن القتل ومن أى جهة آثره لما وجده أجب وأي تأثير لكونه أجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد ٠٠ قلنا انه عليه الصلاة والسلام لما فوض اليه الامر فى القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال وان وجده أجب لان كونه بهذه الصفة لا يخرجه عن نقض العهد وانما آثر الكف الذى كان اليه ومفوضاً الى رأيه لازالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ولأنه أشفق من أن يقتله فيحقق الظن ويلحق بذلك العار فرأى عليه السلام ان الكف أولى لما ذكرناه ٠٠ وأما غريب الحديث فقوله شغر برجله يريد رفعها وأصله فى الوصف اذا رفع رجله للبول فأما نكاح الشغار فبالكسر وقد قيل الشغار بالفتح وهو أن يزوج الرجل من هو وليها من بنت أو أخت غيره على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر وكان أحد العرب فى الجاهلية يقول للآخر شاغرنى أي زوّجني حتى أزوجك وأظنه مأخوذاً من الشغر الذى هو رفع الرجل لان النكاح فيه معنى الشغر فسمي هذا العقد شغارا و مشاغرة لافضائه في كل واحد من المتزوجين الى معني الشغر وصار اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين يتسافحان الماء أي يسكبانه والماء هو النطفة ٠٠ ويمكن أن يكون أيضاً الماء الذى يغتسلان به فكني بذلك عن الزنا ثم صار اسما له وعلماً عليه ٠٠ ومن الشغر الذى هو رفع الرجل قول زياد لابنة معاوية وكانت عند ابنه وافتخرت يوما عليه وتطاولت فشكاها الى أبيه زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول لها أشغراً ونخراً ٠٠ وأما قول الفرزدق

شَغَّارَةٌ تَقِذُ الفَصِيلَ بِرِجْلِهَا ... فَطَّارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ

٠٠ فانه من غريب شعره وفسره قال ـ شغارة ـ انها ترفع رجلها بالبول وقوله ـ تقذ الفصيل برجلها ـ أي تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب أو أراد بتقذه أي تبالغ فى إيلامه وضربه ومنه الموقوذة فاما قوله ـ فطارة لقوادم الابكار ـ فالفطر

هو الحلب بثلاث أصابع والقوادم هي الاخلاف وانما خص الابكار بذلك لان صغر أخلافها يمنع من حلبها ضبًا ــ والضب ــ هو الحلب بالاصابع الاربع كلها فكأنه لا يمكن فيها لقصر أخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعييره نساء جرير بأنهن راعيات وذلك مما تعير به العرب النساء ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت

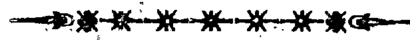
كَمْ عَمَّةٍ لكَ ياجَرِيرُ وَخَالَةٍ فَدْعاءَ قَدْ حَلَبتْ عليّ عِشَارِي

كُنا نُحَاذِرُ أنْ تَضِيعَ لِقَاحُنَا وَلَهاً إِذَا سَمِعَتْ دُعَاءَ يَسَارِ

ثم تلا ذلك بقوله شغارة .. [قال المرتضى رحمة الله عليه] وعندى أن قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه أن يكون مراده فى هذا الموضع ألا ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار ــ ويسار ــ اسم راع فكأنه قد وصفها بالوله الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ ما استحفظته من اللقاح فالأشبه أن يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ما أشرنا اليه .. فاما قولهم ذهبوا شغَر بغر فليس من هذا في شيء وانما يراد به انهم ذهبوا مفرّقين مشتتين ومثله ذهبوا عباديد وشعاليل وشعارير وأيادى سبأ كل ذلك بمعنى واحد .. وأما قوله ــ فاذا انه أجب ــ فيعني به المقطوع الذكر لأن الجب هو القطع ومنه بعير أجب اذا كان مقطوع السنام وقد ظن بعض من تأول هذا الخبر أن الامسح ههنا هو قليل لحم الالية كالارصع والأرسح والازلّ وهذا غلط لان الوصف بذلك لامعنى له فى هذا الخبر وانما أراد تأكيد الوصف له بانه أجب والمبالغة فيه لان قوله أمسح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد على معنى أجب زيادة ظاهرة .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى القاسم بن الحسن الورّاق قال حدثنا سليمان بن داود الطوسي قال حدثنا سوّار بن عبد الله القاضى عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد في الليل فتذاكرنا أحوال القمر فقلت العرب تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما أنت ابن ليلة قال رضاع سُخَيْلَةٍ حل أهلها برُمَيْلَة .. قيل له فما أنت ابن ليلتين قال حديث أمتين بكذب ومين .. قيل له ماأنت ابن ثلاث قال قليل اللّبَاث . وقيل أيضاً حديث فتيات غير جدٍّ مؤتلفات .. قيل له فما أنت ابن أربع قال عتمة أمّ رُبَع وقيل عتمة أم الرُّبَع غير جائع ولا مرضَع .. قيل له فما أنت ابن

خمس قال عشاء خلفات قعس ويقال حديث وأنس ويقال سر ومس ‥ قيل له فما أنت ابن ست قال سر وبت ويقال تحدث وبت ‥ قيل فما أنت ابن سبع قال دلجة ضبع وقيل هدىً لأنس ذى الجمع وقيل حديث جمع وقيل يضفر فى النسع وقيل يلتقط فيّ الجزع ‥ قيل فما أنت ابن ثمان قال قمرٌ أضحيان ‥ قيل فما أنت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يضفر فيّ الجزع وقيل يلتقط فى الجزع وقيل الودَع وقيل عشية أهل جمع ‥ قيل فما أنت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل أؤدّيك الى الفجر وقيل أبادر الفجر ‥ قيل فما أنت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاءً وأري بكرة وقيل وأغيب بسحرةٍ ‥ قيل فما أنت ابن اثنتي عشرة قال مؤنق للبشر للبدو والحضر ‥ قيل فما أنت ابن ثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى له الناظر ‥ قيل له فما أنت ابن أربع عشرة قال مقتبل الشباب أضيء مدجنات السحاب وقيل مضيء للسحاب ‥ قيل فما أنت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب ‥ قيل فما أنت ابن ست عشرة قال ناقص الخلق بالغرب والشرق ‥ قيل فما أنت ابن سبع عشرة قال أمكنت المقتفر القفرة ‥ قيل فما أنت ابن ثماني عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء ‥ قيل فما أنت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع بيّن الخشوع ‥ قيل فما أنت ابن عشرين قال أطلع بسحرة وأضيء بالبُهْرة وقيل أهجّر بالبهرة ‥ قيل فما أنت ابن احدي وعشرين قال كالقبس يرى بالغلس ‥ قيل فما أنت ابن اثنين وعشرين قال لا أطلع الا ريث ما أرى ‥ قيل فما أنت ابن ثلاث وعشرين قال أطلع فى قتمة ولا أجلو الظلمة ‥ قيل فما أنت ابن أربع وعشرين قال لاقمر ولا هلال ‥ قيل فما أنت ابن خمس وعشرين قال دنا الأجل وانقطع الأمل ‥ قيل فما أنت ابن ست وعشرين قال دنا مادنا فلا يرى منى الا شفا ‥ قيل فما أنت ابن سبع وعشرين قال أطلع بكراً ولا أرى ظهراً ‥ قيل فما أنت ابن ثمان وعشرين قال أسبق شعاع الشمس ‥ قيل فما أنت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يراني الا البصير ‥ قيل فما أنت ابن ثلاثين قال هلال مستبين ‥ قال الأصمعي ثم قلت للرشيد يقال انه لايحفظ هذا الحديث من الرجال الا عاقل وقال خذه عليّ قلت هات فاعاده حتى بلغ الى قيل له ماأنت ابن ثمان قال قمر

أضحيان •• قوله اما رضاع سخيله أراد تصغير سخله والمعني ان القمر يبقي بقدر ماينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويرتحلون فبقاؤه في الأفق بمقدار هذا الزمان •• وقوله حل أهلها برميله فأظن ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللباث وسرعة الانتقال لأن الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الأرض وهضبها والأماكن التي لاتستولى السيول عليها فخص الرميلة لهذا المعنى •• وقوله حديث أمتين بكذب ومين يريد أن بقاؤه قليل بمقدار ماتلتقي الأمة الأمة فتكذب لها حديثاً ثم يفترقان •• وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات يريد انه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحادثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات •• وقوله عتمة أم الربع يقال عتمت إبله اذا تأخرت عن العشاء •• وقوله أم ربع يعني الناقة وهو تأخير حلبها يريد أن بقاءه بمقدار ماتحلب ناقة لها ولد ولدته في أول الربيع وهو أول النتاج والولد في هذا الوقت يسمى رُبَعاً اذا كان ذكراً فان كان أنثى قيل رُبَعة فان كان في آخر النتاج قيل هبع للذكر وللانثى هبعة •• وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتي قد استبان حملهن واحدها خلفة وهي واحدة المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها لاتعشى الى أن يغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن •• وقوله سروبت يريد انه لايبقى الا بقدر مايبيت الانسان ثم يسير •• وقوله قمر أضحيان أي ضاح وبارز ويقال قمرٌ أضحيانٌ بالتنوين فيهما جميعاً وقمر أضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة أضحيانة اذا كانت نقية البياض •• وقوله منقطع الشسع أراد أنه يبقى بقدر مايبقى شسع من قدٍّ يمشي به حتى ينقطع •• وقوله يلتقط في الجزع أي انه مضيء أبلج لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور مفصلة بجزع ماضاع منها شيء لضيائه وبقائه •• وقوله أضيء بالبهرة يعني لصفائه وسط الليل لأن بهرة الشيء وسطه •• وقوله أمكنت المقتفر القفرة فالمقتفر الذي يتبع الآثار وقفرته موضعه الذي يقصده



مجلس آخر ٧

[إن سأل سائل] عن قوله تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى

وَأَضلُّ سَبيلاً) فقال كيف يجوز أن يكونوا فى الآخرة عمياً وقد تظاهر الخبر عن الرسول بان الخلق يحشرون كما بدؤا سالمين من الآفات والعاهات قال الله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) وقال الله تعالى (وكما بدأكم تعودون) وقال جل وعز (فبصرك اليوم حديد) •• الجواب يقال فى هذه الآية أربعة أوجه •• أحدها أن يكون العمي الاول انما هو عن تأمل الآيات والنظر فى الدلالات والعبر التى أراها الله تعالى المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمي الثاني هو عن الايمان بالآخرة والاقرار بمايجازى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب •• وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى (ربكم الذى يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) الي قوله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ثم قال بعد ذلك (ومن كان فى هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) يعنى في هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة أعمى أي هو عما غيّب عنه من أمر الآخرة أعمى ويكون قوله فى هذه كناية عن النعم لاعن الدنيا •• ويقال از ابن عباس سأله سائل عن هذه الآية فقال له اتل ماقبلهافنبهه على التأويل الذى ذكرناه •• والجواب الثاني من كان في هذه يعنى الدنيا أعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما أوجب الله عليه المعرفة به فهو فى الآخرة أعمى عن الجنة والثواب بمعني أنه لايهتدى الى طريقهما ولا يوصل اليهما أو عن الحجة اذا سئل وأوقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون يوم القيامةمنقطع الحجة مفقودالمعاذير •• والجواب الثالث أن يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثانى بمعنى المبالغة فى الاخبار عن عظم ماينالە هؤلاء الكفار الجهال بالله من الخوف والغم والحزن الذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله (لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وقوى حزنه أعمى سخين العين ويصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى (فَلَا تَعلَمُ نَفسٌ ماأُخفِي لَهُم مِن قُرَّةِ أَعيُنٍ جزَاءً بما كانوا يَعمَلُونَ) •• والجواب الرابع أن يكون العمى الأول عن الايمان والثانى هو الآفة في العين على سبيل العقوبة كما قال الله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾ ومن يجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما أنها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظيراً لقوله تعالى ﴿ وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ ويتأول قوله ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾ على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله فى الدنيا يكون عارفاً به في الآخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الأمر وزيد أبصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ أي كنت غافلا عما أنت الآن عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء بان أعلمناك وجعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فأما الخبر الذي يدعي رؤيته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما أمكن تأوله على ما يطابق هذا الجواب ومن ذهب الى الأجوبة الأول يجعل العمى الأول والثاني معاً غير الآفة فى العين فان عورض بقوله تعالى ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ تؤوله بالعمى عن الثواب أو عن الحجة وقال فى قوله لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيراً ان معناه انني كنت بصيراً فى اعتقادى وظنى من حيث كنت أرجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز أن يراد بالعمى الأول والثاني جميعاً الآفة في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان مكفوف البصر فى الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل وبمثله يبطل أن يراد بلفظة أعمى الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان ويبطله أيضاً أن العمى الذى هو الخلقة لا يُتعجب منه بلفظة افعل وانما يقال ما أشد عماه ولا يجوز أن يراد بالعمى الأول عمى العين والثانى العمي عن الثواب أو الجنة أو الحجة لانا نعلم ان فيمن عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل اليه ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا نعلم ان الجهال بالله تعالى المعرضين فى الدنيا عن معرفته لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق

بعد الذى أبطلناه الا ما دخل فى الأجوبة وعلى الأجوبة الثلاثة الأول اذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لأن عمي القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة أفعل وان لم يجر ذلك فى عمى الجارحة ٠٠ ولمن أجاب بالجواب الرابع أن لا يجعل قوله تعالى فهو فى الآخرة أعمى لفظة تعجب بل يجعله إخباراً عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله وأضل سبيلا ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل سبيلا ٠٠ فان قيل ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة افعل ٠٠ قلنا قد قال النحويون فى ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظة التعجب وانما يعدل فيها الى أشد وأظهر وماجرى مجراهما ٠ قالوا لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما أسوده ولا أعوره كما لا يقال ما أيداه وما أرجله بل يقال ما أشد سواده كما يقال ما أشد يده ورجله ٠٠ واعتلوا بعلة أخرى قالوا ان الفعل من الألوان والعيوب على افعلّ وافعالّ نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ألا ترى أنه لا يدخل فى انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة أحرف ٠٠ فان قيل لهم فقد قالوا عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من افعلّ وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت فى اسودّ واحمرّ ولولا أنه منقول لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب ٠٠ وحكى عن الفراء فى ذلك جوابان ٠ أحدهما ان أفعل فى التعجب فيه زيادة على وصف قبله اذا قال القائل أفضل وأجمل فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ولم يقولوا ما أبيض زيداً لئلا يسقط التزيد ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم فى أبيض وأحمر علم التزيد أدخلوا عليه مايبين الزيادة فيه وقالوا ما أظهر حمرة زيد وما أشد سواد عمرو لأن أظهر يزيد على ظاهر وأشد يزيد على شديد ٠٠ والجواب الآخر أن التعجب مبنيّ على زيادة يصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا ما أعلم زيداً ليدلوا على زيادة علمه لأنهم فى قولهم عالم وعليم لم يبلغوا فى التناهي مبلغ اعلم ولم يقولوا ما أبيض زيداً لأن البياض لا تأتي

منه زيادة بعد نقص فعدلوا إلى التعجب بأشد وما جرى مجراها وهذا الجواب ليس بسديد لأن الالوان قد تأتي فيها الزيادة بعد نقص وقد تدخل فيها المفاضلة ألا ترى انما حله قليل من أجزاء البياض يكون أنقص حالا في البياض مما حله لكثير من الأجزاء •• والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب وان كان ماقدمناه عن البصريين هو المعتمد •• وقد أنشد بعضهم معترضا على ماذكرناه قول الشاعر

يَاليْتَني مِثْلُكِ في اْلبيَاضِ أبيضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي أبَاضِ (١)

•• وأنشدوا أيضاً قول الشاعر

أمَّا المُلوكُ فأَنْتَ اليَوْمَ أَلأَمُهُمْ لُؤْماً وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبالَ طَبَّاخِ

فأما البيت الأول فان أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذّ النادر لا يطعن في المعمول عليه والمتفق على صحته ويجوز أيضاً أن يقال في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني ان أبيض فيه ليس هو للمفاضلة وانما هو افعل الذي مؤنثه فعلاء كقولهم أبيض وبيضاء ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجهاً وشريفهم خلقاً فكان الشاعر قال ومبيضهم فلما أضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا أحسن من حمله على الشذوذ •• ويمكن فيه وجه آخر وهو ان أبيض في البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولو انه أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة افعل والذي جوز تعجبه بهذه اللفظة ماذكرناه •• فأما قول المتنبي

أبْعِدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لاَ بيَاضَ لَهُ لأَنتَ أسْوَدُ في عَيْني منَ الظُّلَمِ

فقد قيل فيه ان قوله لأنت أسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم أي من جملة الظلم

---

(١) ــ أنشد ــ اللغويون البيت بلفظ

جارية في درعها الفضفاض أبيض من أخت بني أباض

ــ ودرع فضفاض ــ واسعة وجارية فضفاض ممتلئة

كما يقال حر من أحرار ولؤم من لئام أي من جملتهم .. قال الشاعر

وَأَبيضُ مِن مَاءِ الحدِيدِ كأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَا وَاللَّيلُ دَاجٍ عَسَاكِرُهُ

كأنه قال وأبيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصفٍ لأبيض وليس يتصل به كاتصال من بافضل في قولك هو أفضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي مرفوعة الموضع فانها وصف لأسود واذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع بأسود كما يقال زيد خير منك فمنك في موضع نصب بخير كأنه قال قد خارك بخيرك أي فضلك في الخير وهذا التأويل يمكن أن يقال فى قول الشاعر *ابيضُ من أختِ بَني اباضِ* ويحمل على انه أراد من جملتها ومن قومه ولم يرد التعجب وتأويله على هذا الوجه أولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي * أبعد بعدت بياضاً لابياض له *

فالمعنى الظاهر للناس فيه انه أراد لاضياء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله محزنا مؤذنا بتقضي الأجل وهذا لعمرى معنى ظاهر الا أنه يمكن فيه معنى آخر وهو ان يريد انك بياض لالون بعده لأن البياض آخر الألوان فى الشعر فجعل قوله لابياض له بمنزلة لالون بعده وانما سوّغ ذلك له أن البياض هو الآتي بعد السواد فلما نفى أن يكون للشيب بياض كان نفيا لان يكون بعده لون .. وقد اختلف القراء فى فتح الميم وكسرها من قوله تعالى ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الميمين وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائى بكسر الميم فيهما جميعاً وفى رواية حفص لايكسرهما وكسر أبو عمرو الاولى وفتح الأخيرة ولكل وجه .. أما من ترك امالة الجميع فان قوله حسن لان كثيراً من العرب لايميلون هذه الفتحة .. وأما من أمال الجميع فوجه قوله انه يحو بالالف نحو الياء ليعلم أنها تنقلب الى الياء .. وأما قراءة أبي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية افعل من كذا مثل أفضل من فلان فاذا جعلها كذلك لم تقع الألف فى آخر الكلمة لان آخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من أفعل الذى هو لتفضيل الجار والمجرور جميعا

وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى ﴿فانه يعلم السر وأخفى﴾ المعنى وأخفى من السر فكذلك قوله تعالى ﴿وأضل سبيلا﴾ فكما أن هذا لايكون الا على أفعل من كذا فكذلك المعطوف عليه

[تأويل خبر] •• روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تقيء الارض أفلاذ كبدها مثل الأُصطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجيء القاطع الرحم فيقول فى مثل هذا قطعت رَحِمي ويجيء السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً •• معني ــ تقيء ــ أي تخرج مافيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة •• وقوله تقيء تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا واظهاراً وكذلك تسمية مافى الارض من الكنوز كبداً تشبيهاً بالكبد التى فى بطن البعير وغيره وللعرب فى هذا مذهب معروف •• قال مرّة بن محكان[1] السعدى فى قِدْرٍ نصبها للاضياف

لها أَزيزٌ يُزيل اللحمَ إزملهُ عَنِ العظَامِ اذَا مَا اسْتُحْمِشَتْ غَضبَا

تَرْمي الصِّلَاةَ بنَبلٍ غَيْرِ طَائشةٍ وفقاً إِذَا آنَسَتْ منْ تَحْتِهَا لَهَبَا

فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة •• فأما ــ الازيز ــ فهو الغليان والعرب تقول لجوفه أزيز مثل أزيز المرجل ــ والازمل ــ الصوت ــ واستحمشت ــ أي غضبت يقال حمشه

---

(١) ــ محكان ــ بفتح أوله واسكان ثانيه من المماحكة وهي الملاحاة ورجل محكان عسر الخلق لجوج فان كان محكان اسمه فهو من قبيل تسميتهم بسارق وظالم وان كان لقباً له فلعله انما لقب به لسوء كان في أخلاقه : وكان يقال لمرة أبو الاضياف لمحبته لهم واكرامه اياهم وفى هذه القصيدة يقول لزوجته

وقلت لما غدوا أوصى قعيدتنا غذي بنيك فلن تلقيهم حقبا

ادعي أباهم ولم أقرف بأمهم وقد هجمت ولم أعرف لهم نسبا

أنا ابن محكان أخوالي بنو مطر أنمي اليهم وكانوا معشراً نجبا

وقتله صاحب شرطة مصعب بن الزبير ولا عقب له ــ وصلاة ــ فى بيتي الأصل جمع صال وهو المستدفيء بالنار ــ ونبلها ــ كناية عما يتطاير من القدر من الماء لشدة الغليان

أي أغضبه •• وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة

سألتني بأناسٍ هلكوا　　　شرب الدهر عليهم وأكل

فوصف الدهر بالأكل والشرب تشبيها واستعارة•• وقال قوم معنى البيت شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا •• واختلف أهل اللغة في الافلاذ•• فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لايكون الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال اعطنى فلذاً من الكبد وفلذة من الكبد•• قال أعشى باهلة

تكفيه حزّةُ فلذٍ إن ألمَّ بها　　　من الشواء ويروي شربَهُ الغُمَرُ

ـالغمرـ القدح الصغير••قال يعقوب ولايقال اعطني حزّة من السنام ولا من اللحم وانما الحزة في الكبد خاصة فاذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا أعطنى حذية من لحم وهي القطعة الصغيرة وفلقةً من سنام •• وقال الطوسى عن أبى عبيد عن الاصمعي قال يقال اعطنى حذية من لحم وحزة من لحم اذا كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة قلت اعطنى بضعة من لحم وهبرة من لحم وذرّة من لحم •• ومثل هذا الحديث قوله (وأخرجت الأرض أثقالها) معناه أخرجت مافيها من الكنوز•• وقال قوم عنى به الموتى وأنها أخرجت موتاها فسمي الله تعالي الموتى أثقالا تشبيها بالحمل الذى يكون في البطن لأن الحمل يسمى ثقلا قال تعالي (فلما أثقلت)•• والعرب تقول ان للسيد الشجاع ثقلا على الأرض فاذا مات سقط عنها بموته ثقل •• قالت الخنساء ترثي أخاها صخراً

أبعداً بن عمرو من آل الشريـ　　　ـد حلّت به الأرضُ أثقالها

معناه انه لما مات حلّ عنها بموته ثقل لسودده وشرفه •• وقال قوم معنى حلت زينت موتاها به وهو مأخوذ من الحلية •• وقال الشمردل اليربوعي يرثى أخاه

وحلّت به أثقالها الأرضُ وانتهى　　　لمثواهُ منها وهو عفٌّ شمائلُهُ

•• وروى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير بن أبى سلمى المزنى بيتاً ثم أكدى ومر به النابغة الذبيانى فقال له ياأبا أمامة أجز قال ماذا قال

تزال الأرضُ إمّا متَّ خفاً　　　وتحيا ما حييت بها ثقيلاً

نَزَلْتَ بِمُستقرِّ العزِّ منها . . . .

فما ذا قال فأكدى والله النابغة أيضاً وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه أجزيا بني فقال ماذا فانشده البيت الأول ومن البيت الثاني قوله بمستقر العز منها •• فقال كعب

* فتمنعُ جانبيها أنْ يَزُولاَ *

فقال زهير أنت والله ابني وانما خص الكبد من بين مايشتمل عليه البطن لانه من أطايب الجَزور •• والعرب تقول أطايب الجزور السنام والملحاء والكبد ••[قال المرتضى] رضي الله عنه واني لأستحسن قول الخنساء وقد قيل لها مامدحت أخاك حتى هجوت أباك •• فقالت

جارَى أباهُ فأقبلاَ وهُمَا يَتعاوَرانِ مُلاَءةَ الحُضُرِ

حتَّى إذَا نَزَتِ الْقلوبُ وَقدْ لُزَّتْ هُناكَ الْعذرُ بالعُذْرِ (١)

وَعلا هِتافُ الناسِ أيُّهُما قال الْمُجيبُ هُناكَ لاأدْرِي

برَزَتْ صَحيفةُ وَجهِ وَالدِهِ وَمَضَى على غُلَوائهِ يجْرِي

أَوْلَى فأَوْلِى أنْ يُساوِيهُ لوْلاَ جلالُ السِّنِّ وَالْكِبرِ

وَهُما وَقدْ برَزَا كأَنَّهُمــا صقْرَانِ قدْ حَطَّا إلي وَكْرِ

ويقال انه قيل لأبي عبيدة ليس هذه الابيات فى مجموع شعر الخنساء فقال أبو عبيــدة العامة أسقط من أن يجاد عليها بمثــل ذلك •• ولعمرى انها قد بلغت فى مدح أخيها من غير إزراء على أبيها النهاية لانها جعلت تَقَدُّمَ أبيها له عن قدرة منه على المساواة وعن غير تقصير منه وأنه أفرج له عن السبق معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه •• وكأنَّ الخنساء نظرت في هذا المعنى الى قول زهير

فشَجَّ بِها الأَماعِزَ فهْيَ تهْوِي هُوِيَّ الدَّلو أسلَمَها الرِّشاءُ

(١) ــ قولها ــ نزت القلوب أى طمحت وتاقت الى معرفة السابق من نزا ينزو اذا وثب • وقولها ــ لزت العذر بالعذر ــ أي قرنت العذر بالعذر

فَلَيسَ لَحاقُهُ كَلَحاقِ إِلْفٍ ... وَلاَ كَنَجائِها مِنْهُ نَجاءُ

يُقَدِّمُهُ إذا اختَلفتْ عَلَيهِ ... تَمامُ السِّنِّ مِنْهُ وَالذَّكاءُ

ويشبه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله فى مخلد بن يزيد بن المهلب

ما إنْ أَرى كأَبيكَ أَدرَكَ شأْوَهُ ... أَحَدٌ وَمِثْلُكَ طالباً لَمْ يَلْحَقِ

يَتَحاذَيانِ لهُ فَضيلَةُ سِنِّهِ ... وَتَلَوْتَ بعدُ مُصَلِّياً لَمْ تَسْبُقِ

إنْ تَنْزِعا وَلَهُ فَضيلَةُ سِنِّهِ ... فَبِمِثْلِ شأْوِ أَبيكَ لَمْ يُتَعَلَّقِ

وَلَئِنْ لَحِقْتَ بِهِ عَلى ما قَدْ مَضى ... مِنْ بُعْدِ غايَتِهِ فَأَحجِ وَأَخْلِقِ

ويشبه هذا المعنى .. قول المؤمل بن أميل الكوفى المحاربي يمدح المهدى في حياة المنصور

لَئِنْ فُتَّ المُلوكَ وَقَدْ تَوافَوا ... إِلَيكَ مِنَ السُّهُولَةِ وَالوُعُورِ

لَقَدْ فاتَ المُلوكَ أَبُوكَ حَتَّى ... بَقوا مِنْ بَيْنِ كابٍ أَوْ حَسيرِ

وَجِئْتَ وَرَاءَهُ تَجْرِي حَثيثاً ... وَمابِكَ حَيْثُ تَجْرِي مِنْ فُتُورِ

وقالَ النَّاسُ ما مِنْ ذَيْنِ إلاَّ ... بِمَنْزِلَةِ الخَلِيقِ مِنَ الجَديرِ

فإِنْ سَبَقَ الكَبيرُ فأَهلُ سَبْقٍ ... لهُ فَضْلُ الكَبيرِ عَلي الصَّغيرِ

وإنْ بَلَغَ الصَّغيرُ مَدَا كَبيرٍ ... فَقَدْ خُلِقَ الصَّغيرُ مِنَ الكَبيرِ

.. ومن هذا المعنى قول الشاعر

جِيادٌ جَرَتْ في حَلْبَةٍ فَتَفاضَلَتْ ... عَلى قَدَرِ الأَسْنانِ والعِرْقُ واحِدُ

ومما له بهذا المعنى بعض الشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبر .. قول زهير

هُوَ الجَوادُ فإِنْ يَلْحَقْ بِشأْوِهِما ... عَلي تَكالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقا

أَوْ يَسْبِقاهُ عَلي ما كانَ مِنْ مَهَلٍ ... فَمِثْلُ ما قَدَّما مِنْ صالِحٍ سَبَقا

•• وروى انه عرضت على جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد أن يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت

بَلَغتَ أو كِدتَ يحيَا أو لَحِقتَ بهِ ... فنلتُما خالِدًا في شأوِ مُستبقِ
لـكن مضى وتلى يحيي فأنت له ... تالٍ تعلَّلتَ دُونَ الرَّكضِ بالعنقِ

ومن أحسنِ ماقيل فى المساواة والمقاربة وهو داخل فى هذا المعني مناسب له

•• قول عباد بن شبل

إذا اخترتَ من قومٍ خيارَ خيارِهمْ ... فكلُّ بني عبدِ المُدانِ خيارُ
جرَوْا بعنانٍ واحدٍ فضلَ بينهمْ ... بأنْ قيلَ قد فاتَ العِذارَ عِذارُ

•• وقول الكميت

مُصَلٍّ أباهُ له سابقٌ ... بأنْ قيلَ فاتَ العِذارُ العِذارا

ومثله قول العتابى وهو مليح جداً

كما تقاذفُ جُرْدٌ في أعنَّتها ... سبقًا بآذانها مرًّا وبالعُذُرِ

•• وأول من سبق الى هذا زهير فى قوله يصف مطايرةَ البازى للقطاة ومقاربته لها

دُونَ السَّماءِ وفوقَ الأَرضِ قدرُهُما ... عندَ الذُّنابي فلاَ فوتٌ ولاَ دَرَكُ

•• وقد لحظ أبو نواس هذا المعنى فى قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لأبيه فى المجد والسودد

ثُمَّ جرَي الفضلُ فانثنى قدَماً ... دُونَ مَداهُ من غيرِ تَرهيقِ
فقيلَ راشا سهماً يُرادُ بهِ الـ ... ـغاية والنَّصلُ سابقُ الفُوقِ [1]

ويشا كل ذلك قول البحترى فى ابن أبى سعيد الثغرى

---

(١) ـ راش ـ السهم ألزق عليه الريش ـ والنصل ـ حديدة السهم ـ والفوق ـ موضع الوتر من السهم •• يقول ان أباه سابقٌ عليه من غير قصور منه

جَدٌّ كجدِّ أبي سعيدٍ إنَّهُ ترَكَ السِّماكَ كأنهُ لم يُشرفِ

قاسمتهُ أخلاقهُ وهيَ الرَّدا للمعتدي وهيَ النَّدا للمعتفِ

وإذا جرى من غايةٍ وجريتَ من أخرى التقى شأواكُما في المنصفِ

ويشبهه أيضاً قوله

وإذا رأيتَ شمائلَ أبنَي صاعدٍ أدَّتْ إليكَ شمائلَ أبنَي مخلدِ

كالفرقدينِ إذا تأمَّلَ ناظرٌ لمْ يعلُ موضعُ فرقدٍ عن فرقدِ

فاما قول الخنساء ـ يتعاورانِ ملاءة الحضرـ فهي تعني بالملاءة الغبار فان عدي بن الرقاع كأنه نظر اليها في قوله يصف حماراً وأتانا

يتعاورانِ منَ الغُبار مُلاءةً بيضاءَ مُحدَثةً هُما نسجاها

تُطوَى إذا وطِئا مكاناً جاسياً وإذا السنابكُ أُسهلتْ نشراها

وهذا المعني وان كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد فى استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من أجلها بالمعنى أحق منها ٠٠ وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة

يُثيرانِ من نَسجِ التُّرابِ عليهما قميصينِ أسمالاً ويرتديانِ



مجلس آخر ٨

[ان سأل سائل] ٠٠ عن قوله تعالى (وَجاؤُا على قَميصِهِ بدَمٍ كَذِبٍ قالَ بلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أنفُسُكُمْ أمراً فَصبرٌ جميلٌ وَاللهُ المُستَعانُ على ما تَصِفُونَ) فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لامن صفات الاجسام وأي معنى لوصفه الصبر بانه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب على فقد ابنه يوسف لايكون الا جميلا ولم ارتفع

الصبر وما المقتضي لرفعه •• الجواب يقال له أما كذب فمعناه مكذوب فيه وعليه فمثل قولهم هذا ماءٌ سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله أيضاً قولهم ماءٌ غور ورجل صوم وامرأة نوح •• قال الشاعر

تَظَلُّ جِيادُهُمْ نَوْحاً عليهمْ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفُونا

أراد بقوله نوحا أي نائحة عليهم •• ومثله مالفلان معقول يريدون عقلا وماله على هذا الأمر مجلود يريدون جلداً •• قال الشاعر

حتَّى إذَا لَمْ يَتْرُكوا لِعظامهِ لَحماً ولاَ لِفُؤَادِهِ مَعْقُولا

وأنشد أبو العباس لثعلب

قد والذي سَمَكَ السَّماءَ بقدرةٍ بَلَغَ العَزَاءُ وأدْرَكَ المَجلودُ

•• وقال الفراء وغيره يجوز في النحو بدم كذباً بالنصب على المصدر لأنّ جاؤا فيه معنى كذبوا كذباً كما قال تعالى (والعاديات ضبحاً) فنصب ضبحاً على المصدر لأن العاديات بمعنى الضابحات وانما كان دماً مكذوباً فيه لأن اخوة يوسف عليه السلام ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف بدمها وجاؤا أباهم بالقميص وادعوا أكل الذئب له فقال لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ولم يخرق قميصه قالوا بل قتله اللصوص قال فكيف قد قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أحوج منهم الى قتله •• وقد قيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قدّ قميصه من دبر وحين ألقي على وجه أبيه فارتد بصيراً وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه أبوه على ان الذئب لو أكله لخرق قميصه •• وأما وصف الصبر بأنه جميل فلأن الصبر قد يكون جميلا وغير جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به وجه الله وفعل للوجه الذي وجب فلما كان في هذا الموضع واقعاً على الوجه المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل انه أراد صبراً لاشكوى فيه ولاجزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجزع له وأما ارتفاع قوله فصبر جميل فقد قيل ان المعنى وشأني صبرٌ جميل أو الذي أعتقده صبر جميل •• وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل •• وأنشدوا

شَكا إليَّ جَملي طولَ السُّرَى ... يا جَملي ليسَ إليَّ المُشتكا

صبرٌ جميلٌ فكِلانا مُبتَلى

معناه فليكن منك صبر جميـل ٠٠ وقد روي ان في قراءة أُبيّ فصبراً جميلاً بالنصب وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبرى يا نفس صبراً جميلاً ٠٠ قال ذو الرمة

ألاَ إنَّما ميٌّ فصبراً بَليَّـةٌ ... وقد يُبتلى الحرُّ الـكريمُ فيَصبرُ

٠٠ وقال الآخر

أبَى اللهُ أنْ يُبقى لحيٍّ بَشاشةً ... فصبْراً على ماشاءَهُ اللهُ لى صبْرا

[تأويل خبر] في الحديث ان قيس بن عاصم ٠٠ قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيدأهل الوبر فقلت يارسول الله ما المال الذى ليست عليّ فيه تبعةٌ من طالب ولا ضيف فقال عليه الصلاة والسلام نعم المال أربعون والكثر ستون وويل لأصحاب المئين الا من أعطي الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فأكل وأطعم القانع والمُعتر ٠٠وفي رواية أخرى الا من أعطى مِن رِسلها وأطرق فحلَها وأفقر ظهرَهـا ومنح غزيرتهاوأطعم القانع والمعتر فقلت يارسول الله ما أكرم هذه الاخلاق وأحسنها انه لا يحَل بالوادى الذي فيه إبلي من كثرتها فقال كيف تصنع في العظيمة قلت أعطى البكر وأعطي الناب قال فكيف تصنع في المنحة قلت اني لأمنح المائة قال كيف تُعطي الطروقة قلت يغدوا الناس بابلهم فلا يورّع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بداله حتى يكون هو الذى برده وفي الرواية الأخرى قال فكيف تصـنع في الاطراق قال يغدوا الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير فيذهب به قال فكيف تصنع في الإفقار قلت اني لأُفقرُ الناقة المدرّة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع فى المنيحة قلت انى لأمنح فى السنة المائة قالفمالك أحب اليك أم مال مواليك قلت لا بل مالى قال فان مالكَ ماأكلتَ فأفنيتَ وأعطيتَ فأمضيتَ ٠٠ وفى الرواية الأخرى ولبستَ فأبليتَ وسائره لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت لأقلنّ عددها فلما حضره الموت جمع بنيـه فقال يا بنيّ خذوا عني فانكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني لا تنوحوا عليّ فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم يَنُخ عليه أحد وقد سمعته ينهي عن النياحة وكفنوني فى ثيابي التي كنت أصلى فيها وسوّدوا أكابركم فانكم اذا سوّدتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفةٌ واذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس وزهدوا فيكم وأصلحوا عيشكم فان فيه غِنًى عن طلب الى الناس وإياكم والمسئلة فانها آخر كسب المرء واذا دفنتمونى فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا آمنُ سفيهاً منهم أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً فى أبيكم ٠٠ فاما قوله صلى الله عليه وسلم ــ الكثر ستون ــ فمعناه الكثير تقول العرب نسأل الله الكثر ونعوذ به من القلّ أى نسأله الكثير ونعوذ به من القليل ٠٠ قال الشاعر

فإنَّ الكُثْرَ أعياني قديماً ولمْ أُقتِرْ لَدُنْ أني غُلامُ

٠٠ وقال آخر

وقد يُقْصِرُ القُلُّ الفتي دُونَ هَمِّهِ وقدْ كانَ لولاَ القُلُّ طلاَّعَ أنجُدِ

ــ والكريمة ــ يعني بها كرائم ماله ــ وأمنح الغزيرة ــ أي أعطها من يحلبها ويردّها ومن ذلك الحديث والعارية مُؤدّاة والمنحة مردودة والدين مقضيّ والزعيم غارم فالمنحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع بلبنها ثم يردها عليه ــ والزعيم ــ الكفيل ويقال له أيضاً القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى ﴿ وأنا به زعيم ﴾ ٠٠ قال الشاعر

فلَستُ بآمرٍ فيها بسِلمٍ ولٰكنّي على نفسى زَعيمُ

٠٠ وقال آخر

قلتُ كَفى لكِ رَهْنٌ بالرِّضا فازْعُمي يا هِندُ قالتْ قدْ وَجَبْ

معناه اكفلي ويروى فاقبلي من القبيل الذي هو الكفيل أيضاً ٠٠ وقال الفراء القانع هو الذي يأتيك فيسألك فان أعطيته قبل ــ والمعتر ــ الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك عن السؤال فكأنه يعرض فى المسئلة ولا يصرح بها يقال قنِع الرجل قناعة اذا رضي وقنع قُنُوعاً اذا سأل ٠٠ فأما قوله ــ لاجرم ــ فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا في قوله تعالى ﴿ لاجرم أن لهم النار ﴾ أنّ لا ردٌّ على الكفار ثم ابتدأ فقال جرم ان لهم النار

بمعنى كسب قولهم ان لهم النار •• وقال الشاعر

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جِذْعٍ　　بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وما اعتدينا

أي بما كسبت •• وقال آخرون معني جرم حقاً وتأول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم النار •• وأنشدوا

ولقد طَعَنْتُ أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً　　جَرَمَتْ فَزَارَةُ بعدها أَنْ تغضبا

أراد حققت فزارةُ •• وروى الفراء فزارة بالنصب على معنى أكسبت الطعنة فزارة الغضب •• وقال الفراء لاجرم فى الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب فى معنى حقاً وجاءت فيه بجواب الأيمان فقالوا لاجرم لأقومنّ كما قالوا والله لأقومن وفيها لغات يقال لا جَرَم ولاجُرْمَ بضم الجيم وتسكين الراء ولا جَرَ بحذف الميم ولا ذا جرم (١) •• قال الشاعر

إنَّ كِلاَبًا والذي لاَذَا جَرَمْ　　لأَهدُرَنَّ اليومَ هَدْراً في النَّعَم

(١) — قلت وفى أن بعد لاجرم وجهان •• الفتح وهو الغالب نحو لاجرم أن الله يعلم فالفتح عند سيبويه على أن جرم فعل ماض معناه وجب وأن وصلتها فاعل أى وجب أن الله يعلم ولا صلة زائدة للتوكيد ورده الفراء بان لا لاتزاد في أول الكلام وعلله فى المغني بأن زيادة الشيء تفيد اطراحه وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به وجوابه ما أجاب به الفارسى عن القول بزيادة لا في لا أقسم من أن القرآن كالسورة الواحدة •• وقال المرادى وجرم عند سيبويه بمعنى حقّ ولا ردّ لما قبلها والوقف على لا وأن وما بعدها فى موضع الفاعل والفتح عند الفراء على أن لا جرم مركبة من حرف واسم بمنزلة لا رجل في التركيب ومعناهما بعد التركيب لابد أو لا محالة ومن أو في بعدهما مقدرة أى لا بد من أن الله يعلم أو لامحالة في أن الله يعلم ونقل عن الفراء أن لا جرم بمنزلة حقاً وأصل جرم من الجرم بمعنى الكسب •• والكسر على ماحكاه الفراء عن العرب من أن بعضهم ينزلها منزلة اليمين فيقول لا جرم لآتينك ولا جرم لقد أحسنت ولا جرم إنك ذاهب بكسر إنّ

هَذر المغنّي ذِي الشّقاشِقِ اللّهِمْ

والناب ـ الناقة الهرمة وجمعها نيب ومثلها الشارف •• قال الشاعر

لاَ أَفتأُ الدّهرَ أبكيهمْ بأَرْبعةٍ ما اجترّتِ النيّبُ أَوحنّتْ إلي بَلدِ

ويقال للبعير أيضاً اذا كبر عودٌ وللأنثى عودةٌ •• قال الشاعر

عوْدٌ على عوْدٍ منَ القِدَمِ الاوّلْ يموتُ بالتّرْكِ ويحْيى بالعملْ

وهذا من أبيات المعاني ومعناه بعيرٌ عود على طريق متقادم وسمى الطريق بأنه عود لتقادمه تشبيها بالبعير •• وقوله ـ يموت بالترك ويحيي بالعمل ـ أراد أنه اذا سُلك وطُرق ظهرت أعلامه وظهرت طرقه واهتدى سالكه لسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمست آثاره وامحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصد وكان ذلك كالموت له فأما ـ الخماشات ـ فهي الجنايات والجراحات •• قال ذو الرمة يذكر الحمار والأتن

رَبَاعٍ لها مذْ أَوْرقَ العودُ عندهُ خُمَاشاتُ ذَحْلٍ مايُرادُ امتثالُها

يريد بقوله مايراد امتثالها أى مايراد اقتصاصها يقال أمثلني من هذا الرجل واقدني واقصني بمعنى واحد •• فأما قوله ـ لا يورع ـ أى لا يحبس ولا يمنع ويقال ورعت الرجل توريعاً اذا منعته وكففته والورع هو الرجل المتحرج المانع نفسه مما تدعوه اليه يقال وَرِعَ ورَعاً ورعةً •• قال لبيد

أَكُلَّ يوْمٍ هامتِي مقَزَّعَه لايَمْنعُ الفِتيانَ منْ حُسْنِ الرِّعَه

ويقال ما ورّع أن فعل كذا وكذا أى ماكذّب فأما الورع بالفتح فهو الجبان وأما ـ الطروقة ـ فهي التي قد حان لها أن تطرق وهي الحِقّة وقوله في الرواية الأخرى ـ الامن أعطى من رسلها ـ فالرسل اللبن ـ والافقار ـ هو أن يركبها الناس ويحملهم على ظهورها مأخوذ من فَقَار الظهر ـ والاطراق ـ للفحول هو أن يبذلها لمن يُنزيها على اناث ابله وذكر الاطراق في هذه الرواية أحب الي من الطروقة لأنه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكرَ والضرعَ والمائة فلامعني لإعادة ذكر الطروقة وقوله في الجواب ـ تغدو الناس

فلايورع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه ما بدا له ثم يرده ـ لا يحتمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة ٠٠ وكان قيس بن عاصم شريفاً فى قومه حليما ويكنّي أبا على وكان الأحنف بن قيس يقول انما تعلمت الحلم [١] من قيس بن عاصم أوتى بقاتل ابنه فقال رعبتم الفتى وأقبل عليه وقال يابني نقصت عددك وأوهنت ركنك وفتّت في عضـدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك خلوا سبيـله وما حلّ حُبوته ولا تغير وجهه ٠٠ وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بماذا سدت قومك فقال بثلاث بذل الندى وكف الأذى ونصر الولي ٠٠ وذكر المدائنى قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيـه اياكم والبغي فما بغى قوم قط إلا قلوا وذلوا ٠٠ وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهي اخوته أن ينصروه وقيس بن عاصم هو الذى حفز الحوفزان بن شريك الشيباني بطعنة فى يوم جدود [٢]

---

(١) ـ قلت وبالأحنف هذا يضرب المثل فيقال أحلم من الأحنف وسئل هل رأيت أحلم منك قال نعم وتعلمت منه الحلم قيل ومن هو قال قيس بن عاصم المنقرى حضرته يوماً وهو محتبٍ يحدثنا إذجاؤا بابن له قتيل وابن عم له كتيف فقالوا ان هذا قتل ابنك هذا فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته حتى اذا فرغ من الحديث التفت اليهم فقال أين ابني فلان فجاءه فقال يابني قم الي ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وأنشأ يقول

إني امرؤ لا يعترى خلقي ... دنس يفنـده ولا أفنُ

من مِنقرٍ من بيت مكرُمةٍ ... والغصن ينبت حوله الغصن

خُطباء حين يقوم قائلهم ... بيضُ الوجوه مصاقع لسنُ

لايفطُنون لعيب جارِهمُ ... وهمُ لحسنِ جوارِه فطُنُ

وهو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات مظفر فى غزواته أدرك الجاهلية والاسلام فساد فيهما وله وفادة على النبى صلى الله عليه وسلم

(٢) قوله يوم جدود جدود بالفتح موضع فى أرض بني تميم وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك كانت بينـه وبين بني يربوع موادعة ثم هم بالغدر بهم فجمع

فسمي الحارث الحوفزان ٠٠ وقال سوّار بن حيان المنقري في ذلك

وَنحنُ حفزْنا الحَوْفزانَ بطعنةٍ ... سقتهُ نجيعاً من دَمِ الجوْفِ أشكلا

وحُمْرانَ قسْراً أنزلتهُ رِماحُنا ... يُعالِجُ غلاًّ في ذِراعيْهِ مُقْفَلا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم

جَزَا اللهُ يَرْبوعاً بأسوَإِ سعْيِها ... إذا ذُكِرَتْ في النّائباتِ أُمورُها

ويومَ جَدُودٍ قدْ فَضحتمْ ذِمارَكُمْ ... وسالَمْتُمُ والخيلُ تدْمي نُحورُها

ستَحطِمُ سعدٌ والرّبابُ أُنوفَكمْ ... كَما حزَّ في أنفِ القضيبِ جَريرُها

ـ القضيب ـ الناقة المقتضبة الصعبة ٠٠ وفي قيس يقول عبدة بن الطبّيب [1]

بني شيبان وبني ذهل واللهازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس واخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد الحر فما شعر الحوفزان الا بالأهتم بن سمي بن سنان بن خالد ابن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان الى فرسه فركبه وقال للأهتم من أنت فانتسب وقال هذه منقر فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان في أيديهم وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهتم حمران وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعي الزبد وقيس على مهر فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفزه بالرمح في أسته فحفز به الفرس فجاء فسمي الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر ابن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات

[١] قوله يقول عبدة بن الطبيب ٠٠ قلت سبب هذه الأبيات ان عبدة وقيساً كان بينهما لحاء فهجره قيس بن عاصم ثم حمل عبدة دما في قومه ثم خرج يسأل فيما تحمّله فجمع

عليكَ سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ... ورحمتهُ ما شاءَ أنْ يترحَّما

سلامُ امرىءٍ جلَّلْتهُ منكَ نعمةً ... إذا زارَ عن شحطٍ بلادكَ سلَّما

فما كانَ قيسٌ هلكهُ هلكَ واحدٍ ... ولكنَّهُ بُنيانُ قومٍ تهدَّما

[قال المرتضي رضي الله عنه] ٠٠ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته

وأبرزتُها من بطنِ مكّةَ عندما ... أصاتَ المُنادِي بالصّلاةِ فأعتما (١)

وسألني إجازة هـذا البيت بأبيات تنضم اليهِ وأجعل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة لا عن ناقة فقلت في الحال

فطيَّبَ ريّاها المقامُ وضوَّأتْ ... بإشراقِها بينَ الحطيمِ وزمزما

ابلا ومرَّ به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية وقال فيم يسأل عبدة فأخبر فساق اليه الدية كاملة من ماله وقال قولوا له ليستنفع بما صار اليه وليسق هذه الى القوم فقال عبدة أما والله لولا أن يكون صاحبي إياه بعقب هـذا الفعل عاراً عليَّ لصالحته ولكني أنصرف الى قومي ثم أعود فأصالحه ومضى بالابل ثم عاد فوجد قيساً قد مات فوقف على قبره وأنشد الأبيات

(١) قوله وأبرزتها من بطن مكة الخ هو من أبيات حسان أولها

ألا علِقَ القلب المتيم كلثما ... لجاجاً ولم يلزم من الحب ملزما

خرجتُ بها من بطن مكة بعدما ... أصات المنادي بالصلاة وأعتما

فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ ... من الحي حتي جاوزت بي يلملما

ومرّت ببطن البيت تهوي كأنما ... تبادرُ بالإدلاج نهباً مقسَّما

أجازت على البزواء والليل كاسرٌ ... جناحين بالبزواء ورداً وأدهما

الخ الأبيات فقال له موسى بن يعقوب ما كنت الا على الريح فقال يا ابن أخي ان عمك كان اذا هم فعل وهي الحاجة

فيارَبِّ إنْ لقَّيتَ وَجهاً تحيَّةً ... فحَيِّ وُجُوهاً بالمَدينةِ سُهَّما

تجافينَ عن مسِّ الدِّهانِ وطالَما ... عَصمْنَ عن الحِنّاءِ كفّاً ومعْصَما

وكمْ مِن جَليدٍ لا يُخامِرُهُ الهوَى ... شَنَنَّ عليهِ الوَجْدَ حتَّى تَتيَّما

أهانَ لهُنَّ النفسَ وهْيَ كريمةٌ ... وألقى إليهنَّ الحَديثَ المُكتَّما

تسفَّهْتَ لمّا أنْ وَقفتَ بدارِها ... وعُوجِلتَ دُونَ الحِلْمِ أنْ تتحلّما

فعُجْتَ تقرِّي دارِساً مُتنكِّراً ... وتسأَلُ مصْرُوفاً عن النُّطقِ أعْجما

ويومَ وَقفْنا لِلوَداعِ وكلُّنا ... يعدُّ مُطيعَ الشَّوقِ مَنْ كانَ أحزَما

نُصِرْتُ بقلبٍ لا يُعنَّفُ في الهوَى ... وعينٍ متى استمْطرْتُها قطرَتْ دَما

وكان أبو دهبل من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد واسمه وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤى بن غالب وكان اسم جمح تيما واسم أخيه زيداً وهما ابنا عمرو بن هصيص واستبقا الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيمٌ فسمى جُمح ووقف عليها زيد فقيل سهم زيدٌ فسمى سهماً .. فأما كنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهى المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى ثقيلا .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيي النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لأبي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر أبي دهبل الجمحي فقال قوله

يا عمْرُ حُمَّ فِراقُكُمْ عُمُرا ... وعَزَمْتِ منّا النّأْيَ والهَجْرا

يا عمْرُ شيخُكِ وهوَ ذُو شرَفٍ ... يَرْعى الزِّمامَ ويُكْرِمُ الصِّهْرا

واللهِ ما أحبَبْتُ حُبَّكُمُ ... لا ثَيِّباً خُلِقَتْ ولا بِكْرا

إنْ كانَ هذا السِّحْرُ مِنكِ فلا ... ترْعِي عليَّ وجدِّدِي السِّحْرا

إحدَى بنى أَوَدٍ كَلِفتُ بها   حمَلَتْ بلاَ تِرَةٍ لنا وِتْرا

وتَرَي لها دَلاًّ إذا نطقتْ   تَرَكَتْ بناتِ فؤاده صُعْرا

كتساقطِ الرُّطَبِ الجَنيّ من الـ   أَقْناء لا نَـثْرًا ولا نَزْرا

ومقالةٍ فيكُمْ عرَكْتُ لها   جَنْبي أُرِيدُ بها لكِ العُذْرا

ومُرِيدُ سِرّكُمُ عَدَاتُ بهِ   عمَّا يُحاوِلُ مَعْدِلاً وَعرَا

قالتْ يُقيمُ لنا لِنجزِيَهُ   يوْماً فخَيَّمَ عِنْدَها شَهْرا

ما إنْ اُقِيمُ لِحاجةٍ عرَضتْ   إلاَّ لأُبلى فِيكُمُ عُذْرا

وإذا هَمَمْتُ برِحلةٍ جَزِعتْ   وإذا أَقمْنا لمْ تُفِدْ نِقْرا (١)

إني لأَرْضَى ما رَضِيتِ بهِ   وأَرَى لِحُسْنِ حَدِيثِكُمْ شُكْرا

وروى أبو عمرو الشيبانى لأبى دهبل

يا ليتَ مَنْ يَمنعُ المَعرُوفَ يُمْنعُهُ   حتي تَذُوقَ رِجالٌ غِبَّ ما صَنَعوا

وليتَ رِزْقَ رِجالٍ مِثلُ نائلِهمْ   قوتٌ كَقوتٍ وُوُسعٌ كالذِي وَسِعُوا

ويروى .. ضيق كضيق ووسع كالذى اتسعوا

وليْتَ لِلنّاسِ خطًّا في وُجوهِهِمُ   تبِينُ أخلاَقُهمْ فيهِ إذا اجتَمَعوا

وليتَ ذا الفُحْشِ لاقَا فاحِشاً أَبَدًا   ووَافَقَ الحِلْمُ أَهلَ الحِلْمِ فاتَّدَعُوا

ولأبى دهبل فى قتل الحسين بن على عليه السلام

تَبِيتُ النَّشاوَى من أُمَيَّةَ نُوَّماً   وبالطَّفِّ قَتلَى ما يَنامُ حَميمُها

وما ضَيَّعَ الإسلامَ إلاَّ عِصابةٌ   تأَمَّرَ نَوْكاها ودَامَ نَعِيمُها

(١) النقر بالكسر مانقر ونقب من الخشب والحجر ونحوهما كالنواة .. والمعنى لم تفد شيئاً

وصارَتْ قناةُ الدِّينِ في كفِّ ظالمٍ ... إذا مالَ منها جانبٌ لا يُقيمُها

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيي قال روى أبو عمرو الشيباني لأبي دهبل قال ويقال انها للمجنون

أأترُكُ ليلى ليسَ بيني وبينَها ... سوى ليلةٍ إني إذًا لصبُورُ

هَبُوني امرأً منكُم أضلَّ بعيرَهُ ... لهُ ذِمَّةٌ إنَّ الذِّمامَ كبيرُ

وللصَّاحبُ المتروكُ أعظمُ حُرْمةً ... على صاحبٍ من أنْ يَضلَّ بعيرُ

عفَى اللهُ عنْ ليلى الغداةَ فإنَّها ... إذا وَلِيَتْ حُكماً عليَّ تجورُ

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهبل وقد رواه أبو تمام في الحماسة له

أقولُ والرَّكبُ قدْ مالتْ عمائمهمْ ... وقدْ سقى القومَ كأسَ النَّشوةِ السَّهَرُ

يا ليتَ أني بأثوابي وراحلتي ... عبدٌ لأهلكِ طولَ الدَّهرِ مؤتجَرُ

إنْ كانَ ذا قدَرٌ يُعطيكِ نافلةً ... منّا ويحرِمُنا ما أنصفَ القدَرُ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال مثل قول أبي دهبل

ولوْ تركونا لاهدَى اللهُ أمرَهُمْ ... فلمْ يُلحِموا فوْلاً منَ الشَّرِّ يُنسجُ (١)

---

(١) قوله ولو تركونا لاهدى الله أمرهم الخ هو من أبيات حسان قالها أبو دهبل في امرأة من قومه يقال لها عمرة كانت امرأة جزلة يجتمع الرجال عندها لانشاد الشعر والمحادثة وكان أبو دهبل لايفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها وكانت هي أيضاً محبة له وكان أبو دهبل من أشراف بني جمح وزعمت بنو جمح أنه تزوّجها بعد وزعم غيرهم انه لم يصل اليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام وكانت عمرة تتقدم عليه في حفظ ما بينهما وكتمانه فضمن ذلك لها فجاء نسوة كنَّ يحدثن اليها فذكرن لها شيئاً من أمر أبي دهبل وقلن قد علق امرأة قالت وما ذاك قلن ذكر أنه عاشق لك وانك عاشقة له فرفعت مجلسها ومجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجاباً بينهم وبينها وكتبت الى أبي دهبل تعذله وتخبره

لأوشكَ صرفُ الدَّهرِ تفريقَ بيننا ✻ وهل يستقيمُ الدَّهرُ والدَّهرُ أعوجُ

قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته

لمّا رآني أُرعشتْ أطرافي ✻ استعجلَ الدَّهرَ وفيهِ كافي

يخترمُ الإلفَ عنِ الأُلّافِ

.. قال ومثله

بما بلغها من سوء صنيعه فعند ذلك يقول

تطاول هذا الليل ما يتبلَّجُ ✻ وأعيت غواشي عبرتي ما تُفرَّجُ

وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما ✻ خِلالَ ضلوعي جمرة تتوهجُ

فطوراً أمني النفسَ من عمرةَ المنى ✻ وطوراً اذا ما لجَّ بي الحزنُ أنشجُ

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ✻ ونحن الى أن يوصل الحبل أحوجُ

رأوا غِرَّةً فاستقبلوها بالبهم ✻ فراحوا على ما لا نحب وأدلجوا

وكانوا أناساً كنت آمنُ غيبهمُ ✻ فلم ينههم حام ولم يتحرَّجوا

همُ منعونا ما نحبُّ وأوقدوا ✻ علينا وشبوا نار صرمٍ تأججُ

ولو تركونا لا هدى الله سعيهم ✻ ولم يلحموا قولاً من الشر ينسجُ

لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا ✻ وهل يستقيم الدهر والدهر أعوجُ

عسى كربةٌ أمسيت فيها مقيمةٌ ✻ يكون لنا منها نجاة ومخرجُ

فيكبتَ أعداءً ويجذل آلفٌ ✻ له كبد من لوعة الحب تنضجُ

وقلت لعبَّاد وجاء كتابُها ✻ لهذا وربي كانت العينُ تخلجُ

وخططتُ في ظهر الحصير كأنني ✻ أسيرٌ يخافُ القتلَ ولهانُ مُلفَجُ

فلما التقينا لجلجت في حديثها ✻ ومن آية الصَّرمِ الحديث الملجلجُ

واني لمحجوبٌ عشية زرتها ✻ وكنتُ اذا ما زرتها لا أعرَّجُ

وأعيي عليَّ القولُ والقولُ واسعٌ ✻ وفي القول مستنٌّ كثيرٌ ومخرجُ

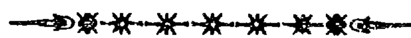
عَدِمْتُ ابنَ عَمٍّ لا يَزالُ كأنَّهُ ... وإنْ لم تَراهُ مُنْطَوٍ لي على وِتْرِ [١]

يُعِينُ على الدَّهرِ والدَّهرُ مُكْتَفٍ ... وإنْ أستَعِنهُ لا يُعِنِّي على الدَّهرِ

[قال المرتضى رضى الله عنه].. ومثل الجميع قول أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى كمْ يكونُ العتْبُ في كُلِّ ساعةٍ ... وكمْ لا تَمَلِّينَ القَطيعةَ والهَجْرا

رُوَيدَكِ إنَّ الدَّهرَ فيهِ كِفايةٌ ... لِتفريقِ ذاتِ البيْنِ فانتَظِري الدَّهرا



﴿ مجلس آخر ٩ ﴾

[إن سأل سائل] ماوجه التكرار في سورة الكافرين وما الذى حسّن اعادة النفى لكونه عابداً مايعبدون وكونهم عابدين مايعبد وذكر ذلك مرة واحدة يغنى.. وماوجه التكرار في سورة الرحمن لقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان) ..الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرون وجهاً وهو أن قال القرآن لم ينزل دفعة واحدة وانما كان نزوله شيئاً بعد شيء والأمر في ذلك ظاهر فكأن المشركين أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا له استلم بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم ﴿لا أعبد ما تعبدون ولا أنا عابد ماعبدتم﴾ ثم غبروا مدة من الزمان وجاؤه فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولا لنفعل مثل ذلك بالهك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم ﴿ولا أنا عابدٌ ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾

(١) قوله وان لم تراه الخ ان قال قائل لِمَ لَمْ يحذف الألف من تراه للجازم ..فجوابه انها ثبتت ضرورة أوهي اشباع والحرف الأصلى حذف للجازم وقيل هي أصلية بناء على قول من يجزم المعتل بحذفا الحركة المقدرة ويقر حرف العلة على حاله ومثل البيت قوله

هَجَوْتَ زَبَّانَ ثم جئت معتذراً ... مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لم تهجُو ولم تَدَعِ

أي ان كنتم لا تعبدون إلهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابداً ٠٠ وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال انه يقتضى شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه فى قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد قال واذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته مايعبدون مطلقاً غير مشروط فكذلك ماعطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح لانه لايمتنع إثبات شرط بدليل وان لم يكن فى ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة ٠٠ وعن هذا السؤال ثلاثة اجوبة كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة ٠٠ اولها ماحكي عن ابى العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى وتلخيص الكلام قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضاً واختص الفعلان منه ومنهم بالحال ٠٠ وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم فى المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون فاختلف المعانى وحسن التكرار فى اختلافها ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن ٠٠ وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد والمستهزؤن هم العاصى بن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث وعديّ بن قيس ٠٠ والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد كقول المجيب مؤكداً بلى بلى والممتنع مؤكداً لا لا ٠٠ ومثله قول الله تعالى ﴿ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ﴾ ٠٠ وأنشد الفراء

وكائنْ وكمْ عندِي لهُمْ مِنْ صنيعةٍ   أيادِيَ ثنَّوها عليَّ وأوْجبوا

٠٠ وأنشد أيضاً

كَمْ نِعمةٍ كانتْ لـكُمْ كَمْ كَمْ وكَمْ

٠٠ وأنشد أيضاً

نَعَقَ الغُرَابُ ببينِ لُبْنَي غدْوَةً   كم كم وكم لفِرَاقِ لُبنَى ينْعقُ

٠٠ وقال آخر

أَرَدْتُ لنفسيَ بعضَ الأُمورِ ... فأَوْلي لِنفسيَ أَوْلي لَهـا

٠٠والجواب الثالث وهو أغربها انّي لاأعبـد الأصنام التي تعبـدونها ولاأنتم عابدون ما أعبد أي أنتم غير عابدين الله الذي أنا عابده اذ أشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه أو معـه وانما يكون عابداً له من أخلص له العبادة دون غيره وأفرده بها وقوله ولا أنا عابدٌ ما عبدتم أي لست أعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم فى موضع المصدر كما قال تعـالى ﴿ والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ﴾ أراد طحيَه إياهـا وتسويته لها وقوله تعالى ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ يريد بفرحكم ومرحكم ٠٠قال الشاعر

يا رَبْعَ سَلاَّمَةَ بالمُنحَنى ... بخَيْفِ سَلعٍ جادَكَ الوَابِلُ

إنْ تُمْسِ وَحشاًفبماقدْتُرَى ... وأَنتَ مَعْمورٌ بهِ آهِلُ

أراد فبرؤيتك معموراً آهلا٠٠ومعنى قوله ولا أنتم عابدون أى لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه فلم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني ٠٠ وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفار لا أعبد آلهتكم ومن تدعونه من دون الله ولا أنتم عابدون الهي وان زعمتم انكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التى أمركم بها تعبدونه فأنا لاأعبد مثل عبادتكم ولا أنتم مادمتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتى ٠٠فان قيل أما اختلاف المعبودين فلاشبهة فيه فما الوجه فى اختلاف العبادة ٠٠قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخلص له العبادة ولايشرك به شيئاً وهم يشركون فاختلفت عباداتهماولأنه أيضاً كان يتقرب الي معبوده بالأفعال الشرعية التى تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الأفعال ويتقربون بأفعال غيرها يعتقدون جهلا أنها عبادة وقربة ٠٠ فان قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ وظاهر هذا الكلام يقتضى اباحتهم المقام على أديانهم٠٠قلنا فى هذا ثلاثة أجوبة٠٠أولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهره اباحة فهو وعيد ومبالغة فى النهي والزجر كما قال تعالي ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ ٠٠ وثانيها انه أراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ٠٠

وثالثها انه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائى لان نفس الدين هو الجزاء .. قال الشاعر

إذَا ما لقُونا لَقيناهُمُ ... ودِنّاهمُ مِثلَ مايقرِضونا

.. فأما التكرار فى سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أُحسن اليك بأن خولتك الأموال ألم أحسن اليك بأن خلّصتك من المكاره ألم أحسن اليك بأن فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير فى كلام العرب وأشعارهم .. قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً

وهَمّامُ بنُ مُرّةَ قد تركْنا ... عليهِ القَشْعمانِ منَ النُّسورِ (١)

على أنْ ليسَ عِدلاً منْ كُلَيبٍ ... إذا طُرِدَ اليَتيمُ عنِ الجزُورِ

على أنْ ليسَ عِدلاً منْ كُلَيبٍ ... إذا ما ضِيمَ جيرانُ المجيرِ

على أنْ ليسَ عِدْلاً منْ كُلَيبٍ ... إذا خرَجتْ مُخبَّأةُ الخدُورِ

على أنْ ليسَ عِدْلاً منْ كُلَيبٍ ... إذا رَجَفَ العِضاهُ منَ الدَّبورِ

على أنْ ليسَ عدلاً منْ كليبٍ ... إذا ما أُعلِنتْ نجوى الأُمورِ

على أنْ ليسَ عدْلاً منْ كليبٍ ... إذا خِيفَ المخوفُ منَ الثُّغورِ

على أنْ ليسَ عدلاً منْ كليبٍ ... غداةَ بلابلِ الأمرِ الكبيرِ

على أنْ ليسَ عدلاً منْ كليبٍ ... إذا ما خامَ جارُ المُستجيرُ

.. وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحُمَيّر

---

(١) ـ قات القشعمان مرفوع بالابتداء وخبره قوله عليه مقدماً والجملة فى موضع النصب على الحال وتقديره وعليه فحذف الواو لأن الهاء فى عليه تربط الكلام بأوله ويروى عليه القشعمين بالنصب ووجهه أن يكون منصوباً بقوله تركنا

لنعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ ولم تكن ... لتُسبَقَ يوماً كُنتَ فيه تُحاوِلُ

ونعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ إذا التقت ... صُدُورُ الأعالي واُستشالَ الأسافِلُ

ونِعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ لخائفٍ ... أتاكَ لكَي يُحمي ونِعمَ المُحامِلُ

ونعمَ الفتى يا توبُ جارًا وصاحباً ... ونعمَ الفتى يا توبُ حينَ تُناضِلُ

لعمري لأنتَ المرءُ أبكى لِفقدِهِ ... بجدٍّ ولو لامتْ عليهِ العواذِلُ

لعمري لأنتَ المرءُ أبكي لفقدِهِ ... ويكْثُرُ تسهيدي له لا أُوائلُ

لعمري لأنتَ المرءُ أبكي لفقدِهِ ... ولوْ لامَ فيهِ ناقِصُ العقلِ جاهِلُ

لعمري لأنتَ المرءُ أبكي لفقدِهِ ... إذا كَثُرَتْ بالمُلحمينَ البلابلُ

أبا لكَ ذمَّ النّاسِ يا توبُ كلّما ... ذُكِرتَ أُمورٌ مُحكماتٌ كواملُ

فلا يبعدَنْكَ اللهُ يا توبُ إنما ... لَقيتَ حمامَ الموْتِ والموتُ عاجِلُ

ولا يبعدنْكَ اللهُ يا توبُ إنّها ... كذاكَ المنايا عاجِلاتٌ وآجِلُ

ولا يبعدَنْكَ اللهُ يا توبُ والتقتْ ... عليكَ الغوادي المُدْجناتُ الهواطِلُ

فخرجت في هذه الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعانى التى عددتها على نحو ما ذكرناه •• وقال الحارث بن عبادٍ وكان قاضى العرب

قرِّبا مربطَ النَّعامةِ منّي ... لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حيالِ

ثم كرر قوله قرّبا مربط النعامة في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذى ذكرناه •• وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترثى زوجها

وحدّثني أصحابهُ أنَّ مالكاً ... أقامَ ونادى صحبهُ برحيلِ

وحدّثني أصحابهُ أنَّ مالكاً ... ضَرُوبٌ بنصلِ السَّيفِ غيرُ نكُولِ

وحدَّثني أصحابُهُ أَنَّ مالِكاً خَفيفٌ على الحِدثانِ غيرُ ثقيل

وحدَّثني أَصحابُهُ أَنَّ مالِكاً جَوادٌ بما في الرَّحلِ غيرُ بخيلِ

وحدَّثني أَصحابُهُ أَنَّ مالِكاً صَرُومٌ كماضي الشَّفرتَينِ صقيلِ

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار فى سورة المرسلات بقوله عز وجل ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ .. فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار فى سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمه فقد عدد فى جملة ذلك ماليس بنعمة وهو قوله ﴿ يرسل عليكما شُواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ وقوله ﴿ هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ .. فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ وليس هذا من الآلاء والنعم .. قلنا الوجه في ذلك أن فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من أكبر النعم لأن فى ذلك زجراً عن مايستحق به العقاب وبعثاً على مايستحق به الثواب فانما أشار تعالى بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها الى نعمة بوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لاشبهة فى كونه نعمة

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. وكما أنه في الجاهلية وقبل الاسلام وفى ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله عنهم فى كتابه وضرب لهم الأمثال وكرر عليهم البينات والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر باظهار الاسلام ويحقن باظهار شعائره والدخول فى جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم عن الاسلام عن المظاهرة وألجأهم خوف القتل الى المساترة وبلية هؤلاء على الاسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يدغلون في الدين ويموهون على المستضعفين بجاش رابط ورأي جامع فعل من قد أمن الوحشة ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذى هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار .. كما حكى ان عبد الكريم بن أبى العوجا قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل وأيقن

بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقـد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة •• والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبدالملك • والحمادون حمادالراوية • وحماد بن الزبرقان • وحماد عجرد • وعبد الله بن المقفع • وعبد الكريم بن أبي العوجا • وبشار بن برد • ومطيع بن إياس • ويحي بن زياد الحارثي • وصالح بن عبد القدوس الازدي • وعلي بن خليـل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم وإن كان عددهم كثيراً فقد أقلهم الله وأذلهم وأرذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن نذكر من أخبار كل واحدٍ ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذة ونومئ فيها الى جملة كافية والذى دعانا الى التشاغل بذلك وان كانت عنايتنا بغيره أقوى مسئلة من نرى اجابته ونؤثر موافقته فتكلفناه له من أجله مع انه غير خالٍ من فائدة ينفع علمها ويُتأدب بروايتها وحفظها •• أما الوليد فكان مشهوراً بالإلحاد متظاهراً بالعناد غير محتشم في اطراح الدين أحـداً ولا مراقب فيه بشراً وفي الحديث انه وُلِدَ لأخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي عليه الصلاة والسلام سميتموه بأسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو شرٌّ على هذه الأمة من فرعون على قومه قال الأوزاعي فسألت الزهرى عنه فقال ان استخلف الوليد بن يزيد وإلاّ هو الوليد بن عبـد الملك •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثني محمد بن يزيد النحوى قال كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف فقال بعض الحجبة لقد رأيت المجوسي البنّاء فوق الكعبة وهو يقدّر مواضع أركان القبة فلم تمس تلك الليلة حتى وافي الخبر بقتل الوليد •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيي العسكرى عن أبي اسحاق الطلحي قال أخبرني أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل عن أبي العالية قال أخبرني بعض أهل العـلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولى نشدت الله رجلاً سـمع شيئاً من الوليد الا أخبر به فقام ثور بن يزيد فقال اشهد لسمعته وهو يقول

إسقياني وابنَ حَرْبٍ وأسـتُرَانا بإزَارِ

وأتركا من طلب الجنة يسعى في خسار
سا سوس الناس حتى يركبوا دين الحمار

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني ابن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال نشر الوليد بن يزيد يوماً المصحف وكان خطه كأنه أصابع وجعل يرميه بالسهام ويقول

يُذكّرني الحسابَ ولستُ أدري أحقاً ما يقولُ من الحسابِ
فقلْ للهِ يمنعني طعامي وقلْ للهِ يمنعني شرابي

[قال الشريف المرتضى رضى الله عنه] .. ويله من هذه الجراءة على الله ويلاً طويلا وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته وما أولاه اللعين بأليم العذاب وشديد العقاب لولا ماتتم به المحنة وينتظم به التكليف من تأخير المستحق من الثواب والعقاب وتبعيدهما من أحوال الطاعات والمعاصى .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني أحمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقاً وانه افتتح المصحف يوماً فرأى فيه { واستفتحوا وخاب كل جبارٍ عنيدٍ } فاتخذ المصحف غرضاً ورماه حتى مزقه بالنبل وهو يقول

أتوعدُ كلَّ جبّارٍ عنيدٍ فها أنا ذاكَ جبّارٌ عنيدُ
فإنْ لاقيتَ ربّكَ يومَ حشرٍ فقلْ يا ربِّ خرّقني الوليدُ

وأما حماد الراوية فكان منسلخاً من الدين وزارياً على أهله مدمناً لشرب الخمور وارتكاب الفجور .. وقال أبو عمرو الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحفص بن أبي وَدّة وقاسم بن زنقطة وابن المقفّع ويونس بن أبي فروة وحماد عجرد وعليّ بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وحمّاد بن الزبرقان ووالبة بن الحبّاب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعّث وأبان اللاحقى يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضاً وكل منهم متهمّ فى دينه .. وعمل يونس بن أبي فروة كتاباً فى مثالب العرب وعيوب الاسلام

بزعمه وصار به الى ملك الروم فأخذ منه مالاً •• وقال أحمد بن يحيي النحوى قال رجل يهجو حمّاد الراوية

نِعْمَ الفتى لوْ كانَ يَعرِفُ رَبَّهُ   ويُقيمُ وَقْتَ صلاتِهِ حَمّادُ

بَسَطَتْ مَشافِرَهُ الشَّمولُ فأَنفُهُ   مِثلُ القَدُومِ يَسنُّها الحدّادُ

وابيَضَّ منْ شُربِ المُدامةِ وجهُهُ   فبياضُهُ يومَ الحسابِ سَوادُ

لا يُعجِبَنَّكَ بَزُّهُ ولِسانُهُ   إنَّ المجُوسَ يُرَي لها أُسبادُ

وكان حماد مشهوراً بالكذب فى الرواية وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه فى أشعارهم حتى ان كثيراً من الرواة قالوا قد أفسد الشعر لأنه كان رجلا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته[1] فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم

(١) قوله يدخل في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته الخ فمن ذلك ان المهدي سأل المفضل الضبي عن سبب افتتاح زهير قصيدته

دع ذا وعدّ القول فى هرم   خير البُداة وسيد الحُضر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول فما الذي أمر نفسه بتركه فقال له المفضل إني توهمته كان مفكراً فى شيءٍ من شأنه فتركه وقال دع ذا أي دع ما انت فيه من الفكر وعد القول في هرم فامسك عنه ودعى حماداً فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشده

لمن الديار بقنة الحِجر   أقوين مذ حِجج ومذ دهر

قفر بمندفع النحائت من   ضفوى أُلات الضال والسدر

دع ذا الخ فاستحلفه المهدي فأقر أنه هو الذى ادخلها فى شعر زهير فأمر المهدي ان من اراد شعراً محدثاً فليأخذه من حماد ومن اراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل

•• وقال له الوليد بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية فقال بأنى اروي لكل شاعر تعرفه او سمعت به ثم اروى لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به ثم لا أنشد شعراً لقديم ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث فقال ان هذا العلم

وهذا الفعل منـه وان لم يكن دالاً على الالحاد فهو فسقٌ وتهاون بالكذب فى الرواية
•• وأما حماد بن الزبرقان فهذه طريقته فى التخرم والتهتك •• أخبرنا أبو الحسن عليّ
ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الاشناندانى قال دعا حماد بن الزبرقان
أبا الغول النهشلى الى منزله وكانا يتقارضان فانتهره أبو الغول فلم يزل المفضل به حتي أجابه
وانطلق معـه فلما رجع الى المفضل قال ماصـنعت أنت وحماد قال اصطلحنا على أن
لا آمره بالصلاة ولا يدعونى الى شرب الخمر •• ثم أنشد المفضل قوله

* نعم الفتى لو كان يعرف ربه *

وذكر الأبيات التي تقدمت فى الرواية الأخرى منسوبة الى هجا حماد الراوية •• فأما
حماد عجرد فشهرته فى الضلالة كشهرة الحمّادَين وكان يرمي مع ذلك بالثنوية •• أخبرنا
أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني عليّ بن عبد الله الفارسى قال أخبرني أبي قال حدثني
ابن مهرويه قال حدثني عليّ بن عبد الله بن سعدٍ قال حدثني السريّ عن الصباح الكوفى
قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي ياأبا عليّ أما إني قد أوجعت صاحبكم و بلغت منه
يعنى حماد عجرد فقلت بماذا يا أبا معاذ فقال بقولى فيه

يا ابنَ نهيًا رأسٌ عليَّ ثقيلُ   واحتمالُ الرَّأسين خطبٌ جليلُ
فادعُ غيري إلي عبادةِ ربيـنِ   فإني بواحدٍ مشغولُ

فقلت لن أدعه فى عماه ثم قلت له قد بلغ حماد هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا
قال ماذا يقول قلت يقول

فادعُ غيري إلي عبادةِ ربيـنِ   فإني عن واحدٍ مشغولُ

وأبيك كبير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثيراً ولكنى أنشدك على كل حرف
من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر
الاسلام فامتحنه فأنشده حتى ضجر فوكل به من سمع منه ألفين وتسعمائة قصيدة
للجاهليين فأمر له بمائة ألف درهم واسم أبيه ميسرة

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني لا أحتشمك فلا تنشد أحداً هذين البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي ٠٠ وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن هارون عن عمه يحيي بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد الأرقط قال بشار بلغني ان رجلا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد علام تجتمعون فوالله لما أقول أحسن مما يقول فمقته الناس على هذا ٠٠ وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال كان حماد عجرد يعيّر بشاراً بالقبح لأنه كان عظيم الجسد مجدوراً طويلا جاحظ العينين قد تغشاهما لحم أحمر فلما قال حماد فيه

وَاللهِ ما الخِنزيرُ في نَتْنِه ... بِرُبعِهِ في النَّتْنِ أو خُمْسِهِ

بَلْ رِيحُهُ أطْيَبُ مِنْ رِيحِه ... وَمَسُّهُ أَلْيَنُ مِنْ مَسِّهِ

وَوَجهُهُ أَحسَنُ مِنْ وَجهِه ... وَنفسُهُ أَفْضَلُ مِنْ نَفسِه

وَعُودُهُ أَكرَمُ مِنْ عُودِه ... وَجِنسُهُ أَكرَمُ مِنْ جِنسِه

فقال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف ذاك قال ما أراد لزنديق الا قول الله تعالى ﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم﴾ فأخرج الجحود بها مخرج هجائي وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد ٠٠ وأول من جعل نفي الالحاد تأكيداً للوصف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد عجرد فقال

لوْ أَنَّ ماني ودَيْصاناً وعُصبتهمْ ... جاؤُا إليكَ لَمَا قُلْنَاكَ زِنديقُ

أنتَ العبادَةُ والتَّوحيدُ مُذْ خُلِقَا ... وذَا التَّزَنْدُقُ نَيرَنجٌ مَخَارِيقُ

٠٠ فأما ابن المقفع (١) فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ماوجدت كتاب

(١) اسم ابن المقفع روزبة قبل الاسلام وعبد الله بعده والمقفع اسمه المبارك ولقب بالمقفع لان الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فتقفعت يده ورجل متقفع اليدين أي متشنجهما وقيل هو المقفع بكسر الفاء لعمله القفعة بفتح القاف وسكون الفاء والقفعة شيء يشبه [illegible] بلا عروة وتعمل من خوص ليست بالكبيرة ٠٠ وقال الليث القفعة تتخذ من خوص مستديرة يجتنى فيها الرطب ونحوه

زندقة قط إلاّ وأصله ابن المقفّع .. روى ابن شبّة قال حدثني من سمع ابن المقفّع وقد مر ببيت نارٍ للمجوس بعد ان أسلم فلمحه وتمثّل

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ   حذَرَ العِدَى وبكَ الفؤادُ موكَّلُ
إني لأمنحُكَ الصدُودَ وإنّني   قسماً اليكَ مع الصدُودِ لأميَلُ

وروى أحمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفّع يرثي يحيي بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه يرثى بها ابن أبي العوجا

رُزِئنا أبا عمرو ولا حيَّ مثلُهُ   فللهِ ريبُ الحادثاتِ بمَنْ وقَعْ
فإنْ تكُ قدْ فارقتَنا وتركتَنا   ذوي خَلَّةٍ ما في انسدادٍ لها طمَعْ
لقدْ جرَّ نفعاً فقدُنا لكَ أنّنا   أمِنّا على كُلِّ الرّزايا من الجزَعْ

قال ثعلب البيت الأخير يدل على مذهبهم في أن الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير .. وأخبرني عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه قال حدثنا خالد بن خداش قال كان الخليل بن أحمد يحب أن يرى عبد الله بن المقفّع وكان ابن المقفّع يحب ذلك فجمعهما عبّاد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهنّ فقيل للخليل كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله وعلمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفّع كيف رأيت الخليل قال ما رأيت مثله وعقله أكثر من علمه قال المغيرة فصدقا أدّى عقل الخليل الخليل الى ان مات أزهدَ الناس وجهلُ ابن المقفّع أدّاه الى ان كتب أماناً لعبد الله بن عليّ فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين بعمّه عبد الله فنساؤه طوالقُ ودوابه حُبُسٌ وعبيده أحرارٌ والمسلمون فى حِلٍّ من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدًّا وخاصةً أمر البيعة .. وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو أمير البصرة من قبلِهِ بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيّد الكلام فصيح العبارة له حكم وأمثال مستفادة .. من ذلك ما روي من ان يحيي بن زياد الحارثي

كتب اليه يلتمس معاقدة الإخاء والاجتماع على المودّة والصفاء فأخّروا به فكتب اليه كتاباً آخر يسترثيه فكتب اليه عبد الله ان الإخاء رقّ فكرهت ان أملكك رقي قبل ان أعرف حسن كنهك •• وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لايكاد يخطئك •• وكان يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع •• ودعاه عيسى ابن عليّ للغداء فقال أعز الله الأمير لست يومي للكرام أكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار •• وكتب الى بعض اخوانه أما بعد فتعلّم العلم ممن هو أعلم به منك وعلمه من أنت أعلم به منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت •• وقال لبعض الكتاب إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو العيّ الأكبر •• وقال لآخر عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السفلة •• وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها •• وقال لاتحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه ولا تعد مالا تريد إنجازه ولا تضمن مالاتثق بالقدرة عليه ولا ترج ماتعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه •• وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم ينسبونك الى قلة الوفاء فلا تشعرن قلبك استبطاءه فانه لم يشعر أحد قلبه إلا ظهر على لسانه ان كان سخيفاً وعلى وجهه ان كان حليما •• وكان يقول ان مما سخا بنفس العالم عن الدنيا علمه بان الأرزاق لم يقسم فيها على قدر الأخطار •• وأما ابن أبي العوجا فقد ذكر ما روى من اعترافه بدسه فى أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث مكذوبة وروى انه رأى عدلاً قد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال قد رأينا مصحفاً سرق •• ولبشار فيه

قُلْ لعبدِ الكريمِ يا ابنَ أبي العَوْ جاءِ بعتَ الإسلامَ بالكُفْرِ مُوقا
لا تُصلّي ولا تَصومُ فإنْ صُمْـتَ فبَعْضَ النَّهارِ صوْماً دَقيقاً
لا تُبالي إذا أَصبْتَ من الخَمْـرِ عتيقاً ألاَّ تكُونَ عتِيقا

لَيْتَ شِعْرِي غَداةَ حُلِّيتَ فِي الجُنْدِ حَنِيفاً حُلِّيتَ أَمْ زِنْدِيقا

فأما بشار بن برد فروى المازنى قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى انه ثنوى فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة .. قال المبرد ويروى ان بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ويصوّب رأى ابليس فى الامتناع عن السجود وروى له

النَّارُ مُشْرِقَةٌ والأَرْضُ مُظْلِمَةٌ والنَّارُ مَعْبودَةٌ مُذْ كانَتِ النَّارُ

وروى بعض أصحابه قال كنا اذا حضرت الصلاة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل حول ثوبه تراباً لننظر هل يصلى فنعود والتراب بحاله ولم يقم الى الصلاة .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني على بن عبد الله الفارسى قال أخبرنى أبى قال حدثنى ابن مهرويه عن أحمد بن خلاد قال حدثني أبى قال كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه بميله الي الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ماعاينت أو عاينه معاين فكان الكلام يطول بيننا فقال ماأظن الأمر ياأبا مخلد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طُبِعْتُ على ما فِيَّ غَيْرَ مُخَيَّرٍ هَوَايَ ولو خُيِّرْتُ كُنْتُ المُهَذَّبا

أُرِيدُ فلا أُعطَى وأُعطَى ولم أُرِدْ وغُيِّبَ عَنِّي أَنْ أَنالَ المُغَيَّبا

وأُصْرَفُ عن قَصْدِي وعِلْمِي مُبْصِرٌ وأُمْسِي وما أعقبتُ إلاَّ التَّعَجُّبا

قال الجاحظ كان بشار صديقاً لواصل بن عطاء الغزّال قبل أن يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال

تَكَلَّفَ القَوْمُ والأَقوامُ قد حَفَلوا وحَبَّروا خُطَباً ناهيكَ مِنْ خُطَبِ

فقامَ مُرْتَجِلاً تَغْلِي بَداهَتُهُ كَمِرْجَلِ القَيْنِ لَمَّا حُفَّ باللَّهَبِ

وجانَبَ الرَّاءَ لم يَشْعُرْ بهِ أَحَدٌ قَبْلَ التَّصَفُّحِ والإِغْراقِ في الطَّلَبِ

•• ومثل ذلك قول بعضهم في واصل

ويجعلُ البُرَّ قمحاً في تكلُّمهِ ... وجانبَ الرَّاءَ حتَّى احتالَ للشِّعرِ

ولمْ يَقلْ مَطراً والقولُ يُعجلهُ ... فعاذَ بالغيثِ إشفاقاً منَ المَطرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتف به واصل فقام بذكره وتكفيره وقعد فقال بشار فيه

ما لي أُشايعُ غزّالاً لهُ عُنُقٌ ... كَنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلا

عُنقَ الزَّرافةِ ما بالي وبالُكمُ ... تُكَفِّرونَ رِجالاً أكفروا رَجُلا

فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك أما لهذا الأعمى الملحد أما لهذا المشنف المكنى بأبي معاذٍ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه في جوف منزله على مضجعه أو في يوم حفلة ثم كان لا يتولى ذلك إلاّ عقيلي أو سدوسي [١] فعدل واصل بن عطاء من الضرير الى الأعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى أبي معاذٍ ومن الفراش الى المضجع ••وزاد قوم فقالوا ومن أرسلت الى دسست ومن يبقر الى يبعج ومن داره الى منزله ومن المغيرية الى الغالية والأول أشبه بان يكون مقصوداً وما ذكر ثانياً فقد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء •• فأما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلي فلأن بشاراً كان مولى لهم وذكره بني سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم فأما لقب بشّار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال • أحدها انه لقّب بذلك لبيت قاله وهو

قالَ رِيمٌ مُرَعَّثٌ ... فاترُ الطَّرْفِ والنَّظَرْ

---

(١) وسئل عثمان البرى كيف كان يصنع واصل في العدد وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب فقال مالي فيه قول الا ماقال صفوان

ملقنٌ ملهم فيما يحاوله ... جم خواطره جواب آفاق

لَسْتَ واللهِ نائِلي . قُلْتُ أو يَغلِبَ القَدَرْ

• والقول الثانى انه كان لبشار ثوب له جيبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان اذا أراد لبسه يضمه عليه ضماً من غير ان يدخل رأسه فيه فشبه استرسال الجيبين وتدليهما بالرّعاث وهي القرطة فقيل المرعّث •• وقال أبو عبيدة انما سمي المرعّث لانه كان يلبس في صباه رعاثاً وهذا هو القول الثالث •• وكان بشار مقدما فى الشعر جداً حتى ان كثيراً من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه من المجوّدين •• وأخبرنا المرزبانى عن محمد بن يحيي الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن اليشكرى قال قيل لأبى حاتم من أشعر الناس قال الذى يقول

ولها مَبْسَمٌ كثغرِ الأَقاحِي وحَدِيثٌ كالوَشْيِ وَشْيِ البُرُودِ

نَزَلَتْ في السَّوادِ مِنْ حَبَّةِ القلبِ ونالَتْ زِيادَةَ المُسْتَزِيدِ

عِنْدَها الصَّبْرُ عَنْ لِقايَ وعِنْدِي زَفَراتٌ يأْكُلْنَ صَبْرَ الجَلِيدِ

يعنى بشاراً قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار

بَنى اميّةَ هبُّوا طالَ نومُكُمُ إنَّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داوُدِ

ضاعَتْ خِلافتُكُمْ يا قومِ فالتمِسوا خليفةَ اللهِ بَيْنَ النّاىِ والعُود

فبلغ المهدى ذلك فوجد عليه وكان سبب قتله

مجلس آخر ١٠

فأما مطيع بن إياس الكناني فأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى عن على بن هارون عن عمه يحيي بن علىّ عن أبي أيوب المدنى عن أحمد بن ابراهيم الكاتب قال أخبرني أبي قال رأيت بنتاً لمطيع بن إياس قد أُتى بها فى أول أيام الرشيد فأقرّت بالزندقة وقرأتها ونابت وقالت هذا شئ علمنيه أبى فقبل الرشيد توبتها وردّها الى أهلها •• وقال محمد بن داود الجراح فى أخبار مطيع بن إياس انه كان يرمى بالزندقة •• روى انه

لما حضرته الوفاه أحاط به أهل بيته فأقبلوا يقولون له قل يامطيع لا إله إلاالله فلا يقول حتى صارت نفسه في ثغرة نحره تنفس ثم أهوى الى الكلام فقالوا له قل لاإله الا الله فتكلم كلاما ضعيفاً فتسمّعوا له فاذا هو يقول

لَهفَ نفسي على الزَّمانِ وفي أيّ زمانٍ دهتنيَ الأَزمانُ
حينَ جاءَ الرَّبيعُ واستقبلَ الصيّفُ وطابَ الطلاءُ والرَّيحانُ

قال المرزباني وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدي ليحي بن زياد ٠٠ فأما يحي بن زياد فهو يحي بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ويكني يحي أبا الفضل وكان يعرف بالزنديق وكانوا اذا وصفوا إنسانا بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق يعنون يحي لانه كان ظريفاً وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله

تيهُ مغنٍّ وظُرفُ زنديقِ

قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق لايدع شيئاً ولا يمتنع عما يدعي اليه فنسبه الي الظرف لمساعدته على كل شيءٍ وقلة خلافه ٠٠ وروى انه قيل ليحي بن زياد وهو يجود بنفسه قل لاإله إلا الله فقال

لمْ يبقَ إلاّ القرطُ والخلاخلُ

ثم أغمى عليه فلما أفاق أعيد عليه القول فقال

وبازلٌ تغلى بهِ المَراجلُ

وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن إياس يرثي يحي بن زياد وكانا جميعاً مرميين بالخروج عن الملة

يا أهلُ بكُّوا لقلبيَ القرحِ وللدُّموعِ الهواملِ السفَّحِ
راحوا بيحيى إلى مغيَّبهِ في القبرِ بينَ التُّرابِ والصفُّحِ
راحُوا بيحيي ولوتُساعدُني الـ أقدارُ لمْ يبتكرْ ولمْ يرُحِ

يا خيرَ مَنْ يحسنُ البُكاءُ لهُ الـيومَ ومَنْ كانَ أمسِ لِلمدَحِ
قدْ ظفرَ الحزْنُ بالسرُورِ وقدْ أُديلَ مَكرُوهُنا مِنَ الفرَحِ

ولمطيع يرثيه

أُنظرْ إلى الموتِ كيفَ بادههُ والموتُ مِقدامةٌ على البُهَمِ
لوْقدْ تدبَّرْتَ ماصنعتَ بهِ قرَعتَ سِنّاً عليهِ مِنْ ندَمِ
فاذهَبْ بمَنْ شئتَ إذْ ذهبتَ بهِ ما بعدَ يحيي لِلرُّزْءِ مِنْ ألَمِ

وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهراً بمذاهب الثنوية ويقال ان أبا الهذيل العلاّف ناظره فقطعه ثم قال له على أي شيء تعزم ياصالح فقال أستخير الله وأقول بالاثنين فقال أبو الهذيل فأيهما استخرت لاأملك ٠٠ وروى ان أبا الهذيل ناظره في مسئلة مشهورة في الامتزاج الذي ادّعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع وأنشأ يقول

أبا الهُذيلَ هداكَ اللهُ يا رَجلُ فأنتَ حقّاً لعمري مُعْضِلٌ جدِلُ

وروى انه رُؤى يصلى صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له ماهذا ومذهبك معروف قال سنّة البلد وعادة الجسدْ وسلامة الأهل والولد ٠٠ ويقال انه لما أراد المهدى قتله على الزندقة رمي اليه بكتاب قال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح أو تعرفه أنت ياأمير المؤمنين اذا قرأته قال لا قال أفتقتلنى على مالا تعرف قال فانى أعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقرؤه ولست بزنديق ٠٠ وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال ذكر بعض الرواة ان صالحاً لما نوظر فيما قذف به من الزندقة بحضرة المهدى قال له المهدى ألست القائل فى حفظك ما أنت عليه

رَبَّ سرٍّ كتمتُهُ فكأنى أخرسٌ أو ثنى لساني خبَلُ
ولوأنى أبدَيتُ للنّاسِ علمى لمْ يكنْ لي في غيرِ حبْسي أكلُ

قال صالح فاني أتوب وأرجع فقال له هيهات ألست القائل

والشَّيخُ لا يترُكُ عادَاتِهِ   حتَّى يُوارَى في ثرَى رَمْسِهِ
إذا ارْعوَى عاوَدَهُ جهلُهُ   كذِي الضنَّا عادَ إلى نُكْسِهِ

ثم قدّم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو فى الحبس

خرَجنا منَ الدُّنياونحنُ منَ أهلِها   فلسنا منَ الأَحياء فيهاولا الموْتي
إذا دَخلَ السجّانُ يوماً لِحاجةٍ   عجبنا وقلنا جاءَ هذا منَ الدُّنيا
ونفرَحُ بالرُّؤْيا فجلُّ حَدِيثنا   إذانحنُ أصبحنا الحدِيثُ عنِ الرُّؤْيا
فانْ حسُنتْ لمْ تأْتِ عجْلَى وأَبْطأَتْ   وإنْ قبُحتْ لمْ تحتبِسْ وأتتْ عجْلَى
طوَى دُوننا الأَخبارَ سِجنٌ ممنَّعٌ   لهُ حارِسٌ تهْدَى العيُونُ ولا يهْدَى
قُبرْنا ولمْ نُدفنْ ونحنُ بمعزِلٍ   عنِ النّاسِ لا نُخشَى فنغشَى ولا نَغشَى
الا أحَدٌ يأْوي لأَهلِ محَلّةٍ   مقيمينَ في الدُّنياوقدْ فارَقوا الدُّنيا

[قال المرتضى رضى الله عنه] •• وأظن ان ابن الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس

بيتٌ يُجدَّدُ للكرِيمِ كرَامةً   ويُزارُ فيهِ ولا يَزُورُ ويُحمَدُ

وأما على بن الخليل فقد ذكر محمد بن داود قال كان على بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى أبا الحسن وهو كوفيٌّ متهمٌ بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن الربيع •• روى انه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة والخضاب معه قصيدة فأشار بها فأمر الرشيد بأخذها منه فقال ياأمير المؤمنين أنا أحسن قراءة لها من غيرى فأذن لى في قراءتها ففعل فقال اني شيخ كبير ولا آمن الاضطراب اذا قمت فان رأيت أن تأذن لي فى الجلوس فعلت فقال له اجلس فجلس ثم أنشأ يقول

يا خيرَ منْ وَخدَتْ بأَرْحُلِهِ　　نُجُبُ الرِّكابِ بمَهْمَهٍ جلْسِ
تَطوي السَّباسِبَ في أَزِمَّتِها　　طَيَّ التِّجارِ عمائِمَ البرْسِ
لمّا رأَتْكَ الشَّمْسُ طالعةً　　سَجَدَتْ لوجهكَ طلْعةُ الشَّمْسِ
خيرُ الخلائقِ أنتَ كلُّهمُ　　في يومِكَ الماضي وفي أَمْسِ
وكذاكَ لا تنفكُّ خيرَهمُ　　تُمْسي وتُصْبِحُ فوقَ ما تُمْسي
منْ عُصبةٍ طابَتْ أُرومَتُها　　أَهلِ العفافِ ومُنتهى القُدْسِ
فوقَ النُّجومِ فُروعُ نَبعَتِهِمْ　　ومعَ الحَضيضِ مَنابتُ الغرْسِ
إني رَحلْتُ اليكَ منْ فزَعٍ (١)　　كانَ التَّوكُّلُ عندَهُ تُرسِي
ما ذاكَ إلاَّ أنّني رَجُلٌ　　أصبو إلي بقَرٍ منَ الإِنسِ
بقَرٌ أَوانسُ لا قُرونَ لها　　يقتُلْنَ بالتَّطويلِ والحَبْسِ
وأُجاذِبُ الفِتيانَ بينهمُ　　صهباءَ مثلَ مُجاجةِ الوَرْسِ
للماءِ في حافاتِها حَبَبٌ　　نَظْمٌ كطَيِّ صحائفِ الفُرْسِ
واللهُ يعلمُ في بَرِيَّتِهِ　　ما إنْ أَضعْتُ إقامةَ الخَمْسِ

(١) قوله اني رحلت اليك الخ في غير الاصل

اني اليك لجأت من هرب　　قد كان شردني ومن لبس
واخترت حكمك لا أجاوزه　　حتى أوسّد في ثرى رمسي
لما استخرت الله في مهل　　يممت نحوك رحلة العنس
كم قد قطعت اليك مدّرعا　　ليلا بهيم اللون كالنقس
ان هاجني من هاجس جزعٌ　　كان التوكل عنده ترسي

وفي سائر الرواية اختلاف يسير

فقال له هارون من أنت قال على بن الخليل الذى يقال انه زنديق قال أنت آمن وكتب الى حمدويه ألاّ يعرض له •• ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر مما ذكرنا وانما اعتمدنا من كان بهذه الثلبة أشهر وأمره فيها أظهر وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل •• واذا كنا قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة والمنقادين بالجهالة حسب سؤلنا فنحن نتبعها بشئ من أخبار أهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن ألفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت بيعته وبين من خسرت صفقته فقد سئلنا أيضاً ذلك •• أعلم ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين على عليه السلام وخطبه وأنها تتضمن من ذلك مالا مزيد عليه ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ماأسهب المتكلمون من بعدُ فى تصنيفه وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول •• وروى عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك مالا يكاد يحاط به كثرة ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير الذى فى بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن نقدّم على مانريد ذكره شيئاً مما روي عنهم فى هذا الباب •• فمن ذلك مارُوى عن أمير المؤمنين على عليه السلام وهو يصف الله تعالي •• بمضادّته بين الاشياء علم ان لاضد له وبمقارنته بين الامور علم ان لاقرين له ضادّ النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متباعداتها مفرّق بين متدانياتها •• وروى عنه عليه السلام أنه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرّفني به قيل وكيف عرّفك قال لاتشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس •• وقيل له عليه السلام كيف يحاسب الله الخلق قال كما يرزقهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه •• وسأله رجل فقال أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والارض فقال أين سؤال عن مكان وكان الله ولامكان •• وروى عن أبي عبيد الله الصادق عليه السلام أنه سأله محمد الحلبي فقال له هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه أبصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين •• وروى صفوان بن يحيى قال دخل أبو قرّة المحدث على أبي الحسن الرّضا عليه السلام فسأله عن أشياء من

الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال أبو قرّة إنا روينا أن الله قسم الكلام والرؤية فقسم لموسي عليه السلام الكلام ولمحمد صلى الله عليه وسلم الرؤية فقال الرضا عليه السلام فمن المبلّغ عن الله الى الثقلين الجنّ والانس انه لاتدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيءٌ أليس محمد نبياً صادقا قال بلى قال وكيف يجيء رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم انه جاء من عند الله يدعوهم اليه بأمره ويقول لاتدركه الابصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيءٌ ثم يقول سأراه بعيني وأحيط به علماً ألا تستحيون ماقدرت الزنادقة ان ترميه بهـذا أن يكون يأتى عن الله بشيءٌ ثم يأتي بخلافه من وجه آخر ٠٠ قال أبو قرّة فانه يقول ولقد رآه نزلةأخرى عند سدرة المنتهى ٠٠ قال عليه السـلام مابعد هـذه الآية يدل على مارأى حيث يقول ما كذب الفؤاد مارأى يقول ما كذب فؤاد محمد مارأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله غـير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علماً فاذا رأته الابصار فقد أحاط به العلم فقال أبو قرّة فأكذّب بالرؤية فقال الرضا عليه السلام إنّ القرآن كذّبها وما أجمع عليه المسلمون انه لايحاط به علماً ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيءٌ ٠٠ وأتى أعرابي أبا جعفر محمد بن على عليه السلام فقال أرأيت ربك حين عبدته فقال لم أكن لأعبد شيئاً لم أره فقال كيف رأيته فقال لم تره الابصار بالمشاهدة والعيان بل رأته القلوب بحقائق الايمان لايدرك بالحواس ولايقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لايجور فى أقضيته هو الله الذى لااله الا هو فقال الاعرابى الله أعلم حيث يجعل رسالاته ٠٠ وروى ان شيخاً حضر صفّين مع أمير المؤمنين عليـه السلام فقال أخبرنا ياأمير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء من الله تعالى وقدر قال له نعم ياأخا أهل الشام والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئاً ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي عند الله أحتسب عناي ياأمير المؤمنين وما أظن ان لى أجراً فى سعيي اذا كان الله قضاه علىّ وقدّره فقال له عليه السلام ان الله قـد أعظم لكم الأجر على مسـيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ولم تكونوا فى شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي

كيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلام ويحك ياأخا أهل الشام لعلك ظننت قضاء لازما وقدراً حاكما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر من الله والنهي ولما كان المحسن أولى بثواب الاحسان من المسيء والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يكلف عسيراً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتب لعباده عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .. قال الشامي فما القضاء والقدر الذى كان مسيرنا بهما وعنهما قال الأمر من الله بذلك والحكم ثم تلا ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ فقام الشامي فرحا مسروراً لما سمع هذا المقال وقال فرّجت عني فرّج الله عنك ياأمير المؤمنين وجعل يقول

أنتَ الإمامُ الّذي نَرجُو بطاعتهِ يومَ الحسابِ منَ الرّحمنِ غفرانا

أوْضحتَ مِنْ أمرِنا ما كانَ مُلتبساً جزاكَ ربُّكَ بالإحسانِ إحسانا

وروى ان أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله فسلمت عليه وقمت من عنده ورأيت ابنه موسى في دهليزه قاعداً فى مكتبه وهو صغير السن فقلت له أين يُحْدِثُ الرجل عندكم اذا أراد ذلك فنظر اليّ ثم قال يتجنب شطوط الانهار ومسقط الثمار وأفناء الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء قال فلما سمعت هذا القول نبل فى عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك ممن المعصية فنظر اليّ ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال ان المعصية لابد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً فان كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله • وان كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بانصاف عبده الضعيف • وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي

وله حق العقاب والثواب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم •• وقد نظم هذا المعني شعراً فقيل

لم تخلُ أفعالُنا اللاَّتى نُذَمُّ بها | إحدَى ثلاَثِ خلاَلٍ حين نأْتيها
إمَّا تفرَّدَ بارينا بصنعتها | فيَسقطُ اللَّوْمُ عنا حين نُنْشيها
أو كانَ يَشركُنا فيها فيلْحقهُ | ما سوفَ يَلْحقُنا مِنْ لائمٍ فيها
أولمْ يكُنْ لإلهي في جِنايتِها | ذنبٌ فما الذَّنبُ إلاَّ ذنبُ جانيها

وأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار من أهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم أمه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال ان أم سلمة كانت تأخذ الحسن اذا بكي فتسكته بثديها فكان يدرّ عليه فيقال ان الحكمة التي أوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن تصريحه بالعدل ماروى عن أبي الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه ثم تلا ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ ••وقال داود بن أبى هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء[1] الله وقدر الا المعاصى •• وكان الحسن رباع الفصاحة بليغ المواعظ

(١) ـ قوله سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه الى قوله سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصي •• أقول هذا مذهب المعتزلة وطوائف أخر من المتكلمين والواجب فى هذا الباب الرجوع الى مافى كتاب الله وسنة رسوله ونبذ ماسواهما وعدم الخوض فى هذا الباب قال تعالى ﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحاج آدم وموسى فحج آدم موسى قال له موسى أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة هذا لفظ الموطأ وفى الصحيحين من وجه آخر عن أبى هريرة مرفوعا أحتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة وفى رواية أنت

كثير العلم وجميع كلامه من الوعظ وذم الدنيا أوجله مأخوذ لفظاً ومعنىً أو معنىً دون لفظ من كلام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السـلام فهو في ذلك القدوة والغاية ٠٠ فمن ذلك قوله عليه السلام شيئان أحدهما مأخوذ من الآخر أحدهما أكثر شيء في الدنيا والآخر أقل شيء في الدنيا العبر والاعتبار ٠٠ وقوله عليه السلام مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متي ازددت من أحدهما قرباً ازددت من الآخر بعداً ٠٠ وقوله شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنتـه ويبقى أجره ٠٠ وقوله في وصف الدنيا ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن فرّط فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن ٠٠ ومن قول له في كلام ياأيها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استذمت اليك بل متي غرتك أبمضاجع آبائك من الثرى أم بمنازل أمهاتك من البلا كم مرضت بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك [قال المرتضى رضى الله عنه] ٠٠ وهذا باب إن

آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجدلك ملائكته وأسكنك فى جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك الى الارض فقال له آدم أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصـطفاه على الناس برسالتـه وفي رواية للصحيحين اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده وفى أخرى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء قال نعم قال افتلومني على أمر قدر قبل ان أخلق وفي الحديث الذى في آخره هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ٠٠ قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خـيره وشره وفى رواية كله وفى أخرى حـلوه ومره وقال ابن القيم والمخاصمون فى القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقـدره كالذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقضاء فقـد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر أقداراً وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الارزاق بقدر وقسم البلاء بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهي

ولجناه اغترفنا من ثبج بحرز اخر أو شؤبوب غمام ماطر وكل قول في هذا الباب لقائل اذا أضيف اليه أو قويس به كان كاضافة القطرة الي الغمرة أو الحصاة الي الجرة فانما أشرنا اليه اشارة وأومأنا اليه ايماء ٠٠ ثم نعود الى ما كنا فيه ٠٠ روى ان اعرابياً سمع كلام الحسن البصرى فقال المؤمن فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ ٠٠ وروى ان الحسن تلا يوما (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال) ثم قال ان قوما غنوا فى المطارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون للبلاء وهم منه فى عافية حتى اذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة وظلموا من تحتهم من أهل الذمة أهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم ألم ترهم قد جددوا الثياب وأخلقوا الدين تبكي يمين أحدهم على شماله ويأكل من غير ماله طعامه غصب وخدمته سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى اذا أخذته الكظة تجشأ من البشم ثم قال ياجارية هاتي حاطوما يعنى هاضوما يهضم الطعام يا أحمق لا والله لن تهضم الا دينك أين جارك أين يتيمك أين مسكينك أين ما أوصاك الله به ٠٠ وذكر يوما الحجاج فقال أتانا أعيمش أخيفش له جميمة يرجلها وأخرج الينا بنانا قصاراً والله ماعرق فيها عنان فى سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه ثم رقى هذه الاعواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يأمرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا عن المنكر ويرتكبه ٠٠ وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فاقدعوها فانكم ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريعة الدثور قال عيسى بن عمر فحدثت بذلك أبا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته ٠٠ وكان يقول فى بعض كلامه مايشاء ان ترى أحدهم أبيض بضاً يملخ فى الباطل ملخاً ينفض مذرويه يقول هاأنا ذا فاعرفونى قال — والبض — هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على مايظنه قوم لأنه قد تكون الرخاصة مع الأدمة وأما قوله — يملخ — فان الملخ هو التثني والتكسر يقال ملخ الفرس اذا لعب ٠٠ قال رؤبة يصف

مُعْتَزِمِ التَّجْلِيحِ مَلَّاخِ المَلَقْ

ـ والمذروان ـ فرعا الاليتين ٠٠ قال عنترة

أحَوْلي تَنفضُ اُسْتُكَ مِذْرَوَيها ‌ ‌ ‌ لِتَقتُلَني فها أنا ذا عُمَارا

٠٠ هذا قول أبو عبيد وقال ابن قتيبة [1] راداً عليه ليس المذروان فرعي الاليتين حَسْبُ بل هما الجانبان من كل شيء تقول العرب جاء فلان يضرب أصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما منكباه ٠٠ وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنّع الشيب مذرويه يريد جانبي رأسه وهما فرداه وانما سميا بذلك لانهما يذريان أي يشيبان والذري الشيب قال وهذا أصل الحرف ثم استعير للمنكبين والاليتين والطرفين من كل شيء ٠٠ قال أمية بن أبي عائذ الهذلي يذكر قوما

على عَجْسِ هتّافةِ المِذْرَوَينِ ‌ ‌ ‌ زَوْراءَ مَضجَعةٌ في الشِّمَالِ

أراد قوسا ينبض طرفاها ٠٠ قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكر الحسن بانه يحرك أليته ولا من شأنه أن يبذخ وينبه على نفسه ويقول ها أنا ذا فاعرفوني ان يحرك أليته وانما أراد أنه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح المختال وربما قالوا جاءنا ينفض مذرويه اذا تهدد وتوعد لأنه اذا تكلم وحرك رأسه نفض قرون فوديه وهما مذرواه ٠٠ قال رضي الله عنه ليس الذي ذكره أبو عبيد بعيد لان من شأن المختال الذي يزهي بنفسه أن يهتز ويتثني فتتحرك أعطافه وأعضاه ومذرواه من جملة مايهتز ويتحرك لأنهما بارزان

---

(١) ـ قلت قال ابن سيدة عن الجرمازي رانفة كل شيء ناحيته والمذرى طرف الألية وهما المذروان وقيل المذروان أطراف الأليتين وليس لهما واحد وقال أبو عبيدة وهو أجود القولين لانه لو كان لهما واحد فقيل مذرى لقيل في التثنية مذريان وأنشد

أحَوْلي تنفضُ استكَ مِذرَوَيهَا ‌ ‌ ‌ لتقتلنى فها أنا ذا عُمـارَا

مَتَى ما نَلتقِي فَرْدَيْن تَرْجُفْ ‌ ‌ ‌ روانِفُ أليتيكَ وتُســتطارا

قلت قوله لقيل مذريان علةذلك ان المقصور اذا كان على أربعة أحرف يثني بالياء على كل حال نحو مقلى ومقليان وشذ في تثنية أليةٍ أليان ومثلها خصية وخصيان وقيل هما تثنية ألي وخصي المذكرين وذكرت خصية استطرادا فليتنبه لذلك

من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص المذروين بالذكر مع ان غيرهما يتحرك أيضاً على طريق التقبيح لهذا المختال والتهجين لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شأن من يبذخ ان يحرك اليته ليس بشيء لان الأغلب من شأن المختال البذاخ الاهتزاز وتحريك الاعطاف على ان هـذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شأن كل متوعـد ان يحرك رأسه وينفض مذرويه فاذا قال ان ذلك فى الاغلب والاكثر فهذا مثله •• وكان الحسن يقول يا ابن آدم جمعاً جمعاً سرطاً سرطاً جمعا فى وعاء وشدًّا فى وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل مات فافضى والله الى الآخرة فطال حسابه •• وكان يقول مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل أسير جوع صريع شبع ان من تؤلمه البقة وتقتله الشرقة لبادى الضعف فريسة الحتف •• وكان يقول ماأطال أحد الامل الا أساء العمل وماأساء العمل الاذل •• وكتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان طول البقا الي فنا فخـذ من فنائك الذي لايبقى لبقائك الذى لايفنى والسلام •• وكان يقول اذا رأيت رجلا ينافس في الدنيا فنافسه في الآخرة •• وسأله رجل ماحالك فقال له بأشد حال ماحال من أمسى وأصبح ينتظر الموت ولايدري مايفعل الله به •• وكان يقول يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فامل ماشئت فأكثر أو أقلل •• وفى خبر آخر وكل بك ملكان كريمان ريقك مدادهما ولسانك قلمهما •• روى أبو بكر الهذلى قال لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا وبعث الى الشعبى والى الحسن البصرى فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد أخذ الله ميثاقه وانتجبه لخلافته وقد أخذ بنوا صينا وأعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة أيدينا فوجب علينا السمع والطاعة له وانه بعثنى الى عراقكم غـير سائل إياه الا انه لايزال يبعث الينا فى القوم نقتلهم وفى الضياع نقبضها أو فى الدور نهدمها فنوليه من ذلك ماولاه الله فما تريان فتأمل الشعبى فقال قولا فيه بعض اللين وأما الحسن فانه قال له ياعمر انى أنهاك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد وما يمنعـك يزيد من الله إنه يوشك أن ينزل اليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الي ضيق قبرك ثم لايوسعه عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصراً لدين الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطانه تذلونهم به فانه لاطاعة لمخلوق في

معصية الخالق عز وجل •• وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن أكرمنا عليه ••وروى أبو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به فقال عظني فقال أوُلّيت قط فقال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فأته الى من وليته •• وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن آخذ عطاي أم أدعه حتي آخذه من حسناتهم يوم القيامة فقال له قم ويحك خذ عطاءك فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة •• وولد للحسن غلام فهناه بعض أصحابه فقال الحسن نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا بمن ان كنت غنياً أذهلني وان كنت فقيراً أتعبني لاأرضى بسعي له سعياً ولا بكدّي له فى الحياة كداً أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وأنا في حال لايصل اليّ من همه حزن ولا من فرحه سرور ••وكان الحسن يقول لولم يكن من شؤم الشراب الا انه جاءالى أحب خلق الله الى الله فأفسده فكان ينبغي للعاقل ان يتركه يعنى العقل ••وعزي جاراًله يهوديا فقال جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ماجازى به أحداً من أهل ملتك وهذا تخلص منه مليح لأنه لم يدع له بالثواب الذى لايستحقه الكفار وأراد بالجزاء العوض الذى يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب •• وكان يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة ••وقال في قوله تعالى ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ﴾ قال العلم ﴿وفى الآخرة حسنة﴾ قال الجنة •• وخرج الحسن في جنازة معهانوائح فقال له رجل ماترى ياأبا سعيد هذا وهمّ الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك فى دينك •• وذكرت عنده الدنيا فقال

أَحلامُ نومٍ أَو كظلٍّ زائلٍ ... إنَّ اللَّبيبَ بمثلِها لا يُخدَعُ

وكان يتمثل

اليومَ عندَكَ دلُّها وحديثُها ... وغدًا لغيرِكَ كفُّها والمعصَمُ

وعن أبي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من قصر واسط نادى فى الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف أهل الشام

على نفسه أن يقتلوه فرجع وهو يقول قدنظرنا ياأخبث الاخبثين وأفسق الافسقين أما أهل السماء فمقتوك وأما أهل الارض فغروك ثم قال أبى الله تعالي للميثاق الذى أخذه على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم انصرف فبلغ الحجاج ذلك فقال ياأهل الشام وهم حوله آلله أيقومن عُبيد من عبيد أهل البصرة ويتكلم فيّ بما يتكلم ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير قالوا ومن ذلك أصلحك الله اسقنا دمه فقال عليّ به وأمر بالنطع والسيف فأحضر ووجّه اليه فلما دنى الحسن من الباب حرك شفتيه والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا وأجلسه قريباً من فرشه وقال له ما تقول في عليّ وعثمان قال أقول قول من هو خير منى عند من هو شر منك قال فرعون لموسى مابال القرون الأُولى قال علمها عند ربى في كتابٍ لايضل ربى ولا ينسى علم عليّ وعثمان عند الله فقال له الحجاج أنت سيد العلماء ياأبا سعيد ثم دعا بغالية فغلّف بها لحيته فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال ياأبا سعيد لقد دعاك لغير هذا الذي فعل بك ولقد أحضر السيف والنطع فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت ياعدّتى عند كرتي وياصاحبي عند شدتي وياوليّ نعمتى ويا إلهي وإله آبائى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ارزقنى مودّته واصرف عني أذاه ومعرّته ففعل ربي عزوجل ذلك •• وكان الحسن يقول مازال النفاق مقموعاً حتى عُمّم هذا عمامة وقلد سيفاً •• وروى أبو بكر الهذلى ان رجلا قال للحسن يا أبا سعيد ان الشيعة تزعم انك تبغض علياً فأكب يبكى طويلا ثم رفع رأسه فقال لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهماً من مرامي الله عزوجل على عدوه ربّانى هذه الأمّة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبى صلى الله عليه وسلم قريبة لم يكن بالنُوَمة عن أمر الله ولا بالغافل عن حق الله ولا بالسروقة من مال الله أعطى القرآن عزائمه فيماله وعليه فأشرف منها على رياضٍ مؤنقة واعلام بينة ذلك عليّ بن أبي طالب يالكع •• وكان الحسن اذا أراد أن يحدث فى زمن بنى أمية عن أمير المؤمنين قال قال أبو زينب •• وشهد الحسن جنازة فقال ان أمراً هذا أوله لينبغى أن يحذر منه وان أمراً هذا آخره لينبغي أن يزهد فيه •• وعن حميد الطويل قال خطب رجل الى الحسن ابنته وكنت السفير بينهما فرضيته وأراد أن يزوجه فأثنيت

عليه ذات يوم وقلت وأزيدك يا أبا سعيد فان له خمسين ألفاً قال أقلت له خمسون ألفاً ما اجتمعت من حلال قلت يا أبا سعيد انه والله ما علمته إلاّ ورعاً مسلماً فقال اذا كان جمعها من حلال فقد ضن بها على حق لا يجري بيني وبينه ضهر أبداً .. وقيل لعليّ ابن الحسين عليه السلام قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجى كيف نجى فقال عليه السلام أنا أقول ليس العجب ممن نجى كيف نجى انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله .. وأتي عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يقص عند الحِجر فقال أترضى ياحسن نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فلله في أرضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الناس عن الطواف

مجلس آخر ١١

وممن تظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزّال ويكنّى أبا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم وقيل مولى بني هاشم وروى انه لم يكن غزّالا وانما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس في الغزالين وقيل انه كان يكثر الجلوس في الغزالين عند رضيع له يعرف بأبي عبد الله الغزّال [1] وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء ليصرف صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب أبو مسلمة حفص بن سليمان بالخلاّل وهو وزير أبي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين وكان يجالس عندهم فسمي خلالا ومثله أبو عليّ الحرمازي مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الحرماز وابراهيم بن يزيد الخوزي وليس بخوزي ولكنه كان ينزل بمكة بشعب الخوز وأبو سعيد المقبري لأنه نزل المقابر .. وكان واصل ألثغ في الراء قبيح اللثغة فكان يخلص من كلامه الراء

(١) قلت وأبو عبد الله هذا مولى لقطن الهلالي ومثل ذلك أبو مالك السدي اشتهر بالسدي لأنه كان يبيع الخُمُر في سدة المسجد

يعـدل عنها فى سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فى أخبار بشار بن برد ٠٠
وذكر أبو الحسن البردعي المتكلم أن انساناً سأل عمرو بن عبيد أو غيره عن شئ في
القدر بحضرة واصل بن عطاء فتكلم السائل بشئ أغضب عمراً فأجابه عمرو بجواب لم
يرضه واصل فقال له واصل إياك وأجوبة الغضب فانها مندمة والشيطان يكون معها وله
فى تضاعيفها همزة وقد أوجب الله جل وعز على نبيه أن يستعيذ من همزات الشيطان
وأن يكونوا معه بقوله أعوذ بك من همزات الشياطين الى خاتم الآية وقلما شاهدتُ
أحداً نثبت فى جوابه وما ينطق به لسانه فيلحقه اللوم ٠٠ قال البردعي أنظر الى واصل
كيف كلم عمراً فأخرج الراء من كلامه فقال موضع والشـيطان يحضرها يكون معها
وقد أوجب الله تعالى على نبيه ولم يقل أمره وقال وأن يكونوا معه بدلا من أن يحضروهم
قال الى خاتم الآية ولم يقل الى آخر الآية ٠٠ [قال المرتضي رضى الله عنه] ومما لم يذكره
البردعى انه عدل عن افتتاح الآية من أجل الراء أيضاً لأن أولها وقل رب أعوذ بك
من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها واجباً من ابتدائها لاسيما
وفى ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به ٠٠ وقيـل إن رجلا قال له
كيف تقول أسرج الفرس قال ألبد الجواد ٠٠ وقال له آخر كيف تقول ركب فرسه وجر
رمحه قال استوى على جواده وسحب عامله ٠٠ وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلا
كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ومولده سنة ثمانين ومات سـنة
احدى وثلاثين ومائة ٠٠ وكان واصل ممن لقى أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
وصحبه وأخذ عنه وقال قوم انه لقى أباه محمداً عليه السـلام وذلك غلط لأن محمداً توفى
سنة ثمانين أو احدى وثمانين وواصل وُلد فى سنة ثمانين ٠٠ وواصل هو أول من أظهر
المنزلة بين المنزلتين لأن الناس كانوا فى أسماء أهل الكبائر من أهل الصلاة على أقوال
كانت الخوارج تسـميهم بالكفر والشرك ٠٠ والمرجئة تسـميهم بالايمان وكان الحسن
وأصحابه يسمونهم بالنفاق فأظهر واصل القول بأنهم فساق غـير مؤمنين ولا كفار ولا
منافقين ٠٠ وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه فجمع بينه وبين واصل
يناظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما اتفقوا على الاجتماع ذكر أن واصلا

أقبل ومعه جماعة من أصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان فى عنقه طول واعوجاج قال أرى عُنقاً لايفلح صاحبها فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يابن أخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي بين الصنعة والصانع فقال له عمـرو بن عبيد ياأبا حذيفة قد وعظت فأحسنت ولن أعود الى مثل الذى كان منى وجلس واصل فى الحلقة وسئل أن يكلم عمراً فقال واصل لعمرو لم قلت من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق فقال عمرو لقول الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسـقون) فكان كل فاسق منافقاً اذ كانت ألف المعـرفة ولامها موجودتين فى الفاسق فقال له واصل أليس قد وجدت الله تعالى يقول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فألا كفرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى (والكافرون هم الظالمون) فعرف بألف ولام التعريف اللتين فى قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) كما قال فى القاذف (وأولئك هم الفاسقون) فسميته منافقاً لقوله تعالى (ان المنافقون هم الفاسـقون) فأمسك عمـرو ثم قال له واصل ياأبا عثمان أيّما أولى أن تستعمل فى أسماء المحدثين من أمتنا ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة أو ما اختلفوا فيـه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليـه أولى فقال له واصل ألست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسـقاً ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقاً والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقاً .. [قال المرتضي رضى الله عنه] يعني بالشيعة الزيدية .. والحسن يسميه منافقاً فاسقاً والمرجئة تسميه مؤمناً فاسقاً فاجتمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه فالواجب أن يسمى بالاسم الذى اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقاً ولا يقال فيه انه مؤمنٌ ولا منافقٌ ولا مشركٌ ولا كافرٌ فهذا أشـبه بأهل الدين فقال له عمرو ابن عبيد مابيني وبين الحق عـداوة والقول قولك فليشهد عليّ من حضر أني تارك

للمذهب الذى كنت أذهب اليه من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة قائل بقول أبي حذيفة فى ذلك وأني قد اعتزلت مذهب الحسن في هـذا الباب فاستحسن الناس هذا من عمرو ٠٠ وقيـل إن اسم الاعتزال انما اختص بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن أبي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق وحكي غير ذلك ٠٠ وقيل ان قتادة بعد موت الحسن البصرى كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو ابن عبيد جميعاً رئيسين متقدمين فى أصحاب الحسن فجرت بينهـما نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة واجتمع عليـه جماعـة من أصحاب الحسن فكان قتادة اذا جلس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول مافعل المعتزلة فسموا بذلك ٠٠[قال المرتضي رضى الله عنه] أما ما ألزمه واصل بن عطاء لعمرو بن عبيد أوّلا فسديدٌ لازم وأما ماكلمه به ثانياً فغير واجب ولا لازم لأن الاجماع وان لم يوجد فى تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق وغير ذلك من الأسماء كما وجد في تسـميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمي بذلك لدليل غـير الاجماع ووجود الاجماع فى الشيء وان كان دليلا على صحته فليس فقده دليـلاً على فساده ٠٠ وواصل انما ألزم عمراً أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطلٌ ولو لزم ماذكره للزمه أن يقال قد اتفق أهل الصـلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهـل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب أو نقول انهم اجتمعوا على استحقاقه العقاب ولم يجمعوا على فعل المسـتحق به فيجب القول بما اتفقوا عليه ونفي مااختلفوا فيه فاذا قيـل استحقاقه للخلود أو فعل المستحق به من العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليـل غير الاجماع ٠٠ قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه وبطل على كل حال أن يكون الاختلاف في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهـذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها يطول على أن المقـدمة التى قدمها لاتشـبه ماألزم عليها لأن الاجماع أولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف فى الموضع الذي كلم عليـه واصـل عمراً فى مكانين لأن الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو فى تسـميته بما عداه من الأسماء فلا تعارض بينهما ٠٠ وله أن يأخذ بالاجماع في موضعه ويعوّل فيما الاختلاف

فيه على دلالة غير الاجماع لأن فقد الاجماع من القول لايوجب بطلانه •• وحكي أن واصلا كان يقول أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلّموا قال الله تعالى (ياموسى إني أنا الله) فعرّفه نفسه ثم قال (اخلع نعليك) فبعد ان عرّفه نفسه أمره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى (والعصر إن الانسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا) يعني صدقوا (وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتوصوا بالصبر) علموا وعملوا وعلموا •• وروى المبرد قال حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فاحسوا بالخوارج وكانوا قد أشرفوا على العطب فقال واصل لأهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم فقالوا شأنك قال الخوارج له ماأنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويقيموا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلمونا أحكامه فجعلوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فأبلغونا مأمننا فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمن •• وحكى أن محمداً وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة •• وحكى أبو القاسم البلخي أن عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك محمودة إلاّ قولك بالقدر قال ياأبت فهو شيء أقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبتك عليه أبداً •• [قال المرتضي رضى الله عنه] قال أبو القاسم يقول ان كنت أقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا أقدر عليه •• فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سَمُرَة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان عبيد شرطيًّا وكان عمرو متزهداً فكانا اذا اجتازا معاً على الناس قالوا هذا شر الناس أبو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابراهيم وأنا تارخ •• قال علي بن الجعد هو عبيد بن باب وكان بوابا للحكم بن أيوب قال وكان باب مكارياً له دكان معروف يقال له دكان باب وكان فارسياً وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه •• وذكر أبو الحسين

الخيّاط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً سنة ثمانين قال ومات عمرو بن عبيد فى سنة مائة وأربع وأربعين وهو ابن أربع وستين سنة ٠٠ روى أن عمراً استأذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجلٌ قال إني عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبّة يمانية مخففة فقال ويلك ياربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصاً أبيض فأتاه به فألقاه عليه ثم قال رد من خلفي فغط الجبة وذرر عليّ قال الربيع ولم أكن أرى أحداً يوقره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد فدخل عليه رجل آدمٌ مربوع الكدنة بين عينيه أثر السجود حسن الأدب حسن اللسان كأنه لم يزل مع الملوك فى توقيره للخليفة وإعظامه إياه قال فسلم عليه فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبا وطرح نفسه بين يديه فسائله وأحفى به فلما أراد عمرو القيام قل له عظ ياأبا عثمان وأوجز قال له ان مافى يدك لست بوارثه عن أحدٍ وانما هو شئ صار اليك وقد كان فى يد غيرك قبلك ولو دام لك لبقي في يد الأول والسلام ٠٠ وروى الأصمعي قال قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد إني لأرحمك مما تقول الناس فيك فقال عمرو أتسمعني أقول فيهم شيئاً قال لا قال فاياهم فارحم ٠٠ وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لا تأخذ مني فتقضي ديناً ان كان وتصل رحمك فقال له عمرو أما دين فليس عليّ وأما صلة رحمي فلا يجب عليّ وليس عندي قال فما يمنعك أن تأخذ مني قال يمنعني انه لم يأخذ أحد من أحد شيئاً إلاّ ذلّ له وأنا والله أكره أن أذل لك ٠٠ ويقال إن ابن لهيعة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال له ياأبا عثمان ماتقول فى قوله تعالى ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾ فقال ذلك فى محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فأما العدل بينهن فى القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مطيق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى ﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾ فيما تطيقون ﴿ فتذروها كالمعلّقة ﴾ بمنزلة من ليست أيماً ولا ذات زوج وقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق ٠٠ ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال له ان أباك كان أصلك وان ابنك كان فرعك وان امرأً ذهب أصله وفرعه لحري أن لايطول بقاؤه ٠٠ وقيل ان عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال

صَحِبْتُكَ قَبلَ الرُّوحِ إِذْأَنا نُطفَةٌ ... تُصانُ فما يَبْدُو لِعَينٍ مَصونُها

أَرَى المَرْءَ دَيناً لِلمَنايا وما لَها ... مِطالٌ إِذا حَلَّتْ بِنَفْسٍ دُيونُها

فما ذا بَقاءُ الفَرْعِ مِنْ بَعدِ أَصْلِهِ ... سَتَلْقَى الذِى لاقَى الأُصولَ غُصونُها

وأول من سبق الي هذا المعنى امرؤ القيس فى قوله

فَبَعْضَ اللَّوْمِ عاذِلَتِى فإِني ... سَتُغْنِيني التَّجارِبُ وانْتِسابي

إِلى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتْ عُرُوقي ... وهذا المَوْتُ يَسلبُنِي شَبابي

وأخذ ذلك لبيد فى قوله

فإِنْ أَنتَ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفسُكَ فانْتَسِبْ ... لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ القُرُونُ الأَوائِلُ

فإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنانَ والِدًا ... وَدُونَ مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ العَوَاذِلُ

وأخذه أيضاً فى قوله

تَوَدُّ ابْنَتاىَ أَنْ يَعيشَ أَبُوهُما ... وهَلْ أَنا إِلاَّ مِنْ رَبيعةَ أَو مُضَرْ

ونظر اليه محمود الوارق وابراهيم بن العباس الصولى .. فأما محمود فى قوله

إِذا ما انْتَسَبْتَ إِلى آدَمٍ ... فَلَمْ يَكُ بَيْنَكُما مِنْ أَبِ

وجازَتْ سِنُوكَ بِكَ الأَرْبعينَ ... وصِرْتَ الى الجانِبِ الأَجْنَبِ

ودَبَّ البَياضُ خِلالَ السَّوادِ ... فأَصبَحْتَ في شَبَهِ الأَشْهَبِ

وكَيفَ تُؤَمِّلُ طُولَ الحَياةِ ... إِذا كانَ حِلْمُكَ لَمْ يَعْزُبِ

وأما ابراهيم ففى قوله

نَعَى نَفْسِى إِلَيَّ أَبِي ... وخَبَّرَ أَينَ مُنْقَلَبِي

بِمَوْعِظَةٍ رَآها فِي ... أَبِيهِ كَما رَأَيتُ أَبي

وكأن أبا نواس لحظ هذا المعنى فى قوله

وما النّاسُ إلاّ هالكٌ وابنُ هالكٍ   وذُو نَسَبٍ في الهالكينَ عريقِ
اذا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشّفتْ   لهُ عنْ عدُوٍّ في ثيابِ صديقِ

مجلس آخر ١٢

قال روى أن عمرو بن عبيد دخل على معاوية بن عمر الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعبدك فى حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ووضع عنك فى هذه الحالة عمل الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقلبك فاعطه بقلبك ما يجب له عليك ٠٠ وروي أن قوماً اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فتذاكروا السخاء فأكثروا فى وصفه وعمرو ساكت فسألوه ماعنده فقال ماأصبتم صفته ان السخي من جاد بماله تبرعاً وكف عن أموال الناس تورعاً ٠٠ وذكر اسحاق بن الفضل الهاشمي إني لعلى باب المنصور يوماً والى جنبي عمارة بن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم دفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت اليَّ عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا منها بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أبو عثمان عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد اليه فاتكاه يده ثم قال له أجب أمير المؤمنين جعلت فداك فمر متوكئاً عليه فالتفت الى عمارة فقلت ان الرجل الذى استحمقته قد أُدخل وتركنا فقال كثيراً ما يكون ذلك فأطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكى عليه والربيع يقول ياغلام حمار أبي عثمان فما برح حتى أتى بالحمار فأقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ملو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب قال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ماهو إلا أن سمع الخليفة بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففُرش لُبُوداً ثم انتقل اليه والمهدي معه عليه سواده وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى أتكاه فخذه

وتحفى به ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ثم قال يا أبا عثمان عظنا فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿ والفجر وليالٍ عشر والشفع والوتر والليل اذا يسرِ ﴾ ومر فيها الى آخرها وقال ان ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد قال فبكا المنصور بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة ثم قال زدني فقال ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم أن هـذا الأمر الذى صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك وأني أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكا أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه •• وفى رواية أخرى انه لما انتهي الى آخر السورة قال يا أمير المؤمنين ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله فان من وراء بابك نيراناً تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله فقال يا أبا عثمان إنا لنكتب اليهم في الطوامير نأمرهم بالعمل بالكتاب فان لم يفعلوا فما عسى أن نصنع فقال له مثل أذن الفأرة يجزيك من الطوامير ألله أتكتب اليهم فى حاجة نفسك فينفذونها وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذونها والله لو لم ترض من عمالك إلا رضى الله اذاً لتقرب اليك من لا نية له فيه •• [قال المرتضى] رضى الله عنه رجعنا الى نسق الحديث فقال له سليمان ابن مجالد رفقاً بأمير المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم فقال له بذلك ضاع الأمر وانتشر لا أبا لك وما ذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله •• وفى رواية أخري ان سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له من أنت فقل أبو جعفر أو لا تعرفه يا أبا عثمان قال لا ولا أبالي أن لا أعرفه فقال له هذا أخوك سليمان بن مجالد فقال هذا أخو الشيطان ويلك يا ابن مجالد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحته يا أمير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلّماً لشهواتهم فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميتٌ وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث وحدك ولن يغنى عنك هؤلاء من ربك شيئاً فقال له المنصور يا أبا عثمان أعنى بأصحابك أستعن بهم فقال له اظهر الحق يتبعك أهله قال بلغنى أن محمد بن عبد الله بن الحسن كتب اليك كتاباً قال قد جاءنى كتاب يشبه أن يكون كتابه قال فبما ذا أجبته

قال أو لست قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف الينا وإني لا أراه قال أجل ولكن تحلف ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقيّة لأحلفن لك تقيّة قال له أنت الصادق البار وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك فقال لا حاجة لي فيها فقال المنصور والله لتأخذنها قال والله لا أخذتها فقال له المهدي يحلف أمير المؤمنين وتحلف فترك المهدي وأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال هذا ابني محمد وهو المهدي وهو ولي العهد فقال والله لقد سميته اسماً ما استحقه بعمل وألبسته لبوساً ما هو من لبوس الأبرار ولقد مهدت له أمراً امتع مايكون به أشغل ما تكون عنه ثم التفت الي المهدي فقال نعم يا بن أخي اذا حلف أبوك حلف عمك لان أباك أقدر على الكفارة من عمك قال المنصور يا أباعثمان هل من حاجة قال نعم قال ماهي قال ألا تبعث اليّ حتى آتيك [1] قال اذاً لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولى اتبعه بصره وأنشأ يقول

كلُّكُمْ طالِبُ صيدْ كلُّكُمْ يمشي رُوَيدْ
غيرَ عمرِو بنِ عبيدْ

وروى أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو أليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لأنظر بهما في ملكوت السموات والأرض فاعتبر قال وجعل لك فماً قال نعم قال ولم قال لأذوق الطعوم وأجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك قلباً قال نعم قال ولم قال لتؤدي اليه الحواس ماأدركته فيميز بينها قال فأنت لم يرض لك ربك

[1] وروى من غير هذا الوجه فقال له ترفع هذا الطيلسان عني فرفع وكان أمر المنصور أن يطرح عليه عند دخوله فقال له لا تدع إتياننا قال نعم لا يضمني وإياك بلد الا أتيتك وان بدت لي حاجة اليك سألتك ولا تدعني حتى آتيك قال اذا لا تأتينا أبداً فلما ولوا للخروج اتبعهم المنصور بصره ثم قال

كلكم يمشي رويد كلكم حابل صيد غير عمرو بن عبيد

تعالى ان خالق لك خمس حواس حتى جعل لها اماماً ترجع اليه يرضى لهـذا الخلق الذين حشى بهم العالم أن لا يجعل لهم اماماً يرجعون اليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر في مسألتك وعرفه ثم دار هشام في حلق البصرة فما أمسى حتى اختلفوا •• وروي أبو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان أخبرني عن صاحبك يعني الحسن يزعم أن علياً عليه السـلام قال إني وددت أني كنت آكل الحشف بالمدينة ولم أشهد مشهدى هذا يعنى يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هـذا لانه ظن ان أمير المؤمنين شك ولكنه يقول ودّ انه كان يأكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة قال فقوله في عبد الله بن العباس يفتينا في القملة والقميلة وطار بأموالنا في ليلة فقال له فكيف تقول هـذا وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلام وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة عليّ الى الأموال وهو يفرّغ بيت مال الكوفة في كل خمس ويرشه وقالوا انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة هـذا باطل •• قال الجاحظ نازع رجـل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمـرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهـم أو قدرته فيهم أو أردته منهم أو شئته لهم أو ليس بعد هذا الأمر الاّ الاقرار بالعـدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى •• قال خلاد الأرقط حدثني زميل عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها يقول اللهم ان كنت تعلم انه لم يعرض لي أمران قط أحدهما لك فيه رضاً والآخر لي فيه هوى الاّ قدمت رضاك على هواي فاغفر لي [1] •• ومر أبو جعفر المنصور على

---

(١) وقال اسماعيل بن مسلمة أخو القعنبي رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام فقال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في النار ثم رأيته في الليـلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الثالثة فعمرو بن عبيد فقال في النار كم أقول لك

قبره بمرّان وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة (١) وأنشأ يقول

صلّى الإلهُ عليكَ من متوسّدٍ قبرًا مررتُ به على مرّانِ

قبرًا تضمّنَ مؤمنًا متخشّعًا عبدَ الإلهَ ودانَ بالفرقانِ

وإذا الرّجالُ تنازعوا في شبهةٍ فصلَ الخطابَ بحكمةٍ وبيانِ

فلو أنّ هذا الدّهرَ أبقى صالحًا أبقا لنا عمرًا أبا عثمانِ

فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدى ٠٠ وقال أبو القاسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة ٠٠ وقال أبو الحسن الخياط ولد سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل انه توفي فى أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان سنّه مائة سنة ٠٠ قال البرذعي لحق أبا الهذيل فى آخر عمره خرفٌ إلاّ أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف بصره قبل وفاته ٠٠ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء ٠٠ وقيل ان أبا الهذيل فى حداثته بلغه ان رجلا يهودياً قدم البصرة وقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودى حتى أكلمه فقال له عمه يابنيّ كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لابد من أن تمضي بي اليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فاذا اعترفوا له بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى أن نجتمع على ما تدّعونه فتقدمت اليه فقلت أسألك أم تسألني فقال بل أسألك فقلت ذاك اليك فقال لي أتعترف بأن موسى نبي صادق أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى الذي تسألني عنه هو الذى بشر بنبيي وشهد بنبوّته وصدّقه فهو نبي صادق وان كان غير من وصفت فذلك شيطانٌ لا أعترف بنبوّته فورد عليه مالم يكن في حسابه ثم قال لي أتقول ان التوراة حق فقلت هذه المسألة تجري مجرى الأولى ان كانت هذه التوراة التى تسألني عنها هي التي تتضمن

(١) قوله على طريق البصرة وقيل بين مكة والمدينة وهو بفتح الميم

البشارة بنبي عليه الصلاة والسلام فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقرّ بها فبُهت وأفحم ولم يدرما يقول ثم قال لي أريد أن أقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت أنه يقول شيئاً من الخير فتقدمت اليه فسارّني وقال أمك كذا وكذا وأم من علمك ولا يكني وقدّر أني أثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا عليّ فأقبلت على من كان في المجلس فقلت أعزكم الله ألستم قد وقفتم على مسألته إياى وعلى جوابي له فقالوا نعم قلت أفليس عليه أن يرد جوابي أيضاً قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارّني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما ظن أني أثب عليه فيدعي أننا وثبناه وشغبنا عليه وقد عرّفتكم شأنه بعد الانقطاع فانصروني فأخذته الأيدى من كل جهة فخرج هارباً من البصرة ٠٠ وعن أبي العيناء قال قال أبو الهذيل مامعنى الخسف فقلت أن تنقلب الأرض أعلاها أسفلها فقال إن لايكن هـذا اليوم بالأرض فانه لبا لناس ٠٠ وقال أبو الهذيل قال لي المعذّل بن غيلان العبدى وكان من سادات عبد القيس وكان يجتمع اليه أهـل النظر ياأبا الهـذيل ان فى نفسي شيئاً من قول القوم في الاسـتطاعة فبين لي مايذهب بالرّيب عنى فقال خبرني عن قول الله عزوجل ﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون﴾ هل يخلو من أن يكون أكذبهم لأنهم مستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو اسـتطعنا لخرجنا معكم فأكذبهم الله تعالى على هـذا الوجه أويكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون أى ان أعطيتهم الاسـتطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون ولا يكون الخروج وعلى كلّ حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا نعقل للآية معنى ثالثاً غير الوجهين الذين ذكرناهما ٠٠ حكى سـليمان الرّقي ان أبا الهذيل لما ورد سُرّ من رأى نزل فى غرفة الى أن يطلب له داراً تصلح له قال فررت به فقلت له ياأبا الهذيل أتنزل فى مثل هذا المنزل فأنشدني

يَقولونَ زَينُ المَرءِ يا مَيُّ رَحلُهُ ... أَلا إِنَّ زَينَ الرَّحلِ يامَيُّ راكِبُه

وعن أبي مجالد قال رأيت رجلا وقد سأل أبا الهذيل وهو فى الورّاقين بقصر وضّاح

فقال له من جمع بين الزانيين فقال له يابن أخي أما بالبصرة فانهم يقولون القوادون ولا أحسب أهل بغداد يخالفونهم على هذا القول فما تقول أنت قال فخجل الرجل وسكت •• وقال أبو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم قوم انه الأصم خبّرني عن قول الله تعالى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائةَ جلدة ﴾ وذكر القاذف فقال فاجلدوه ثمانين جلدة فأيهما أكثر فقال حد الزاني قلت بكم قال بعشرين قلت فحدثني عن الجلد أهو يد الجلاد قال لا قلت أفهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت أفهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت أفثم شيء غير هذا يقال هو الجلد قال لا قلت فانما تقول أن لاشيء أكثر من لاشيء بعشرين فانقطع •• وقال أبو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص أجنحتها وحطها الى الأرض يحرث عليها فقلت فالماء قال نور الله قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الأرض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شر من المجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه •• ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال أبو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير لنوفّيه بمعرفته حقه قال رجل من أهل النجوم قال من أهل صناعة الحساب أم الأحكام قال الأحكام قال ذلك عملٌ يبطل أفنسأله قال سل فأخذ أبو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال آكل هذه التفاحة أم لا قال تأكلها فوضعها أبو الهذيل وقال لست آكلها قال فتعيدها الى يدك وأعيد النظر فوضعها وأخذ غيرها فقال له الحسن لم أخذت غيرها قال لئلا تقول لي لاتأكلها فآكلها خلافاً عليه فيقول قد أصبت في المسألة الأولى [1] •• وقال النعمان المناني يوماً لأبي الهذيل دُلّ على

(١) وحكى انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له وَلد وهو شديد الجزع عليه فقال له أبو الهذيل لاأعرف لجزعك عليه وجهاً اذا كان الانسان عندك كالزرع

حدوث العالم بغير الحركة والسكون فقال له أبو الهذيل مثلك مثل رجل قال لخصمه احضر معي الى القاضي ولا تحضر بينتك .. وذكر محمد بن الجهم صاحب الفرّاء قال رأيت أبا الهذيل وقد جاء الى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيون أن يكتب له كتاباً في حاجة الى حفصويه صاحب الجيش ونهض أبو الهذيل فأملى عليّ سهل بن هرون

إنَّ الضَّميرَ إذا سألتُكَ حاجةً ... لأبي الهُذَيلِ خلافُ ما أُبدِي

فإذا أتاكَ لحاجةٍ فامدُدْ لهُ ... حَبلَ الرَّجاءِ بمُخْلَفِ الوَعدِ

وألِنْ لهُ كَنفاً ليحسنَ ظَنُّهُ ... في غيرِ منفعةٍ ولا رِفدِ

حتَّى إذا طالَتْ شَقاوَةُ جَدِّهِ ... ورَجا الغنى فأَجبهُ بالرَّدِّ

وانِ استطعتَ لهُ المَضَرَّةَ فاجتهِدْ ... فيما يَضُرُّ بأَبلغِ الجهْدِ

وانظُرْ كلامي فيهِ فأْرَمِ بهِ ... خلفَ الثُّرَيَّا منكَ في البُعْدِ

وكذاكَ فافعَلْ غيرَ مُحتشِمٍ ... إنْ جِئتُ أسألُ في أبي الهِنْدِي

[قال المرتضى رضي الله عنه] ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا أبو العيناء قال كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي أريد الخروج الى فلان العامل وأحببت أن تكون معي اليه وسيلة وقد سألت مَن صديقه فقيل لي أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك فأحب أن تأخذ لي كتابه اليه بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال لي في أي شيء جاء أبو عبد الله فقلت مسلماً

قال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال له كتاب الشكوك ماهو يا صالح قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان فقال له أبو الهذيل فشك أنت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات وشك أيضاً في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه

وقاضياً لحق وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة فاني في غد أوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه الىَّ بالكتاب فقلت لابني وجه هذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لى ان أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن تفضه وتنظر ما فيه ففعل فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا أعرفه وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك وان رددته لم أذممك فلما قرأت الكتاب مضيت من فورى الى الجاحظ فقال ياأبا عبد الله قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب فقلت أو ليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتنى به فقلت لا والله مارأيت رجلا أعلم بطبعك وما جلت عليه من هذا الرجل أعني صاحب الحاجة أعلمت انه لما قرا الكتاب قال اعطأم الجاحظ عشرة آلاف وأم من يسأله فقلت ماهذا أتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن أشكره •• وفي رواية أخرى ان أبا العيناء سلم الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختومٌ فقال طينه فهو من طنه •• [قال المرتضي] رضى الله عنه وأظن ان أبا العيناء تنبه على فض الكتاب وقراءته بخبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعي وذاك انهما وفدا على عمرو بن هند ونادماه واحتظيا به ثم أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما (١) وعرض به بالشعر

---

(١) قوله أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما أما طرفة فهجاه بأبياته المشهورة

فليت لنا مكان الملك عمرو   رغوثا حول قبتنا تخورُ

•• ومنها أيضاً

قسمت الدهر فى زمن رخي   كذاك الحكم يقصد أو يجور

وسبب علمه بهجو طرفة بن العبد إياه انه نظر يوماً الى كشح عبد عمرو بن مرثد فقال لقد أبصر طرفة حسن كشحك وتمثل

ولا خير فيه غير أن له غني   وان له كشحاً اذا قام أهضما

وهو من أبيات هجا بها طرفة عبد عمرو فغضب وقال لقد قال للملك أقبح من هذا قال عمرو وما الذي قال فندم عبد عمرو لأن طرفة كان ابن عمه وأبى أن يسمعه فقال أسمعنيه وطرفة آمن فأنشده القصيدة

المشهور فخنق عليهما وهم بقتلهما ثم أشفق من ذلك وأراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة أحنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتاباً الى البحرين وقال لهما إني قد كتبت لكما بصلة فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتابان في أيديهما فمرّا بشيخ جالس على ظهر الطريق متكشفاً يتبرز ومعه كسرة خبز يأكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصمه فقال أحدهما لصاحبه ما رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته فقال وما ترى من عجب ادخل طيباً واخرج خبيثاً واقتل عدواً وان أعجب مني لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدرى فأوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ ياغلام قال نعم ففض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه فاذا فيه اذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيًّا فأقبل على طرفة فقال له تعلمن والله لقد كتب فيك مثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرأه عليك فقال كلاّ ما كان ليجسر على قومي بمثل هذا ولم يلتفت الى قول المتلمس فألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال

قَذَفتُ بِها بالثّنْيِ مِنْ جَنْبِ كافِرٍ … كَذَلكَ أَقنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلّلِ

رَضِيتُ لَها بالمَاءِ لَمّا رأَيتُها … يَجُولُ بِها التَّيارُ في كُلِّ جَدْوَلِ

وأما المتلمس فذكر ابن السكيت في شرح ديوان طرفة انه هجاه بقصيدة منها

ألك السدير وبا … رق ولك الخورنق

وروى أبو الفرج الأصبهاني من طريقه عن ابن السكيت انه هجاه بأبيات منها

قولا لعمرو بن هند غير متئب … ياأخنس الأنف والأضراسُ كالعدس

مَلك النهار وأنت الليل مومسة … ماء الرجال على فخذيك كالقرس

لو كنت كلب قنيص كنت ذا جدد … تكون إربته في آخر المرس

أراد بالقرس القريس وهو الجامد والقنيص القانص والقنيص أيضاً الصيد والاربة العقدة والمرس الحبل أي هو أخس الكلاب فقلادته أخس القلائد .. وقال ابن الكلبي هذا الشعر لعبد عمرو بن عمار يهجو به الأبيرد الغساني وبسببه قتل عبد عمرو

ـ كافر ـ نهر بالحيرة ـ وأقنو ـ اقتني ـ والقط ـ الكتاب ـ والتيار ـ معظم الماء وكثرته •• وقال المتلمس أيضاً

مَنْ مُبلغُ الشُّعراءَ عن أَخويهمْ نبأً فتصدُقهمْ بذاكَ الأنفسُ

أَوْدَى الَّذِي عاقَ الصَّحيفةَ منهما ونجا حِذارَ حِبائهِ المُتلمِّسُ

أَلقَى صَحيفتَهُ ونجَّتْ كُورَهُ وَجْناءُ مُجمَرَةُ المَناسِمِ عِرْمِسُ

عَيرانةٌ طَبخَ الهَواجرُ لحمَها فكأَنَّ نقبتَها أَديمٌ أملسُ

أَطُرَيفةَ بنَ العَبْدِ إنَّكَ جائنٌ أَبساحةِ المَلِكِ الهُمامِ تمرَّسُ

أَلقِ الصَّحيفةَ لاَ أَبالكَ إنَّهُ يُخشَى عليكَ مِنَ الحِباءِ النِّقْرِسُ

ـ النقرس ـ هنا الداهية الدهماء ومضى طرفة بكتابه الى البحرين فأمر به المعلّى ابن حنش العبدى فقتل •• فقال المتلمس

عَصانا فما لاقَى رَشادًا وإنَّما تبيَّنُ في أَمرِ الغَوِيِّ عواقبُه

فأَصبحَ محمُولاً على ظَهرِ آلةٍ تمجُّ نجيعَ الجوفِ منهُ ترائبُه

فإلاَّ تجلَّلها يُعالوكَ فوقَها وكيفَ توَقِّي ظَهرَ ما أنتَ راكِبُه

ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمراً وبلغه أن عمراً يقول لان وجده بالعراق ليقتلنه •• فقال

آليتَ حبَّ العِراقِ الدَّهرَ أَطعمُهُ والحبُّ يأْكُلُهُ في القَريةِ السُّوسُ[(١)]

(١) قال البغدادي والبيت من شواهد سيبويه على أن نصب حب على نزع الخافض أي على حب العراق والبيت بالخطاب لعمرو بن هند يقول له حلفت لا تتركني بالعراق ولا تطعمني من حبه والحال أن الحب لا يبقى ان أبقيته بل يسرع اليه الفساد ويأكله السوس فالبخل به قبيح وهذا على طريق الاستهزاء والسخرية وبعده

لم تدرى بصرى بما آليت من قسم ولا دمشق اذا ديس الكراديس

وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورثوه أشعارهم

وَهَبَ القَصائدَلي النَّوَابِغُ إذْ مَضَوْا وأبو يَزيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ

وأخُو بَني قيسٍ وهُنَّ قَتَلْنَهُ ومُهَلْهِلُ الشُّعَرَاءِ ذاكَ الأَوَّلُ

يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان ويعنى بأبي يزيد المخبّل السعدى وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ القيس وأخو بني قيس طرفة ومعنى قوله ـ وهن قتلنه ـ يعنى القصائد التى هجا بها عمرو بن هند •• ويقال ان صاحب هذه القصة هو النعمان بن المنذر وذلك أشبه بقول طرفة

أَبَا مُنْذِرٍ كانتْ غُرُورًا صَحيفتي ولمْ أُعطِكم بالطَّوعِ مالي ولاعِرْضي

أَبا مُنْذِرٍ أفنيْتَ فاستَبْقِ بَعضنا حَنَانَيْكَ بَعضُ الشَّرِّ أهوَنُ مِنْ بَعض

وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة المتلمس فى النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله فيشبه أن تكون القصة مع النعمان

مجلس آخر ١٣

وكان أبو سهل بشر بن المعتمر من وجوه أهل الكلام ويقال ان جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه •• وقال أبو القاسم البلخي انه من أهل بغداد وقيل من أهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان أبرص •• حكى انه كان يوماً فى مجلسه وعنده أصحابه ومعه مجبر يسألهم ويقول أنتم تحمدون الله على إيمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم فكأنه يجب أن يحمد على مالم يفعل وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون له انما ذم من أحب أن يحمد على مالم يفعل ممن لم يعن عليه ولم يدع اليه وهو يشغب عليهم إذ أقبل ثمامة بن أشرس فقال بشر للمجبر قد سألت القوم وأجابوك وهذا أبو معن فاسأله عن المسئلة

وبصرى مدينة بالشام يقول لاتدرى كثرة الطعام الذى ببصرى وبدمشق والكراديس اكداس الطعام ومن هنا يعلم أن الخطاب لعمرو لا للنعمان كما يأتي

فقال له هل يجب عليك أن تحمد الله على الايمان قال بل هو يحمدني عليه لانه أمرني به ففعلته وأنا أحمده على الأمر به والتقوية عليه والدعاء اليه فانقطع المجبر فقال بشر شبعت فسهلت .. قال الجاحظ وكان بشر يقع فى أبي الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصف أبا الهذيل لأن يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب اليه من أن يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب اليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولأن يكون نبيل المنظر سخيف المخبر أحب اليه من أن يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق أشد عجباً منه بالاخلاص ولباطل مقبول أحب اليه من حق مدفوع .. ولبشر أشعار كثيرة يحتج فيها على أصحاب المقالات وذكر الجاحظ انه لم ير أحداً أقوى على المخمس والمزدوج مماقوي عليه بشر وانه كان في ذلك أكثر وأقدر من أبان اللاحقى وهو القائل

إنْ كُنتَ تَعلَمُ ما أقو ... لُ وما تَقولُ فانتَ عالِمْ

أَوكُنتَ تجهلُ ذا وذا ... كَ فكنْ لأهْلِ العِلْمِ لازِمْ

أَهلُ الرِّياسةِ مَنْ يُنـازِعُهُمْ رِياستَهُمْ فظالِمْ

سَهِرَتْ عيونُهُمُ وأنـتَ عنِ الَّذِي قاسَوْهُ حالِمْ

لا تَطلُبَنَّ رِياسَةً ... بالجَهلِ أنتَ لها مُخاصِمِ

لولاَ مقامُهُمُ رأيـتَ الدِّينَ مُضْطَرِبَ الدَّعائمِ

فأما أبو اسحق ابراهيم بن سيّار النظّام فانه كان مقدماً فى العلم بالكلام حسن الخاطر شديد التدقيق والغوص على المعانى وإنما أدّاه الى المذاهب الباطلة التى تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغافله .. وقيل انه مولى الزياديين من ولد العبيد وان الرق جرى على أحد آبائه .. وقيل للنظّام ما الاختصار فقال الذى اختصاره فساده .. وقال لرجل أتعرف فلاناً المجوسي فقال نعم ذاك الذى حلق وسط رأسه كما يفعل اليهودى فقال النظّام لا مجوسياً عرفت ولا يهودياً وصفت .. قال الجاحظ وذكر النظّام عبد

الوهاب الثقفى فقال هو أحلى من أمنٍ بعد خوفٍ وبُرء بعد سقم وخصب بعد جدب وغناً بعد فقرٍ وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم

وللنظّام شعر كثير صالح فمنه

يا تاركى جسدًا بغير فؤادِ ... أسرفتَ في الهجرانِ والإبعادِ

إنْ كانَ يمنعكَ الزيارةَ أعينٌ ... فادْخلْ عليَّ بعلّةِ العوّادِ

كيما أراكَ وتلكَ أعظمُ نعمةٍ ... ملكتْ يداكَ بها منيعَ قيادي

إنَّ العيونَ علي القلوبِ إذا جنَتْ ... كانتْ بليّتُها على الأجسادِ

.. وله

توهّمهُ طرْفي فآلمَ خدّهُ ... فصارَ مكانَ الوهْمِ منْ نظري أثرْ

وصافحهُ قلبي فآلمَ كفّهُ ... فمنْ صفحِ قلبي في أناملهِ عقرْ

ومرَّ بقلبي خاطرًا فجرحتُهُ ... ولمْ أرَ جسماً قطُّ يجرحُهُ الفكرْ

يمرُّ فمنْ لينٍ وحسْنِ تعطّفٍ ... يُقالُ بهِ سُكْرٌ وليسَ بهِ سُكْرُ

ويقال ان أبا العتاهية قال أنشدت النظام شعراً

إذا همَّ النديمُ لهُ بلحظٍ ... تمشّتْ في محاسنهِ الكلُومُ

فقال ينبغي أن ينادم هذا أعمى .. [قال المرتضى رضى الله عنه] وأبيات النظام تتضمن معنى بيت أبي العتاهية ولسنا ندرى أيهما أخذ من صاحبه والنظّام يكرر هذا المعنى كثيراً فى شعره فمن ذلك قوله

رقَّ فلوْ بُزّتْ سرابيلُهُ ... علّقهُ الجوُّ منَ اللُّطفِ

يجرحُهُ اللّحظُ بتكرارِهِ ... ويشتكي الإيماءَ بالطّرفِ

وحكى ان أبا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يوماً ليمتحنه وفى يده قدح زجاج يابني صف لي هذه الزجاجة فقال أبمدح أم بذم فقال

يمدح قال نعم تريك القذى وتقيك الأذى ولا تستر ماورى قال فذمها قال سريع كسرها بطيء جبرُها قال فصف هـذه النخلة وأومأ الى نخلة في داره فقال أيمدح أم يذم قال يمدح قال حلو مجتناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة بالأذى فقال الخليـل يا بني نحن الى التعلم منك أحوج .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وهذه بلاغة من النظّام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذماً أو مدحاً بأقصى مايقال فيه .. وشبيه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور فى هجائه البقلة التى امتحن بهجائها واختبر بذمها فقال فيها أبلغ مايقال فى مثلها وذلك أن عمارة وأنساً وقيساً والربيع بني زياد العبسيين [1] وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليـه العامريون بنو أم البنين وعليهم أبو عامر بن مالك جعفر بن كلاب وهو ملاعب الأسنّة وكان العامريون ثلاثين رجلا وفيهـم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر الجلوس عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على أبي براء وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فافتخروا يوماً بحضرته فكان العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع اذا خلى بالنعمان طعن فيهـم وذكر معايبهم ففعل ذلك مراراً لعداوته لبني جعفر لانهم كانوا أسروه فصد النعمان عنهم حتى

---

(١) قوله العبسيين هم اخوة وأبوهم زياد العبسي وكل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشاً وأمهم فاطمة بنت الخُرْشُبْ الانمارية إحـدى المنجبات وهي التى سئلت أي بنيك أفضـل فقالت الربيع بل عمارة بل قيس بل أنس ثم قالت ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها . وسئلت عنهم أيضاً فقالت فى عمارة لاينام ليـلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف وقالت فى الربيع لا تعد مآثره ولا يختشى فى الجهل بوادره وقالت فى أنس اذا عزم أمضى واذا سـئل أرضى واذا قدر أغضى وكان لكل واحد منهـم لقب فكان عمارة يقال له الوهاب وكان الربيع يقال له الكامل وقيس يقال له الجواد وأنس يقال له أنس الحفاظ وكان عمارة آلى على نفسه أن لايسمع صوت أسير ينادي فى الليل إلاّ افتكّه

نزع القبة عن أبي براء وقطع النزل ودخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاء وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضاباً وهموا بالانصراف ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بإبلهم فيرعاها فاذا أمسى انصرف بها فأتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فقال لهم ما كنتم تتناجون فكتموه وقالوا له اليك عنّا فقال خبّروني فلعل لكم عندي فرجاً فزجروه فقال والله لا أحفظ لكم متاعاً ولا أسرح لكم بعيراً أو تخبروني وكانت أم لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا له خالك غلبنا على الملك وأصدّ عنا[1] وجهه فقال هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فأزجر به زجراً مُمِضّاً مؤلماً لا يلتفت اليه النعمان بعده أبداً فقالوا له وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فانا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده وقال هذه البقلة التربة التفلة الرذلة التى لا تذكي ناراً ولا تؤهل داراً ولا تستر جاراً عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع أقصر البقول فرعاً وأخبثها مرعاً وأشدها قلعاً فخرباً لجارها وجدعاً فالقوا بي أخا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس فقالوا له نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رأيتموه نائماً فليس أمره بشئ انما تكلم بما جرى على لسانه وان رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلا يكدم واسطته حتى أصبح فلما أصبحوا قالوا أنت والله صاحبه فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخا إزاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا أرادت الهجاء فمثل بين يديه ثم قال

---

(١) قوله وأصدعنا .. قال الزجاج في كتاب فعلت وأفعلت في باب الصاد صدني الرجل عن الأمر واصدني والمعنى واحد

يا رُبَّ هيجا هي خيرٌ من دعه إذ لا تزالُ هامتي مقزعه
نحنُ بنى أُمّ البنين الأربعه ونحن خيرُ عامرِ بن صعصعه
المُطعمونَ الجفنةَ المُدعدعه والضاربونَ الهامَ تحتَ الخيضعه
مهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكُلْ معه إنَّ استَهُ من برصٍ ملمَّعه
وإنهُ يُدخلُ فيها إصبعه يُدخلُها حتَّى يُوارِي أشجعه
كأنهُ يطلبُ شيئاً ضيَّعه

فلما فرغ لبيد التفت النعمان الي الربيع يرمقه شزراً وقال كذلك أنت فقال كذب والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمان أفّ لهذا الطعام لقد خبثت عليّ طعامي فقال الربيع أبيت اللعن أما إنى قد فعلت بأمه لا يكني وكانت فى حجره فقال لبيد أنت لهذا الكلام أهل أما إنها من نسوة غير فُعل وأنت المرء قال هذا فى يتيمته .. [قال المرتضي] رضى الله عنه وجدت فى رواية أخرى أما انها من نسوة فُعُل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح وصدقه عليها تهجيناً له ولقومه فأمر الملك بهم جميعاً فأخرجوا وأعاد على أبى براء القبة وانصرف الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وأمره بالانصراف الى أهله فكتب اليه إنى قد تخوّفت أن يكون قد وقع فى صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث اليّ من يجردنى ليعلم من حضرك من الناس إنى لست كما قال فأرسل اليه انك لست صانعاً بانتفائك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على رد مازلّت به الألسن فالحق بأهلك ثم كتب اليه النعمان فى جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع [١] مشهورة

(١) قوله ثم كتب اليه النعمان في جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع مشهورة أبيات الربيع هي

لئن رحلت جمالي إن لي سعة ما مثلها سعة عرضاً ولا طولا
بحيث لو وزنت لخم بأجمعها لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا ... فَمَا اعْتِذَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلا

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دايد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأخبرنا به أيضاً المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال أخبرنا محمد بن زياد بن زيَّان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكائي وكان قد أدرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم نأت بجميع الخبر على وجهه بل أسقطنا منه مالم نحتج اليه وأوردنا ماأوردنا منه بألفاظه •• [قال المرتضي رضي الله عنه] أما قوله ـ نحن بني أم البنين الأربعه ـ فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً •• وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ولدت منه عامر بن مالك ملاعب الأسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو أبو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له •• وربيعة بن مالك أبا لبيد وهو ربيع المقترين •• ومعاوية بن مالك معوّد الحكام وانما سمي معوّد الحكام بقوله

أُعَوِّدُ مِثْلَهَا الحُكَّامَ بَعْدِي ... إِذَا مَا الحَقُّ فِي الأَشْيَاءِ نَابَا

وولدت عبيدة الوضّاح فهؤلاء خمسة وقال لبيد أربعة لأن الشعر لم يمكنه من ذلك(١)

ترعى الروائم أحرار البقول بها ... لا مثل رعيكم ملحاً وغاسولا

فابرق بأرضك يا نعمان متكئاً ... مع النطاسي يوماً وابن نوفيلا

وأبيات النعمان هي

شرد برحلك عني حيث شئت ولا ... تكثر عليّ ودع عنك الأقاويلا

فقد ذكرت به والركب حامله ... ورداً يعلل أهل الشام والنيلا

فما انتفاؤك عنه بعد ما جزعت ... هوج المطيّ به أبراق شمليلا

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً ... فما اعتذارك من شئ اذا قيلا

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة ... وانشر بها الطرف إن عرضاً وإن طولا

(١) قوله إن لبيد انما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر هذا قول الفراء وهو

.. وأما ـ الجفنة المدعدعة ـ فهي المملوأة .. وأما ـ الخيضعة ـ فان الأصمعي يذكر أن لبيداً قال تحت الخضعة يعني الجلبة فسوّنه الرواة .. وقيل أن الخيضعة أصوات وقع السيوف والخيضعة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس والخيضعة الغبار والقول يحتمل كل ذلك .. وأما ـ أبيت اللعن ـ فان أبا حاتم قال سألت الأصمعي عنه فقال معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه .. وأما ـ الأشاجع ـ فهي العروق والعصب الذى على ظهر الكف وقد روى أكل يوم هامتي مُقزَّعه ـ والقزع ـ تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه يقال كبش أقزع ونعجة قزعاء

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لأبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما رأى أحرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحاق القاضي .. فأما الجاحظ فانه كان اذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله الى آخره أي كتاب كان .. وأما الفتح بن خاقان فانه كان يحمل الكتاب فى خفّه فاذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب للنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك فى رجوعه الى أن يأخذ مجلسه .. وأما اسمعيل بن اسحاق فإني ما دخلت عليه قط إلاّ وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه .. قال الباخي تفرد

قول فارغ والصواب كما قال ابن عصفور فى الضرائر لم يقل إلاّ أربعة وهم خمسة على جهة الغلط وانما قال ذلك لان أباه كان مات وبقى أعمامه وهم أربعة وهو مسبوق بالسهيلي فانه قال وانما قال الأربعة لان أباه كان قد مات قبل ذلك لا كما قال بعض الناس وهو قول يعزى الى الفراء انه قال انما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافى فيقال له لا يجوز للشاعر أن يلحن لاقامة وزن الشعر فكيف بان يكذب لاقامة الوزن وأعجب من هذا انه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال أراد جنة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتتفق رؤس الآي أوكلاماً هذا معناه فصُمّي صمام ما أشنع هذا الكلام وأبعده عن العلم وفهم القرآن وأقل هيبة قائله من أن يتبوّء مقعده من النار

الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العبد على الحقيقة وكان يقول في سائر الأفعال انها تنسب الى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً وانما وجبت بارادتهم وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف وقد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به وإلفه وعصبيته فهو لايشعر بما عنده من المعرفة بخلافه (١) •• وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد للعداوة التي كانت بين أحمد ومحمد فلما قبض على محمد الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور يريد ما صُنع بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات •• وروى انه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن أبي دؤاد قال والله ماعلمتك إلاّ متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة معدناً للمساوي وماقصرت باستصلاحي لك ولكن الأيام لاتصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لأن يكون لك الأمر عليّ خيرٌ من أن يكون لي عليك ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحدوثة عنك من أن أحسن وتسيء ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام مني فقال ابن أبي دؤاد قبحك الله فوالله ماعلمتك إلاّ كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اضطغنت فيه النفاق والكفر ياغلام صر به الى الحمام وأمط عنه الأذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وأُدخل الحمام وحُمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم أتاه فصدره في مجلسه ثم أقبل عليه وقال هات الآن حديثك ياأبا عثمان •• وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تأمن فانك حذرٌ ممن تخاف •• وقال الجاحظ قلت لأبي يعقوب

---

(١) وروى عن أبي عمرو انه جرى ذكر الجاحظ في مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى فقال أمسكوا عن ذكر الجاحظ فانه غير ثقة •• قال الأزهري وكان الجاحظ روى عن الثقات ماليس من كلامهم وكان قد أوتي بسطة في لسانه وبياناً في خطابه ومجالا واسعاً في فنونه غير ان أهل العلم والمعرفة ذموه وعن الصدق دفعوه ••

الخزيمي الشاعر من خالق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لا أدري والله ٠٠ وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى ٠٠ وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة ٠٠ وقال سوار بن أبي شراعة كنت عند الجاحظ فرآني أكتب خطاً ردياً في ورق رديّ متقارب السطور فقال لي ما أحسبك تحب ورثتك فقلت وكيف ذاك قال لاني أراك تسيء بهم فيما تخلّفه ٠٠ وذكر أبو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه أنت والله أحوج الى هوان من كريم الى إكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر ٠٠ وقال المبرد قال لي الجاحظ يوماً أتعرف مثل قول اسمعيل بن القاسم

وَلاَ خيرَ فيمَن لا يُوَطِّنُ نفسَهُ ... على نائباتِ الدَّهرِ حينَ تَنوبُ

فقلت نعم قول كثير ومنه أخذ

فقلتُ لها يا عَزُّ كُلُّ مُصيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النَّفسُ ذَلَّتِ

وروى يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجوه

نَسَبُ الجَمَّازِ مَقْصورٌ اليهِ مُنْتَهاهُ

تَنتَهي الأَحسابُ بالنَّاسِ ولاَ يعدُو قَفاهُ

يَتحاجى مَنْ أبو الجَمَّازِ فيهِ كاتِباهُ

ليس يَدرِي مَنْ أبو الجَمَّازِ إلاَّ مَنْ يَراهُ

أخبرنا المرزباني قال أخبرنا علي بن هرون قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العيناء قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب

زُرتُ فَتاةً من بني هلاَلِ ... فاستَعجَلَتْ إليَّ بالسُّؤَالِ

ما لي أَراكَ قانيَ السِّبَالِ ... كأَنَّما كَرَعتَ في جِرْيالِ

ما يبتغي مثلك من أمثالي تنحّ قدّامي ومن حيالي

.. [قال المرتضي رضى الله عنه] قوله ـ كأنما كرعت فى جريال ـ مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ للينه وضعف كلامه .. وذكر أبو العيناء قال حدثني ابراهيم بن رياح قال أنشدني الجاحظ يمدحني

بَدَا بي حينَ أثرَى بإِخوانه ففلّلَ عنهمُ شباةَ العدَمْ

وذَكّرَهُ الحزمُ رَيْبَ الزما نِ فبادرَ بالعرْفِ قبلَ النّدَم

قال ابراهيم فذاكرت بها أحمد بن أبي دؤاد فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما ثم لقيت محمد بن الجهم فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا أعرف شعراً يفضل قول أبي نواس

ودَارِ ندَامى عطّلوها وأدلَجوا بها أثرٌ منهمْ جَديدٌ ودَارِسُ

مَساحِبُ من جرّ الزّقاقِ على الثّرَى وأضغاثُ رَيحانٍ جَنيٌّ ويابسُ

حبستُ بها صحبي فجدّدتُ عهدَهُم وإني على أمثالِ تلكَ لحابِسُ

ولمْ أدرِ منْ همْ غيرَ ماشهِدَتْ بهِ بشرقيّ ساباطَ الدّيارُ البَسابسُ

أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومُ التّرحّلِ خامسُ

تُدارُ علينا الرّاحُ في عَسجَديّةٍ حبتْها بأنواعِ التّصاويرِ فارسُ

قرارتها كسرَى وفي جنَباتِها مهًى تدّريها بالقسيِّ الفوارسُ

فللخمرِ ما زُرّتْ عليهِ جيوبُها وللماءِ ما دارَتْ عليهِ القلانسُ

قال الجاحظ فأنشدتها أبا شعيب القلال فقال ياأبا عثمان لو نقر هـذا الشعر لطن قلت ويلك ماتفارق الجرار والخزف حيث كنت .. أخذ أبو نواس قوله

ولمْ أدرِ منْ همْ غيرَ ماشهِدَتْ بهِ بشرقيِّ ساباطَ الدّيارُ البَسابسُ

من أبي خراش الهذلي

ولمْ أذرِ مَنْ ألقَى عليهِ رِدَاءَهُ سوَى أنَّهُ قدْ سُلَّ عنْ ماجدٍ مَحْضِ

ويقال ان أبا خراش أول من مدح من لا يعرفه وذلك ان خراش بن أبي خراش أُسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة بن مرة ونجّاه فلما تفرغوا له قال أفلت مني ويقال بل رآه في الأسر رجل من بني عمه فألقى عليه رداءه ليجيره به وقال له النجاء ويلك فقال أبو خراش في ذلك

حَمِدتُ إلٰهي بَعدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا خِرَاشٌ وبَعضُ الشَّرِّ أهونُ من بَعضِ

فأقسِمُ لا أنسَى قتيلاً رُزِئتُهُ بجانبِ قُوسَى ما مَشيتُ على الأرضِ

على أنَّها تَعفو الكُلومُ وإنَّما نُوَكَّلُ بالأدْنى وإنْ جَلَّ ما يَمضي

ولمْ أذرِ مَنْ ألقَى عليهِ رِدَاءَهُ سوَى أنَّهُ قدْ سُلَّ عنْ ماجدٍ مَحْضِ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم بن شهاب قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البرذعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ في أول ماقدمت من بلدي وقد اعتل علته التي فالج فيها فاستأذنت عليه فخرج اليّ خارج من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه .. وذكر يموت بن المزرّع قال وجّه المتوكل في السنة التي قُتل فيها أن يحمل اليه الجاحظ من البصرة وقد سأله الفتح ذلك فوجده لا فضل فيه فقال ان أراد حمله ما يصنع بامرئ ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل .. وذكر المبرد قال سمعت الجاحظ يقول أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ماعلمت ومن جانبي الأيمن مُنقرِسٌ فلو مر بي الذباب لألمتُ وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها وأشد ما عليَّ ست وتسعون .. وقال يوماً لمتطبب يشكو اليه علته قد اصطلحت الاضداد على جسدي ان أكلت بارداً أخذ برجلي وان أكلت حاراً أخذ برأسي وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين

مجلس آخر ١٤

[تأويل آية] ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله هم المتقون﴾ سأل سائل فقال كيف ينفى كون تولية الوجوه الى الجهات من البر وانما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبّر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسمٌ محضٌ وعن أى شئ كنّى بالهاء فى قوله تعالى ﴿وآتى المال على حبه﴾ وما المخصوص بانها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة وعلى أي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرون وهم معطوفون على الموفين وكيف وحد الكناية في موضع وجمعها فى آخر فقال من آمن وآتى المال وأقام الصلاة ثم قال والموفون والصابرين يقال له فيما ·· ذكرته أوّلاً جوابان ٭ أحدهما انه أراد تعالى ليس الصلاة هي البر كله ولكنه عدد ما في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد أحرزتم البر بأسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره ٭ والجواب الثانى أن النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا فى الصلاة اليهما انهما بر وطاعة خلافاً على الرسول عليه الصلاة والسلام أكذبهم الله فى ذلك وبيّن أن ذلك ليس من البر إذ كان منسوخاً بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التى تلزم الأسود والأبيض والعربي والعجمي وأن البر هو ما تضمنته الآية ·· فأما إخباره بمن ففيه وجوه ثلاثة ٭ أولها أن يكون البر ههنا البار أوذا البر وجعل أحدهما فى مكان الآخر والتقدير ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ﴿أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً﴾ يريد غائراً ومثل قول الشاعر

تَرْتَعُ مارَتَعَتْ حتّي إذاادّكَرَتْ ... فإِنما هيَ إِقبالٌ وإِدْبارُ

أراد انها مقبلة مدبرة ·· ومثله

تَظَلُّ جيادُهُمْ نَوْحاً عليهِمْ ... مُقلَّدَةً أَعِنتِها صُفُونا

أراد نائحة عليهم ·· ومثله قول الشاعر

هريقي من دموعهم سجاماً ضباع وجاوبي نوحاً قياما

• والوجه الثاني أن العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالي ﴿ ولكن البر من آمن بالله ﴾ وقول العرب انما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندى

فجعل أن تنبت وهو مصدر خبراً عن الفتيان • والوجه الثالث أن يكون المعنى ولكن البر بر من آمن فحذف البر الثاني وأقام الأول مقامه كقوله تعالى ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ أراد حب العجل •• قال الشاعر

وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب

أراد كخلالة أبي مرحب •• وقال النابغة

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل

أراد على مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق أي أهل الطريق •• وحكى عن بعضهم أطيب الناس الزبد أي أطيب ما يأكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زيداً أي صياح زيد •• وروى عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ ليس على الأعمى حرج ﴾ أى ليس على من أكل مع الأعمى حرج وفي قوله تعالى ﴿ رابعهم كلبهم ﴾ وذكروا انه كان راعياً تبعهم •• فأما ما كنى بالهاء في قوله تعالى ﴿ وآتى المال على حبه ذوى القربي ﴾ ففيه وجوه أربعة • أولها أن تكون الهاء راجعة على المال الذى تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب المال وأضيف الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامي كاشتراء طعامك والمعنى كاشترائك طعامك • والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعة الى من آمن بالله فيكون المصدر مضافاً الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعني ووضوحه • والوجه الثالث أن ترجع الهاء الى الايتاء الذي دل عليه آتى والمعنى وأعطي المال على حب الاعطاء ويجرى ذلك مجرى قول القطامي

هُمُ المُلوكُ وأبناءُ المُلوكِ لَهُم ... والآخِذُونَ بهِ والسَّاسةُ الأُوَلُ

فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله وأبناء الملوك عليه .. ومثله قول الشاعر

إذَا نُهِيَ السَّفيهُ جَرَى اليهِ ... وخالَفَ والسَّفيهُ إلى خِلافِ

أراد جرى الى السفه الذى دل ذكر السفيه عليه . والوجه الرابع أن تكون الهاء راجعة الي الله لأن ذكره تعالى قد تقدم فيكون وآتى المال على حب الله ذوي القربى واليتامي .. فان قيل وأي فائدة في ذلك وقد علمنا الفائدة فى إيتاء المال مع محبته والضن به وان العطية تكون أشرف وأمدح فما الفائدة فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الارادة والتنديم لايصح أن يراد .. قلنا أما المحبة عندنا فهي الارادة إلاّ أنهم يستعملونها كثيراً مع حذف متعلقها مجازاً وتوسعاً فيقولون فلان يحب زيداً اذا أراد منافعه ولا يقولون زيد يريد عمراً بمعنى أنه يريد منافعه لأن التعارف جرى فى استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الارادة وان كان المعنى واحداً .. وقد ذكر أن لقولهم زيد يحب عمراً مزية على قولهم يريد منافعه لأن اللفظ الأول ينبئ عن أنه لايريد إلاّ منافعه وانه لايريد شيئاً من مضاره والثانى لايدل على ذلك فجعلت له مزية وعلى هذا المعنى نصف الله بأنه يحب أولياءه المؤمنين من عباده والمعنى فيه انه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال والنعم فأما وصف أحدنا بانه يحب الله فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح المعني الذي ذكرناه فى محبة بعضهم بعضاً لاستحالة المنافع عليه تعالى ومن جوّز عليه تعالى الانتفاع لايصح أيضاً أن يكون محباً له على هذا المعني لانه باعتقاده ذلك فيه قد خرج من أن يكون عارفاً به فمحبته فى الحقيقة لاتتعلق ولا تتوجه اليه كما نقول فى أصحاب التشبيه لانهم اذا عبدوا من اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى .. فأما الفائدة فى اعطاء المال مع محبة الله فهي ظاهرة لأن اعطاء المال متي قارنته ارادة وجه الله وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل به ثواباً وكان ضائعاً وتأثير ماذكرناه أبلغ من تأثير حب المال والضن به لأن المحب للمال الضنين به متى بذله وأعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة

والقربة لم يستحق به شيئاً من الثواب وانما يؤثر حبه للمال فى زيا ة الثواب متى حصل ماذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لا يستحق الثواب وهذا الوجه لم نسبق اليه فى هذه الآية وهو أحسن ماقيل فيها ٠٠ وقد ذكر وجه آخر وهو أن يكون الهاء راجعة الى من آمن أيضاً وينتصب ذوي القربى بالحب ولايجعل لآتى منصوباً لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال فى حال حبه ذوي القربي واليتامى على محبته إياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عليها السؤال وانما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والأجوبة الأول أقوي وأولى ٠٠ فأما قوله ﴿ والموفون بعهدهم ﴾ ففى رفعه وجهان ٠ أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح لأن النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين٠والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على من آمن ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوى البر المؤمنون والموفون بعهدهم ٠٠فأما نصب الصابرين ففيه وجهان ٠ أحدهما المدح لأن مذهبهم فى الصفات والنعوت اذا طالت أن يعترضوا بينهما بالمدح والذم ليميزوا الممدوح أو المذموم ويفردوه فيكون غير متبع لأول الكلام من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفان

لاَ يَبْعُدَنْ قومى الذّينَ هُمُ ... سُمُّ العُدَاةِ وآفةُ الجُزْرِ
النَّازِلينَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطيّبينَ مَعاقِدَ الأُزْرِ

فنصبت ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعاً على أن يتبع آخر الكلام أوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في النصب والرفع ماذكرناه ٠٠ ومن ذلك قول الشاعر أنشده الفراء

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمامِ ... ولَيْثَ الكَتيبةِ في المُزْدَحَمْ
وذَا الرَّأْيِ حينَ تَغُمُّ الأُمو ... رُ بذَاتِ الصَّليلِ وذَاتِ اللُّجَمْ

فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح ٠٠وأنشد الفراء أيضاً

فليتَ التي فيها النُّجومُ تواضعتْ ... على كُلِّ غثٍّ منهمُ وسَمينِ
غُيوثُ الحيَا في كُلِّ مَحْلٍ وأزْبَةٍ ... أُسودُ الشَّرا يَحْمينَ كُلَّ عَرينِ

ومما نصب على الذم قوله

سقوني الخمرَ ثمَّ تكنَّفوني ... عُدَاةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ (١)

(١) قوله سقوني الخمر هو من جملة أبيات لعروة بن الورد أولها

أرقت وصحبتي بمضيق عمق ... لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى وأين ديار سلمى ... اذا كانت مجاورة السدير
اذا حلت بأرض بني علىّ ... وأهلي بين زامرة وكير
ذكرت منازلا من أم وهب ... محل الحي أسفل من نقير
وأحدث معهداً من أم وهب ... معرسنا بواد بني النضير
وقالوا ماتشاء فقلت ألهو ... الى الإصباح آثر ذي أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها ... بعيد النوم كالعنب العصير

ومنها

أطعت الآمرين بصرم سلمى ... وطاروا فى بلاد اليستعور

أى تفرقوا حيث لا يعلم ولا يهتدي لمواضعهم .. وقال ابن بري معنى البيت ان عروة كان سبى امرأة من بني عامر يقال لها سلمى ثم تزوجها فمكثت عنده زماناً وهو لها شديد المحبة ثم انها استزارته أهلها فحملها حتى انتهى بها اليهم فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه وأراد قومها قتله فمنعهم من ذلك ثم انه اجتمع به أخوها وابن عمها وجماعة فشربوا خمراً وسقوه وسألوه طلاقها فطلقها فلما صحا ندم على مافرط منه ولهذا يقول بعد البيت

سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداة الله من كذب وزور
ألا ياليتني عاصيت طلقاً ... وجباراً ومن لي من أمير

طلق أخوها وجبار ابن عمها وقيل هما اخوه هو وابن عمه والأمير هو المستشار وقيل ان أهلها طلبوا منه فداءها فقال له أخوه طلق وابن عمه جبار والله لئن قبلت ماأعطوك لاتفتقر أبداً وأنت على النساء قادر متى شئت وكان قد سكر فأجاب الى فدائها فلما صحا ندم فشهدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع واليستعور فى البيت السابق على وزن

٠٠والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفاً على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين ٠٠ قال الزجاج وهذا لايصلح إلاّ أن يكون الموفون رفعاً على المدح للمضمرين لأن ما فى الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصول وكان يقوي الوجه الأول ٠٠وأما توحيد الذكر في موضع وجمعه فى آخر فلأن من آمن لفظه لفظ الوحدة وان كان فى المعنى للجمع فالذكر الذى أتى بعده موحداً يجرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين فعلى المعنى ٠٠وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى ﴿ليس البر﴾ فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء ٠٠ وروى هبيرة عن حفص عن عاصم انه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البر بالرفع والوجهان حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا فى التعريف تكافآ في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً كما تتكافأ النكرات وحجة من رفع البر أنه لايكون البر الاسم لشبهه الفاعل أولى لأنّ ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ألا ترى انك اذا قلت قام زيد فان الاسم يلى الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير فى الغلام التأخير فلولا ان الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيداً حيث لم يجز فى الفاعل تقدير التأخير كما جاز فى المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب البر أن يقول كون الاسم أن وصلتها أولى تشبيهاً بالمضمر فى أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكأنه اجتمع مضمر ومظهر والأولى اذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب فى الاختصاص من المظهر

يفتعول ولم يأت على هذا البناء غيره وهو موضع قبل حرة المدينة كثير العضاه موحش لا يكاد يدخله أحد والرواية المشهورة فى البيت الشاهد

سقوني النسأ ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

والنسأ بالفتح الشراب المزيل للعقل وبه فسر ابن الاعرابي البيت هنا ورواية سيبويه الخمر كما مر

[قال المرتضي] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحي بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب قال أخبرنا ابن الاعرابي قال قال ابن الكلبي لمّا كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير العبسي النمر بن قاسط فقال لهم إني قد جاورتكم واخترتكم فزوّجوني امرأة قد أدّبها الغنى وأذلها الفقر في حسب وجمال فزوّجوه ظبية بنت الكيّس النمري وقال لهم إن في خلالاً ثلاثاً إني غيورٌ وإني فخورٌ وإني آنف ولست أفخر حتى أبدأ ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال إني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالأناة فان بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح وإجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت الأيامى وخلط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الرهان فان به ثكلت مالكاً أخي والبغي فانه قتل زهيراً أبي وعن الإعطاء في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء فان يوم الهباءة ألزمني العار ومنع الحرم إلاّ من الأكفاء فان لم تصيبوا لها الأكفاء فان خير مناكحها القبور أو خير منازلها واعلموا إني كنت ظالماً مظلوماً ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكاً أخي وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له .. [قال المرتضي] رضي الله عنه أما قوله ـ أنهاكم عن الرهان ـ فأراد المراهنة في سباق الخيل وذلك أن قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطّار والحنفاء .. وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارهاً لذلك وانما هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل رجل من بني عبس والخبر في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من [1] واردات الى ذات الإصاد وجعلوا القصبة في يد رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له حصين وبيد رجله

---

(١) ـ الواردات .. هضبات صغار قريبة من جبلة .. وذات الاصاد بكسر أوله وبالدال المهملة على وزن فعال موضع ببلاد بني فزارة حكاه البكري في معجمه

من بنى العشراء من بنى فزارة وملؤا البركة ماء وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلت الخيل فيه ينظران اليها والى خروجها فلما أرسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك ياقيس فقال قيس ترك الخداع من أجري من مائة يعني من مائة غلوة فأرسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت ياقيس جري المذكيات غلاب فأرسلها مثلا ٠٠ ـ المذكيات ـ المسان من الخيل ٠٠ وروى غلاء كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة انك لاتركض مركضاً سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجدد فأرسلها مثلا ٠٠ وروي يعدون الجدد أي يتعدين الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة أكمنوا بالثنية كميناً لينظروا فان جاء داحس سابقاً مسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقاً فأمسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهى خلفه مصلية حتى مضت الخيل وأسهلت من الثنية ثم أرسلوه فتمطر فى آثارها فجعل يبدرها فرساً فرساً حتى انتهوا الى الغاية مصلياً وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم صدوها عن الركية ثم لطموا داحساً وقد جاء متواليين ثم جاء حذيفة وقيس في آخر الناس وقد دفعهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسهم وجرى من الخلف فى أخذ السبق ما قد شرحته الرواة ٠٠ وقد قيل فى بعض الرواياة ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفى ذلك يقول قيس شعراً

كَما لاَقيتُ مِنْ حَمَلِ بنِ بَدْرٍ ... وإخوَتهِ على ذَاتِ الإِصادِ

وهُمْ فَخَرُوا عليَّ بغيرِ فَخْرٍ ... ورَدُّوا دُونَ غايَتهِ جوَادِي

وقدْ دَلَفُوا إليَّ بفعلِ سوْءٍ ... فأَلفَوْنى لهُمْ صعْبَ القيادِ

وكُنتُ إذَا مُنِيتُ بخَصْمِ سوْءٍ ... دَلَفْتُ لهُ بدَاهيـةٍ نآدِ

ثم ان قيساً أغار على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله فبلغ بنو فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسى دية عوف بن بدر مائة عشراء مُتلية ٠٠ ويقال ان قيساً قتل ابنا لحذيفة يقال له مالك كان حذيفة أرسله يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن

زياد حمل ديته مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللقاطة قريباً من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب من فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرساناً فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال

نامَ الخليُّ ولمْ أُغمِّضْ حارِ ... من سَيِّئِ النَّبأِ الجليلِ السّاري

مِنْ مِثلِهِ تمشي النِّساءُ حواسرًا ... وتقومُ مُعْوِلةً معَ الأَسْحارِ

مَنْ كانَ مسرورًا بمقتلِ مالكٍ ... فليأْتِ نسوتَنا بوجهِ نهارِ [1]

يجِدِ النِّساءَ حواسرًا يندُبْنَهُ ... يَضربْنَ أَوْجُهَهنَّ بالأَسحارِ

قدْ كُنَّ يخبأْنَ الوُجوهَ تستُّرًا ... فاليومَ حينَ بدَوْنَ للنُّظّارِ

أَفبعْدَ مقتَلِ مالِكِ بنِ زُهيْرٍ [2] ... ترْجُو النِّساءُ عواقِبَ الأَطهارِ

ما إنْ أرى في قتلهِ لذَوِي الحِجى ... إلاَّ المطيَّ تُشَدُّ بالأَكوارِ

---

(١) قوله * فليأت نسوتنا بوجه نهارى * قال المرزوقي إني لاتعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما اختاره من الأبيات كيف ترك قوله فليأت نسوتنا وهي لفظة شنيعة جداً وأصلحه المرزوقي بقوله وليأت ساحتنا قال التفتازاني وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه وحافظ على لفظ الشاعر دراية مع زعمه ان القراء يقرؤن القرآن برأيهم وأنا أتعجب من انشاد صاحب المغنى هذا البيت يعني قول الربيع بن ضبع

ودعنا قبل أن نودعه ... لما قضى من جماعنا وطرا

أورده هنا مع انه أشنع من بيت الحماسة وأخش ولقد كان في غنية بما أورده من الكتاب والسنة

(٢) — هكذا رواية البيت وفيه إقواء كما حكاه ابن قتيبة فى الشعر والشعراء وأورده شاهداً •• وقال ولو كان ابن زهيرة لاستوي البيت

وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً ... يَقْذِفْنَ بِالمُهُرَاتِ وَالأَمْهَارِ

وَمَسَاعِرًا صَدَأُ الحَدِيدِ عَلَيْهِمُ ... فَكَأَنَّمَا طُلِيَ الوُجُوهُ بِقَارِ

فأما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسى أبي قيس فاختلف الرواة فى سببه فيقال إن هوازن بن منصور كانت تؤتى الأتاوة زهير بن جذيمة ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم أذل من يدٍ فى رحمٍ فأتت عجوز من هوازن الي زهير بن جذيمة بسمنٍ فى نحيٍ فاعتذرت اليه وشكت السنين اللواتي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعّها أي دفعها بقوس في يده عطل فى صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته الي ما كان فى صدرها من الغيظ وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر ابن صعصعة أي كثرت فآلى جعفر بن كلاب فقال والله لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل ‥ وفى ذلك يقول خالد بن جعفر

أَرِيغُونِي إِرَاغَتَكُمْ فَإِنِّي ... وَحَذْفَةَ كَالشَّجَى تَحْتَ الوَرِيدِ

ـ حذفة ـ اسم فرس خالد

مُقَرَّبَةً أُوَاسِيهَا بِنَفْسِي ... وَأُلْحِفُهَا رِدَائِي فِي الجَلِيدِ

لَعَلَّ اللهَ يُمْكِنُنِي عَلَيْهَا ... جِهَارًا مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أُسَيْدِ

فَإِمَّا تَثْقَفُونِي فَاقْتُلُونِي ... فَمَنْ أَثْقَفْ فَلَيْسَ إِلَي خُلُودِ

‥ ويقال بل كان السبب فى ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتلَ فى غني من قتلَ بابنه شاس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثاً فقال يازهير أما آن لك أن تشتفى وتكف يعنى مما قتل بشاس فأغاظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكن يدى هذه الشمراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعنّي عليه فقال زهير اللهم أمكن يدى هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقال قريش هلكت والله يا زهير قال أنتم والله الذي لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير فقتله وانفق نزول زهير بالقرب من أرض بنى عامر وكانت تُماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن

جذيمة وأم ولده فمر به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه ان هــذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه فقالت أختــه لبنيها أيزوركم خالكم فتوثقوه وقالت له انه ليربني أكيننانك وقروبك والا كيننان الغم والقروب السكوت فلا يأخذن فيك ماقال زهير فانه رجل بيذارة غيذارة شنوءة ٠٠ قال الأثرم ــ البيذارة ــ الكثير الكلام ــ والغيذارة ــ السيء الخلق ثم حلبوا له وطباً وأخذوا عليه يميناً ألاّ يخبر عليهم ولا ينذر بهم أحداً فخرج الحارث حتى أتى بنى عامر فقعد الى شجرة يجتمع اليهــا بنو عامر فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربى من هذا اللبن فانظرى ما طعمه فقال قوم هذا رجــل مأخوذ عليه وهو يخبركم خــبراً فذاقوا اللبن فوجدوه حلواً لم يقرص بعد فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكباً فرسه حذفة فلقوا زهيراً فاعتنق خالد زهيراً وخرا عن فرسـيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يابنى عامر اقتلونى والرجل واستغاث زهير ببنيه فأقبل اليه ورقاء ابن زهير يشتد بسيفه فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم تغن شيئاً وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندح رأس زهير فقتله ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير

رأيتُ زُهيراً تحتَ كَلْكَلِ خَالدٍ ... فأَقبلتُ أُسعى كالعَجُولِ ا بادِرُ
فشلَّتْ يميني يومَ أَضربُ خالدًا ... ويمنعُني منهُ الحَديدُ المُظاهرُ
فيَا ليتَ أنى يومَ ضَرْبةِ خالدٍ ... ويومَ زُهيرٍ لمْ تَلِدْني تُماضِرُ

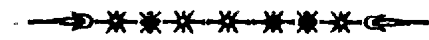
فأما خبر الهباءة فان بنى عبس وبنى فزارة لما التقوا الى جنب جفر الهباءة فى يوم قائظ فاقتتلوا ولخبرهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهباءة ليتبرد فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يابني عبس فأين العود وأين الأحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم فأرسلها مثلا وقتل قرواش بن هنّي حذيفة ابن بدر وقتل الحارث بن زهير حملا وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس فى ذلك

تَعلَّمْ إنَّ خيرَ النَّاسِ ميْتٌ ... على جَفْرِ الهَبَاءةِ لا يَرِيمُ

ولوْلاَ ظُلمُهُ ما زِلتُ أَبكى   عليهِ الدَّهرَ ما طَلَعَ النُّجومُ
ولـكِنَّ الفتي حَمَلَ بنَ بَدْرٍ   بَغَى والبَغيُ مَرْتَعُهُ وَخيمُ
أظُنُّ الحِلمَ دَلَّ عليَّ قَوْمي   وقدْ يُستجهَلُ الرَّجلُ الحَليمُ
ومارَسْتُ الرِّجالَ ومارَسُونى   فمُعْوَجٌّ علَيَّ ومُستقيمُ

وقال قيس أيضاً

شَفيتُ النفسَ مِنْ حَمَلِ بنِ بَدْرٍ   وسيفِى منْ حُذَيفَةَ قدْ شفاني
فإنْ أكُ قدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَليلى   فلَمْ أَقطَعْ بهِمْ إلاَّ بَنَانى



مجلس آخر ١٥

[تأويل آية] ان سأل سائل عن قوله تعالى ﴿ مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بمالا يسمع إلاّ دعاءً ونداء صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون ﴾ فقال أي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزاً متأملا محصلا .. يقال له فى هذه الآية خمسة أجوبة . أولها أن يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعى لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذى ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبى صلى الله عليه وسلم وإنذاره فينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما فى عدم الانتفاع به وجائز أن يقوم قوله تعالى ﴿ والذين كفروا ﴾ مقام الواعظ والداعى لهم كما تقول العرب فلان خافك خوف الأسد والمعنى كخوفه من الأسد فأضاف الخوف الى الأسد وهو فى المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر

فلستُ مُسلِّماً ما دُمتُ حيّاً   على زَيدٍ بتَسليمِ الأَميرِ

أراد بتسليمي على الأمير ونظائر ذلك كثيرة • والجواب الثاني أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فأضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى فانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى •• وأنشد الفراء

إِنَّ سِرَاجاً لَكَرِيمٌ مَفْخَرُه ... تَجْلَى بِهِ العَيْنُ اذَا مَا تَجْهَرُه

معناه تجلى بالعين فقدَّم وأخَّر •• وأنشد الفراء

كانتْ فَرِيضَةُ ما تقولُ كَمَا ... كانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا •• وأنشد أيضاً

وقدْ خفتُ حتَّي ما تَزِيدُ مَخَافَتِي ... على وَعِلٍ في ذِي المَطَارَةِ عاقِلِ

أراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ومثله

كأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

أراد كأن لون سمائه أرضه ومثله

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ ... وسائرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أَجْمَعُ (١)

أراد مدخل رأسه الظل •• وقال الراعي

---

(١) قال سيبويه فوجه الكلام في هذا انه على سعة الكلام قل كراهية الانفصال واذا لم يكن في الجر فحد الكلام الناصب مبدوء به •• قال الشنتمري الشاهد فيه اضافة مدخل الى الظل ونصب الرأس به على الاتساع والقلب وكان الوجه أن يقول مدخل رأسه الظل لأن الرأس هو الداخل في الظل والظل المدخل فيه ولذلك سماه سيبويه الناصب في تفسير البيت فقال الوجه أن يكون الناصب مبدوء به • والمعنى وصف هاجرة قد ألجأت الثيران الى كنسها فترى الثور مدخل رأسه في ظل كناسه لما يجد من شدة الحر وسائره بارز للشمس

فصبَّحتْهُ كلامَ الغوثِ يوسِدُها ‏ ‏ ‏ ‏ يستوضِحونَ يرَونَ العينَ كالأَثَرِ

يريد أنهم يرون الأثر كالعين •• وقال أبو النجم

قبلَ دُنُوّ الأُفقِ مِنْ جوزائهِ

فقلب •• وقال العباس بن مرداس

فَدَيتُ بنفسهِ نَفْسي ومالي ‏ ‏ ‏ ‏ ولاَ آلوهُ إلاَّ ما يُطيقُ

أراد فديت بنفسي نفسه •• وقال ابن مقبل

ولاَ تَهيَّبُني المَوْماةُ أَرْكَبُها ‏ ‏ ‏ ‏ إذَا تجاوَبَتِ الأَصداءُ بالسَّحَرِ

أراد لا أتهيّب الموماة وهذا كثير جدًّا • والجواب الثالث أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثانا أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذى ينعق أي مثلهم في الإعراض ومثلك فى الدعاء والتنبيه والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول •• ومثله قوله تعالى (جعـل لكم سرابيل تقيكم الحر) أراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد •• وقال أبو ذؤيب

عَصَيتُ اليها القلْبَ إني لأَمْرِها ‏ ‏ ‏ ‏ مُطِيعٌ فما أدْرِي أَرُشْدٌ طِلاَبُها

أراد أرشد أم غيّ فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر • والجواب الرابع أن يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام التي يعبدونها من دون الله وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والدعاء والنداء ينتصبان على هذا الجواب بينعق وإلاّ توكيد للكلام ومعناها الالقاء• قال الفرزدق

هُمُ القوْمُ إلاَّ حيثُ سَلُّوا سيوفَهُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وضَحَّوْا بلَحْمٍ مِنْ مُحِلٍّ ومُحْرِمِ

والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم • والجواب الخامس أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا فى دعائهم للأصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم إياها كمثل الداعى الذى ينعق بالغنم ويناديها فهي تسمع دعاء ونداء ولا تفهم معنى كلامه فشبّه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عندها فيه ولا

مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وان كانت بينهما مزية ظاهرة لأن الأول يقتضي ضرب المثل بما لايسمع الدعاء ولا النداء جملة ويجب أن يكون مصروفاً الى غير الغنم وما أشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمهما والأصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب أن يكون داعيها ومناديها أسوء حالاً من منادي الغنم ويصح أن يصرف الى الغنم وما أشبهها مما يشارك في السماع ويخالف في الفهم والتمييز •• وقد اختلف الناس في ينعق فقال أكثرهم لا يقال نعق ينعق إلاّ في الصياح بالغنم وحدها • وقال بعضهم نعق ينعق بالغنم والابل والبقر والأول أظهر في كلام العرب •• قال الأخطل يهجو جريراً

فأنعق بضأنك يا جرير فإنما   منتك نفسك في الخلاء ضلالا

ويقال أيضاً نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة (١) اذا صاح من غير أن يمد عنقه ويحركها فاذا مدها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال أيضاً نعب الفرس ينعب وينعب نعباً ونعيباً ونعباناً وهو صوته ويقال فرسٌ منعبٌ أى جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة [تأويل خبر] رُوِيَ أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه الى طعام دعوا له فاذا بالحسين عليه السلام وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنتل رسول الله صلى الله عليه وسلم امام القوم فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت فاس رأسه وأقنعه فقبله وقال أنا من حسين وحسين مني أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط •• ومعنى استنتل تقدم يقال استنتل الرجل استنتالاً وابرنتأ ابرنتاء وابرنذع

---

(١) قوله نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة يعني ان نعق ونغق بالمهملة والمعجمة سواء وعلى هذا بعض أهل اللغة •• قال الزمخشري والغين أعلى •• وقال الأزهري نعيق الغراب ونعاقه ونغيقه ونغاقه مثل نهيق الحمار ونهاقه ولكن الثقاة من الأئمة يقولون كلام العرب نغق الغراب بالغين المعجمة ونعق الراعي بالشاة بالعين المهملة ولا يقال في الغراب نعق ويجوز نعب وهذا هو الصحيح

ابرنذاعاً اذا تقدم هكذا ذكره ابن الانباري •• ووجدت بعض المتقدمين فى علم اللغة يحكى فى كتاب له قال يقول استنتلت الأمر استنتالا اذا استعددت له واستنتل الرجل تفرد من القوم ويقال استنتل أشرف والمعانى متقاربة والخبر يليق بكل واحد منها •• وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه أبرنتأ وأبرنذع أيضاً انه من الاستعداد فأما ـ السكة ـ فهى المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى ـ طفق ـ ما زال •• قال الشاعر

طَفِقَتْ تبكي وأُسعِدُها وكِلانا ظاهرُ الكَمَدِ

وفاس الرأس طرف القمحدوة المشرف على القفا ومعنى ـ أقنعه ـ رفعه هكذا ذكر ابن الانباري •• وقال غيره يقال أقنع ظهره اقناعاً اذا طاطاه ثم رفعه برفق فأما ـ الاسباط ـ فأصلها في ولد اسحاق عليه السلام كالقبائل فى بني اسماعيل •• وقال ابن الانبارى هم الصبية والصبوة بالياء والواو معاً •• حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيي بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيمى قراءةً عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد ابن يحيي ثعلب قال أخبرنا ابن الاعرابى انه قيل لابنة الخُسّ ما مائة من المعز قالت مُوَيْلٌ يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل لها فما مائة من الضأن قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل لها فما مائة من الخيل قالت طغي عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزى المجلس لا ابن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدلى وان أرسل ولى •• وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابى قال قيل لابنة الخس والخص والخسف كل ذلك يقال ما أحسن شئ قالت غادية فى أثر سارية فى نفخاء قاوية قال ـ نخاء ـ أرض مرتفعة لأن النبات فى موضع مشرف أحسن وقالوا أيضاً نفخاء أى رابية ليس بها رمل ولا حجارة قال والجمع النفاخي ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية لان السيل يصرع الشجر فيقذفه فى الأودية ثم يلقى عليه الدمن [قال المرتضى] رضى الله عنه ومما يدل ان نبت الرابية أحسن قول الأعشى

ما رَوْضةٌ مِنْ رِياضِ الحَزْنِ مُعشِبةٌ ⁂ خَضْراءُ جادَ عليها مُسبِلٌ هَطِلُ[1]

•• وقال كثير

فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طَيِّبةُ الثَّرى ⁂ يَمُجُّ النَّدا جَثْجاثُها وعَرارُها[2]

---

(١) قوله ما روضة الخ بعده

يضاحك الشمس منها كوكب شرق ⁂ معذر بعميم النبت مكتهلُ
يوماً بأطيب منها نشر رائحة ⁂ ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصُلُ

وهى قصيدة مشهورة وأوردنا هذين البيتين لارتباطهما بالبيت قوله ـ الحزن ـ بالفتح وزاي اسم موضع وهو فى الأصل ضد السهل ـ ومسبل ـ سائل ـ وهطل ـ متتابع ـ ويضاحك ـ يميل معها حيث مالت ـ وكوكب ـ معظم الزهر وكوكب كل شئ معظمه ـ وشرق ـ ريان ـ وعميم ـ طويل ـ ومكتهل ـ ظاهر النور ـ والأصل ـ جمع أصيل وهو العشي

(٢) قوله فما روضة الخ بعده وهو جواب ما

بأطيب من أردان عزة موهناً ⁂ اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

حكى أنه دخل كثير على سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت له اخبرني يابن أبى جمعة عن قولك فى عزة وأنشدته البيتين ثم قالت له وهل على الأرض زنجية منتنة الابطين توقد بالمندل الرطب نارها إلاّ طاب ريحها ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس

ألم تریانی کلما جئت طارقاً ⁂ وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وروى من غير هذا الوجه انه خرج يوماً من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار فى روثة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل فما روضة الى آخر البيتين قال نعم قالت ويحك اذا أوقد بالمندل الرطب على هذه الروثة وبخرت به أمك العجوز الشعثاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس ألم ترياني الى آخر البيت فناولها مطارف خز كان معه وقال استري على ذلك وهذه الحكاية نقلها شمس الدين ابن خلكان في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الأدب قال ليس على كُثير شئ فان قوله

نخصّاً الحزن للمعنى الذى ذكرنا •• وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جاءنا بطعامٍ لا ينادي وليده •• اذا جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة ووقع فى أمر لا ينادي وليده يقول لا تدعي اليه الصبيان ولا يستعان إلاّ بكبار الرجال فيه •• [قال الشريف المرتضي] رضي الله عنه وفى ذلك قولان آخران أحدهما عن الأصمعي قال أصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شدة ولكل أمرٍ عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال أصله من الكثرة والسعة فاذا أهوى الوليد الى شئ لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار مثلاً لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعان به فى كل موضع يراد به الغاية وأنشد

لقد شَرَعَتْ كَفَّا يَزِيدِ بنِ مَزْيَدٍ ... شَرَائِعَ جُودٍ لاَ يُنادَى وَلِيدُها

•• وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل ودقة الأسدى على معن بن زائدة الشيبانى فقال إن رأيت أكرمك الله أن تضعنى من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا لو أعتقني الله فيها بكرمك من تنصف الرجال بعدك لم يكن كثيراً وإنى قد قدّمت الرجاء وأحسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم أنشأ يقول

يا مَعْنُ إنكَ لمْ تُنعِمْ على أَحَدٍ ... فشَابَ نُعماكَ تنغيصٌ ولاَ كَدَرُ

فأنظُرْ إليَّ بطَرْفٍ غيرِ ذِي مَرَضٍ ... فرُبَّما صَحَّ لي منْ طَرْفكَ النظَرُ

أيامَ وَجهكَ لي طَلْقٌ يُخبّرُني ... إذَا سكَتَّ بما تُخفِي ويَضمَرُ

ومِنْ هوَاكَ شفيعٌ لي يُغفّلُني ... وإنْ نأَيتُ وإنْ قلتَ بيَ الذِّكَرُ

قدْ كنتَ أثَّرتَ عندِي مرَّةً أَثَرًا ... فقدْ تقارَبَ يَعفُو ذلكَ الأَثَرُ

فاجبُرْ بفَضلكَ عَظماً كُنتَ تجبُرُهُ ... واجمَعْ بفَضلكَ ماقدْ كادَ ينتَشرُ

---

* اذا أوقدت بالمندل الرطب نارها * نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر فانه عرفنا بذلك انه ما أراد إلاّ المعنى المعترض فيكون هذا تصحيحاً لا بيان قصده

مانازَعَ العُسْرُ فيَّ اليُسْرَ مذْعلقت ... كَفِّي بحبلكَ إلاَّ أظفرَ اليُسُرُ

وقدخشيتُ وهذا الدَّهرُ ذُو غِيَرٍ ... بأَنْ يُدالَ لطُولِ الجفْوَةِ العُسُرُ

وإنَّما كانَ منْ عُسْرٍ وميْسَرَةٍ ... فإنَّ حظَّكَ فيهِ الحمدُ والشُّكُرُ

فقال معن أو ما كنا اعطيناك شيئاً قال لا قول أما الذهب والفضة فليسا عنـدنا ولكن هات تختاً من ثيابي يا غلام فدفعه اليه وقد كان تحمّل اليه ابن عياش وحبيب بن بديل فاعطاهما معه تختين وقال غرمتني يا ودقة تختي ثياب ●● [قال المرتضى] رضي الله عنه وكان معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً ويكنّي أبا الوليد وهو معن بن زائدة بن عبد الله ابن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطار وهو أخو الحوفزان بن شريك وكان معن من أصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه معن فقال .

ألاَ إنَّ عيناً لَمْ تجُدْ يومَ واسطٍ ... عليكَ بجاري دمعها لَجمودُ

عَشيةَ قامَ النائحاتُ وشققتْ ... جيُوبٌ بأيدِي مأتَمٍ وخدُودُ

فإنْ تُمسِ مهجورَ الجنابِ فطالما ... أقامَ بهِ بَعدَ الوُفودِ وُفودُ

فإنكَ لمْ تبعُدْ على متعهّدٍ ... بلَى كلُّ منْ تحتَ التُّرابِ بعيدُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحي المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال كان معن بن زائدة من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان مستتراً حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتمّ متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم وأخذ بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا له وتفرقوا عنه قال له من أنت ويحك قال أنا طلبتك معن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على أن قال لك

مَعْنُ بنُ زائدةَ الّذي زِيدتْ بهِ ... شرَفاً على شرفٍ بنو شيبانِ

إنْ عُدَّ أيّامُ الفعالِ فإنما يوماهُ يومُ ندىً ويومُ طِعانِ

فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكن اعطيته على قوله

ما زِلتَ يومَ الهاشميةِ معلناً بالسيفِ دُونَ خليفةِ الرّحمنِ

فمنعتَ حوزتَه وكنتَ وقاءَهُ منَ وَقعِ كلِّ مهنّدٍ وسنانِ

فقال له أحسنت يا معن .. وفى خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له ويلك ماأظن مايقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلاّ حقاً قال وكيف ذاك يا أمير المؤمنين قال بلغنى انك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألفى دينار وهذا من السرف الذى لا شئ مثله فقال يا أمير المؤمنين انما أعطيته من فضول مالي وغلّات ضياعي وفضلات رزقى وكففته عن عرضي وقضيت الواجب من حقه عليّ وقصده اليّ وملازمته لي قال فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب فى يده الأرض ولم يعاود القول .. وأخبرنا المرزباني قال أخبرنى عليّ بن يحيي عن عبد الله بن أبي سعد الورّاق عن خالد بن يزيد بن وهب ابن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بنقار من أهل خراسان وكان من ولاة الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا فى الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور فى كل يوم فقلت للربيع اجعلنى من آخر من يدخل عليه فقال لي لست بأشرفهم فتكون من أولهم ولا بأخسهم نسباً فتكون من آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلى درّاعة فضفاضة وسيف حنفي أقرع بنعله الأرض وعمامة قد أسدلتها من قدامي وخلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يامعن صيحة أنكرتها فلبيته فقال ادن اليّ فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الأرض وجثى على ركبتيه واستل عموداً من بين فراشين واستحال لونه وبدت أوداجه وقال إنك لصاحبي يوم واسط لانجوت ان نجوت مني قال قلت يا أمير المؤمنين تلك نصرتى لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال لي كيف قلت فأعدت عليه القول فما زال يستعيدنى حتى رد العمود الي مستقره واستوى متربعاً واسفر لونه وقال يامعن ان باليمن هَنَاة فقلت ياأمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي وهو أول من أرسلها مثلا فقال

أنت صاحبي فاجلس قال فجلست وأمر الربيع كل من كان في الدار فخرج وخرج الربيع فقال ان صاحب اليمن قدهمّ بالمعصية وإني أريد أن أخذه أسيراً ولا يفوتني شئ من ماله قلت ولّني اليمن وأظهر إنك قد ضممتني اليه وأمر الربيع أن يزيح علّتي في كل ماأحتاج اليه ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهداً من بين فراشين فوقع فيه اسمي وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع إنّا ضممنا معناً الى صاحب اليمن فأزح علّته فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا يمس إلاّ وهو راحل قال ثم ودعني فودعته وخرجت الى الدهليز فلقيني أبو الوالي فقال يامعن أعزز عليَّ أن تضم الى ابن أخيك قال فقلت له أن لا غضاضة على الرجل يضمه سلطانه الى ابن أخيه وخرجت الي اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيراً وقرأت عليه العهد وقعدت في مجلسه ٠٠ روى عمر بن شبة قال اجتمع معن بن زائدة مع ابن أبي عاصية وابن أبي حفصة والضمري فقال لينشدني كل واحد منكم أمدح بيت قاله فيَّ فأنشده ابن أبي حفصة

مَسَحت رَبيعةُ وَجهَ مَعْنٍ سابِقاً ... لمَّا جَرَى وجَرَى ذَوُوالأَحسابِ

فقال له معن الجواد يعثر فيمسح وجهه من الغبار والعثار وغيرهما ٠٠ وأنشده الضمري

أنتَ أمرُوٌ شأْنكَ المَعالي ... وذِكْرُ مَعرُوفِكَ الرَّبيعُ

ويروى ودون معروفك الربيع

بشأْنِكَ الحمدُ تَشترِيهِ ... يُشيعهُ عنكَ ما يُشيعُ

فقال له ماأحسن ماقلت إلاّ إنك لم تسمّني ولم تذكرني فمن شاء انتحله ٠٠ فأنشده ابن أبي عاصية شعراً

إنْ زالَ مَعنُ بَني شَريكٍ لمْ يَزَلْ ... لِندىً إلى بَلَدٍ بغيرِ مُسافرِ

ففضله عليهم ٠٠ وروى انه أتي معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فقال له شاب منهم يا أخا شيبان نناشدك الله أن تقتلنا عطاشا قال اسقوهم ماء فلما شربوا قالوا يا أخا شيبان نناشدك الله أن تقتل أضيافك فقال اطلقوهم ٠٠ وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة ٠٠ وروى

أن عبد الله بن طاهر كان يوماً عند المأمون فقال له يا أبا العباس من أشعر من قال فى خلافة بني هاشم قال أمير المؤمنين أعرف بهذا منى قال قل على كل حال قال عبد الله أشعرهم الذي يقول فى معن بن زائدة

أيا قبرَ معنٍ كُنتَ أوّلَ حفرةٍ ... منَ الأرضِ خُطَّتْ للسَّماحةِ مَضجعا

أيا قبرَ معنٍ كيفَ واريتَ جودَهُ ... وقدْ كانَ منهُ البرُّ والبحرُ مُترَعا

بلى قدْ وسعتَ الجودَ والجودُ ميِّتٌ ... ولوْ كانَ حيًّا ضقتَ حتى تصدَّعا

والأبيات للحسين بن مطير الأسدى وهي تزيد على هذا المقدار وأولها

ألِمّا علي معنٍ فقولا لقبرِهِ ... سقتكَ الغوادي مَربعاً ثمَّ مَربعا

.. ومنها

فتىً عيشَ في معروفهِ بعدَ موتهِ ... كما كانَ بعدَ السيلِ مجراهُ مَرتعا

فلمَّا مضى معنٌ مضى الجودُ وانقضى ... واصبحَ عرنينُ المكارمِ أجدَعا



مجلس آخر ١٦

[تأويل آية] ان سأل سائلٌ فقال ما الوجه فى قوله تعالى (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) وفى موضع آخر (وقتلهم الأنبياء بغير حق) وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق .. وقوله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) .. وقوله (ان الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) .. وقوله (ولا تكونوا أوّل كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً) .. وقوله (لا يسألون الناس إلحافاً) . والسؤال عن هذه الآيات كلها من وجه واحد وهو الذى تقدم . الجواب اعلم أن للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفةً ومذهباً مشهوراً عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم مرادهم بذلك المبالغة فى النفي وتأكيده .. فمن ذلك

قولهم فلان لا يرجي خيره ليس يريدون أنّ فيه خيراً لايرجي وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه .. ومثله قلمارأيت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله لم ير قليلا ولا كثيراً .. وقال امرؤ القيس

عليِ لَاحِبٍ لاَ يُهتَدَى بمَنارِهِ إذَاسافَهُ العَوْدُ الدّيافيُّ (١) جَرْجَرَا

يصف طريقاً .. وأراد بقوله لا يهتـدي بمناره انه لامنار له فيهتدى به ــ والعود ــ المسن من الابل ــ والديافي ــ منسوبٌ الي دياف وهي قرية بالشام معروفة ــ وسافه ــ شمه وعرفه .. ــ والجرجرة ــ مثل الهدير .. وانما أرادان العود اذا شـمه عرفه فاستبعده .. وذكر مايلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك .. وقال ابن أحمر

لاَ يُفزِعُ الأَرْنَبَ أهوالُها ولاَ ترَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ

أراد ليست بها أهوال فيفزع الأرنب .. وقال النابغة

يحُفُّـهُ جانِبـا نِيقٍ وتُتْبِعُـهُ مِثلَ الزُّجاجةِ لم تُكحَلْ مِنَ الرَّمَدِ

أراد ليس بها رمد فتكتحل له .. وقال امرؤ القيس أيضاً

وصِمٌّ حَوَامٍ ما يَقِينَ مِنَ الوَجِي كأَنَّ مكانَ الرِّدْفِ مِنهُ على رَالِ

يصف حوافر فرسه .. وقوله ــ مايقين من الوجي ــ يريد الحفا ويقين أي يتوقين يقال وقِي الفرس هاب المشي فأراد انه لاوجي بحوافره فيتهيبن الأرض من أجله ــ والرال ــ فرخ النعام وشبه إشراف عجزه بعجز الرال .. وقال الآخر

لاَيَغمِزُ السَّاقَ مِنْ أينٍ ولاَ وَصَبٍ ولاَ يَعَضُّ علي شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ (٢)

---

(١) ــ قوله الديافي .. الرواية المشهورة النباطي

(٢) ــ قوله لايغمز الساق من أين الخ شطر هذا البيت الأول محذوف العجز وعجزه محذوف الصدر والرواية الصحيحة

لايتأرى لمـا في القـدر يرقبه ولا يعض على شرسوفه الصفر

لايغمز الساق من أين ولا وصب ولا يزال أمام القـوم يقتفر

أراد ليس بساقيه أين ولا وصب فيغمزهما من أجلهما •• وقال سويد بن أبي كاهل

مِنْ أُناسٍ لَيْسَ مِنْ أَخلاَقِهِمْ عاجِلُ الفُحْشِ ولاَ سُوءُ الجَزَعْ

لم يرد إن فى أخلاقهم فحشاً عاجلاً ولا آجلاً ولا جزعاً غير سيئ وانما أراد نفى الفحش والجزع عن أخلاقهم ••ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون انه لا يقرب الخنا لا نفى الاسراع حسب •• وقال الفرزدق وهو يهجو جعفر بن كلاب ويعيرهم بقتلى منهم أصيبوا فى حروبهم فحملت النساء هؤلاء القتلى حتى أتين بهم الحي

ولمْ تأْتِ عيرٌ أهلَها كالتى أَتتْ بهِ جَعفرًا يومَ الهُضَيْباتِ عيرُها

أَتتهمْ بِعِيرٍ لمْ تكُنْ هَجَرِيَّةً ولاَ حِنطةَ الشامِ المَزيتِ خَميرُها

قوله ـ لا يتأرى ـ أى لا يتحبس ويتلبث يقال تأرى بالمكان اذا أقام فيه أى لا يلبث لادراك طعام القدر وجملة يرقبه حال من المستتر في يتأرى يمدحه بان همته ليست فى المطعم والمشرب وانما همته في طلب المعالي فليس يرقب نضج مافى القدر اذا هم بأمر له شرف بل يتركها ويمضي ـ والشرسوف ـ طرف الضلع ـ والصفر ـ دويبة مثل الحية تكون في البطن تعترى من به شدة الجوع ••قال فى النهاية فى حديث لا عدوى ولا هامة ولا صفر إن العرب كانت تزعم ان فى البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع وتؤذيه فأبطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبى صلى الله عليه وسلم النسئ الذى كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله انتهى •• ولم يرد الشاعر ان فى جوفه صفراً لا يعض على شراسيفه وانما أراد انه لا صفر فى جوفه فيعض يصفه بشدة الخلق وصحة البنية ••وقوله ـ لا يغمز الساق ـ لا يجنيها يصف جلده وتحمله للمشاق ـ والأين ـ الأعياء ـ والوصب ـ الوجع ـ والاقتفار ـ بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار •• وفي الصحاح وقفرت آثاره أقفره بالضم أى قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس فى شرح نوادر أبى زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق

يعني أن العير انما تحمل التمر والطعام الى الحي فحملت عير هؤلاء القتلى وقوله ـ لم تكن مجرية ـ أي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد ان هناك حنطة ليس في خميرها زيت لكنه أراد انها لم تحمل تمراً ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يجمل في خميرها من الزيت وعلى هـذا تأويل الآيات التي وقع السؤال عنها لانه تعالى لما قال ﴿ ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ دل على أن قتلهم لا يكون إلاّ بغير حق ثم وصف القتل بما لابد أن يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك ﴿ من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ﴾ وقوله تعالى ﴿ الذى رفع السموات بغـير عمد ترونها ﴾ وجهه أيضاً انه لو كان هناك عمداً لرأيتموه فاذا نفى رؤية العـمد نفى وجود العـمد كما قال لايهتدى لمناره أي لا منار له من حيث علم انه لوكان له منار لاهتـدى به فصار نفى الاهتداء بالمنار نفياً لوجود المنار ٠٠ وقوله تعالى ﴿ ولا تكونوا أوّل كافر به ﴾ تغليظ وتأكيد في تحذيرهم الكفر وهو أبلغ من أن يقول ولا تكفروا به ويجرى مجرى قولهـم فلان لا يسرع الي الخنا وقلما رأيت مثله اذا أرادوا به تأكيد نفي الخنا ونفي رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ أي لامسألة تقع منهم ومثل الأول ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا ﴾ والفائدة ان كل ثمن لها لا يكون إلاّ قليلا فصار نفي الثمن القليل نفياً لكل ثمن وهذا واضح بحمد الله ومنّه

﴿ باب ذكر شيء من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم ﴾

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن جلد بن مالك بن أدد المذحجي ومذحج هي أم مالك بن أدد نسب ولد مالك اليها وانما سميت مذحج لانها ولدت على أكمةٍ تسـمى مذحجاً واسمها مدُلة بنت ذي هميجشان ٠٠ قال أبو حاتم السجستاني جمع الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يابنيّ قد أتى عليّ ستون ومائة سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجرٍ ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديقي بسرٍ وإني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام وما

عليه أحد من العرب غيري وغير أحيد بن خزيمة وتميم بن مرة فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي •• إلهكم فاتقوه يكفيكم المهم من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار •• يا بني كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً وان موتاً في عزٍّ خير من حياة في ذلٍ وعجزٍ وكلما هو كائن وكل جميع الى تباين •• الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبره ويوم عبره والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك ••وزوجوا الأكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى أفنٍ يكون ••ألا انه لا راحة لقاطع القرابة واذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدد اختلاف الكلمة التفضيل بالحسنة يقي السيئة والمكافأة بالسيئة الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعوا الى التباين ثم أنشأ يقول

أكلتُ شبابي فأفنيتُهُ ... وأفنيتُ من بعدِ دهرٍ دُهورا

ثلاثةُ أهلينَ صاحبتُهمْ ... فبادُوا وأصبحتُ شيخاً كبيرا

قليلَ الطعامِ عسيرَ القيامِ ... قد تركَ الدهرُ خطوي قصيرا

أبيتُ أراعي نجومَ السما ... أقلّبُ أمري بُطوناً ظُهورا

قوله ـ ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ـ الصبوة هي رقة القلب والكنة امرأة أخ الرجل وامرأة ابن أخيه ـ وأما المومسة ـ فهي الفاجرة البغي وأراد بقوله انها لم تطرح عنده قناعها أي لم تبتذل عنده وتنبسط كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله ـ فيوم حبره ويوم عبره ـ فالحبرة الفرح والسرور والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون إلا من أمر محزن مؤلم ـ وأما الأفن ـ فهو الحمق يقال رجل أفين اذا كان أحمق ومن أمثالهم وجد ان

الرقين [1] يغطي على أفن الأفين أي وجدان المال يغطي حمق الأحمق وواحد الرقين رقة وهي الفضة ٠٠ وأما قوله ـ النصيحة تجر الفضيحة ـ فيشبه أن يكون معناه ان النصيح اذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصغي الي موعظته فقد افتضح عنده لانه أفضى اليه بسره وباح بمكنون صدره ـ فأما سوء الرعة ـ فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع أي حسن الطريقة

ومن المعمرين المشهورين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر ببيت قاله وهو

يَنِشُّ الماءُ في الرَّبَلاتِ منها ... نَشيشَ الرَّضْفِ في اللَّبَنِ الوَغيرِ

ـ الربلات ـ واحدها ربلة بفتح وربلة بتسكينها وهي كل لحمة غليظة هكذا ذكره ابن دريد ـ والرضف ـ الحجارة المحماة ٠٠ وفي الحديث كأنه على الرضف ـ واللبن الوغير ـ لبن يلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب أخذ من وغرة الظهيرة وهي أشد مايكون من الحر ومنه وغر

---

(١) قوله وجد ان الرقين الي قوله رقة هذا غير كاف في إيضاحه وأصل رقة ورق لحذف الفاء وعوض عنها هاء التأنيث وجمعت جمع المذكر السالم على طريق الحمل لأن جمع السلامة خاص بالعقلاء وحمل عليه أربعة أنواع ٠ أحدها أسماء جموع لم تستوف الشروط وهي أولو وعالمون وعشرون وبابه الى التسعين ٠ والنوع الثاني جموع تكسير وهي بنون وآخرون وأرضون وسنون وبابه وهو كل اسم ثلاثي حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر ومن هذا النوع رقة ورقين أصله ورق كما قدمنا آنفاً ثم حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولكل منطوق من هذه الشروط مفهوم يخرج فلا يجمع هذا الجمع والنوعان الآخران الملحقان وهما جموع شروط لم تستوف الشروط كأهلون ووابلون وما سمي به من الجمع السالم نحو الزيدون علماً وكذلك ما ألحق به كعليون ٠٠ وقوله الأفين هو فعيل بمعنى مفعول أى مأفون والأفن بالتحريك ضعف الرأى وقد أفن الرجل وأفنه الله يأفنه أفناً وأصله النقص يقال أفن الفصيل مافي ضرع أمه اذا أنفده

صدر فلان بوغر وغراً اذا التهب من غيظ أو حقد ٠٠ وقول أصحاب الأنساب عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين وأدرك الاسلام أوكاد يدرك أوله ٠٠ وقال ابن سلام كان المستوغر قديماً وبقي بقاءً طويلا حتى قال

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وَطُولِهَا ... وَعَمِرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا

مِائَةٌ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ لِي ... وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَا

هَلْ قَدْ بَقِي إِلَّا كَمَا قَدْ فَاتَنَا ... يَوْمٌ يَكُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

وهو القائل

إِذَا مَا المَرْءُ صُمَّ فَلَمْ يُكَلَّمْ ... وَأَوْدَى سَمْعُهُ إِلَّا نَدَايَا

وَلَاعَبَ بِالعَشِيِّ بَنِي بَنِيهِ ... كَفِعْلِ الهِرِّ يَحْتَرِشُ العَظَايَا

يُلَاعِبُهُمْ وَوَدُّوا لَوْ سَقَوْهُ ... مِنَ الذِّيفَانِ مُتْرَعَةً مَلَايَا

فَلَا ذَاقَ النَّعِيمَ وَلَا شَرَابًا ... وَلَا يُسْقَى مِنَ المَرَضِ الشِّفَايَا

أراد بقوله ــ فلم يكلم ــ أي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز أن يريد انه لم يكلم الناس من استماعه وأعرض عن خطابه لذلك ٠٠ وقوله ــ وأودى سمعه إلاّ ندايا ــ أراد ان سمعه هلك إلاّ أنه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به ٠٠ وقوله ــ ولاعب بالعشي بني بنيه ــ لانه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وانه قد تناها الى ملاعبة الصبيان وأنسهم به ويشبه أن يكون خص العشي بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها ٠٠ وقوله ــ يحترش العظايا ــ أي يصيدها والاحتراش أن يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه ليحسبه الضب أفعي فيخرج اليه فيأخذه يقال حرشت الضب واحترشته ومن أمثالهم هــذا أجل من الحرش يضرب عند الأمر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب ٠٠ قال ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوماً وقع المحفار فقال يا أبت هــذا الحرش فقال هذا أجل من الحرش فجعل مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو أشد مما كان يتوقعه

ـ والذيفان ـ السم ـ والمظايا ـ جمع عظاية وهى دويبة [1] صغيرة

وأحد المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحفاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير .. قال أبو حاتم عاش دويد بن زيد أربعمائة وستة وخمسين سنة .. قال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال ولا يعد العرب معمراً إلاّ من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدا قال لبنيه أوصيكم بالناس شراً لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوهم عثرة قصروا الأعنّة وطوّلوا الأسنّة واطعنوا شزرا واضربوا هبراً واذا أردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز لا محالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد والمنيّة ولا الدنية ولا تأسوا على فائت وان عز فقده ولا تحنوا على ظاعنٍ وان ألف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكن لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا خط مضجعي ولا تضنوا عليّ برحب الأرض وما ذلك بمؤد اليّ روحاً ولكن حاجة نفسٍ خامرها الاشفاق ثم مات .. قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر انه قال

أليومُ يُبنَى لِدُوَيدٍ بيتُهُ   يارُبَّ نَهبٍ صالحٍ حوَيتُهُ
ورُبَّ قِرْنٍ بَطَلٍ أرْدَيتُهُ   ورُبَّ غَيلٍ حَسَنٍ لوَيتُهُ
ومِعصَمٍ مُخضَّبٍ ثَنيتُهُ   لوْ كانَ لِلدَّهرِ بِلًى أبليتُهُ

---

(١) قوله والعظاية دويبة صغيرة الخ أهل العالية يقولون عظاءة وتميم يقولون عظاية والجمع عندهم جميعاً العظاء .. قال سيبويه الذين قالوا عظاءة بنوه على العظاء وإلاّ فقد كان حكمه أن يعتل لأن بعدها الهاء والهاء لازمة .. قال أبو عليّ فأما قوله * ولاعب بالعشي بني بنيه * الخ فعلى الضرورة ألا ترى ان بعد هذا البيت

يلاعبهم ولو ظفروا سقوه   كؤس السم مترعة مِلاَيا

.. وقال أبو حاتم العظاية مثل الأصبع صحراء غبراء تكون فتراً وشبراً وثلثاً وهي سم عامّتها ومنها ذوات لا تضر شيئاً وهي التي في الحشوش تبرق ولا تقتل ولكن الأوزاع تقتل يطلب بقتلهن الأجر

أو كانَ قِرْني واحِدًا كَفيتهُ

ومن قوله

أَلقَى عَلَيَّ الدَّهرُ رِجلاً ويَدَا والدَّهرُ ما أَصلَحَ يوماً أَفسَدَا

يُصلِحُ ما أَفسَدَهُ اليومَ غَدَا

قوله ـ اطعنوا شزراً واضربوا هبراً ـ معنى الشزر أن يطعنه من احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزراً اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر بمؤخر العين •• وقال الأصمعي نظر اليَّ شزراً اذا نظر اليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزراً كذلك ••وقوله هبراً قال ابن دريد يقال هبرت اللحم أهبره هبراً اذا قطعته قطعاً كباراً والاسم الهَبرة والهُبرة وسيف هبارٌ وهابرٌ واللحم هبيرٌ ومهبور ـ والمحالة ـ الحيلة ••وقوله ـ بالجد لا بالكد ـ أي يدرك الرجل حاجته وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدودٌ واذا كسرت الجيم فهو الانكماش في الأمر •• وقوله ـ التجلد ولا التبلد ـ أى تجلدوا ولا تبلدوا •• وقوله ـ فتطبعوا ـ أى تدنسوا والطَّبَعُ الدنس ويقال طبع السيف يطبع طبعاً اذا ركبه الصدى •• قال ثابت قطنة العتكى

لا خيرَ في طمعٍ يُدْني إلى طَبَعٍ وعِفَّةٌ مِنْ قِوَامِ العَيشِ تَكفيني

••وقوله ـ ولا تهنوا فتخرعوا ـ فالوهن الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت الشجرة الخروع للينها••وقوله ـ ان الموصين بنو سهوان ـ فالموصون جمع موصى وبنو سهوان ضربه مثلا أي لا تكونوا ممن تقدم اليهم فسهوا وأعرضوا عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل للرجل الموتر دمه ومعناه ان الذين يحتاجون أن يوصوا بحوائج اخوانهم هم الذين يسهون عنها لقلة عنايتهم بها وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتي •• وقوله ـ فارحبوا ـ أى أوسعوا والرحب السعة ـ والروح ـ الراحة ••وقوله فى الشعر ـ ورب غيل ـ فالغيل الساعد الممتلئ ـ والمعصم ـ موضع السوار من اليد

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب حلوان بن عمران بن

الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ‥ قال أبو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتي وقعة وكان سيداً مطاعاً عاش شريفاً في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه كان سيّد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب كان في ذلك الزمان شرفاً وحازي قومه والحزاة الكهّان وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم ‥ وأوصى بنيه فقال يا بني قد كبرت سنّي وبلغت حَرْساً من دهري فأحكمتني التجارب والأمور تجربة واختبار فاحتفظوا عني ما أقول وعوه إياكم والخوار عند المصائب والتواكل عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب وإياكم أن تكونوا للاحداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فانه ما سخر قومٌ قط إلاّ ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد انه مصيبه ‥ قوله ـ حرساً من دهري ـ يريد طويلا منه والحرس من الدهر الطويل ‥ قال الراجز في سُنَيَّةٍ عشنا بذاك حَرْساً * السنية المدة من الدهر ـ والتواكل ـ أن يكل القوم أمرهم الى غيرهم من قولهم رجل وكلٌ اذا كان لا يكفي نفسه ويكل أمره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة ـ والغرض ـ كلما نصبته للرمي ـ وتعاوره ـ أي تداوله ‥ [قال المرتضى] رضي الله عنه وقد ضمن ابن الرومي في معنى قول زهير بن جناب الانسان في الدهر غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوزٌ له وواقع عن يمينه وعن شماله ولا بد أن يصيبه أبياتاً فأحسن كل الاحسان وهي

كَفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيا ... لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ المَنَايا لَيَالِيا

أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ المَشِيبِ مَقَاتِلي ... لِرَامِي المَنَايا تَحْسَبِينِيَ نَاجِيا

غَدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ ... لِشَخْصِي وَأَخْلَقْ أَنْ يُصِبْنَ سَوَادِيا

وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي وَلاَ يُرَى ... فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيا

أما البيت الأخير فانه أبدع فيه وأغرب وما علمت انه سبق الى معناه لأنه جعل الشباب كالليل الساتر على الانسان الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته والشيب مبدياً لمقاتله

هادياً الى اصابته لضوئه وبياضه وهذا فى نهاية حسن المعنى •• وأراد بقوله رماني أصابني ومثله قول الشاعر

فلماَّ رَمَى شَخصي رَمَيتُ سَوَادَهُ ولاَ بُدَّ أنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمي

وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن فى العرب أنطق من زهير ولا أوجه منه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً ولم تجتمع قضاعة إلاّ عليه وعلى رزاح بن ربيعة فسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لايجوز للمرأة أن تتكلم به عند زوجها فنهاها فقالت له اسكت وإلاّ ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تعقله فقال عند ذلك

ألاَ يالَ قَومي لاَ أرَى النَّجْمَ طالِعاً ولاَ الشَّمسَ إلاَّ حاجَتي بيَميني

مُعَزِّبَتي عِندَ القَفا بعَمودِها تكُونُ نكيري أنْ أقولَ ذَريني

أميناً على سِرِّ النِّساءِ ورُبَّما أكونُ على الأَسرَارِ غيرَ أمينِ

فلَلموتُ خيرٌ مِنْ حِدَاجٍ مُوَطَّأٍ معَ الظَّعنِ لاَ يأتى المَحلَّ لِحيني

وهو القائل

أبَنيَّ إنْ أهلِكْ فقدْ أوْرَثتُكُمْ مَجداً بَنيَّه

وترَكتُكُمْ أرْبابَ سا داتٍ زِنادُكُمُ وريَّه

مِنْ كُلِّ ما نالَ الفتَى قَدْ نِلتُهُ إلاَّ التَّحيَّه

فلقَدْ رَحلَتُ البازِلَ الـ كَوْماءَ ليسَ لها وَليَّه

وخَطبتُ خُطبَةَ حازِمٍ غيرِ الضَّعيفِ ولاَ العَييَّه

فالمَوتُ خيرٌ للفتى فليَهلِكَنْ وبهِ بقيَّه

مِنْ أنْ يُرَى الشَّيخَ البجا لَ إذا يُهادَى بالعَشيَّه

وهو القائل

لَيتَ شِعري والدَّهرُ ذُو حَدَثانِ … أيُّ حِينٍ مَنِيَّتي تَلْقاني

أَسُباتٌ على الفِراشِ خُفاتٌ … أَمْ بكَنِّي مُفَجَّعٍ حرَّانِ

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره

لقَدْ عُمِّرْتُ حتَّى ما أُبالي … أحتفي في صباحي أمْ مساءِ

وحُقَّ لِمَنْ أتتْ مائتانِ عاماً … عليهِ أنْ يملَّ مِنَ الثَّواءِ

قوله ـ معزبتي ـ يعني امرأته يقال معزبة الرجل وحليلته وزوجته كل ذلك امرأته ٠٠ وقوله ـ أميناً على سر النساء ـ السر خلاف العلانية والسر أيضاً النكاح قال الحطيئة

ويَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهِمْ عليهِمْ … ويأْكُلُ جارُهُمْ أنفَ القِصاعِ [1]

وقال امرؤ القيس

ألا زَعَمتْ بَسباسةُ اليومَ أنني … كَبِرتُ وألاَّ يُحسِنُ السِّرَّ أمثالي

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعاً لانه اذا كبر وهرم تهيبه النساء أن تحدث بحضرته بأسرارهن تهاونا به أو تعويلا على ثقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه أميناً على نكاح النساء لعجزه عنه ٠٠ وقوله ـ حداج موطأ ـ الحداج مركب من مراكب النساء والجمع احداج وحدوج ـ والظعن ـ والأظعان الهوادج والظعينة المرأة فى الهودج ولا تكون ظعينة حتى تكون فى هودج والجمع ظعائن وانما خبّر عن هرمه وأن موته خير من كونه مع الظعن فى جملة النساء ٠٠ وقوله ـ زنادكم وريّه ـ الزناد جمع زند وزندة وهما عودان يقدح بهما النار فنى أحدهما فروض وهي تغث فالتى فيها الفروض هي الأنثى والذى يقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزندة الأب والزندة الأم وكنّى بزنادكم وريّه عن بلوغهم مآربهم تقول العرب وريت بكم زنادى أى بلغت بكم ما أحب من النجح

---

(١) قوله أنف الأنف من كل شئ أوله يقول يؤثرون جارهم بالطعام على أنفسهم فيأكل صفوة طعامهم قبلهم

والنجاة ويقال للرجل الكريم وارى الزناد — وأما التحية — فهي الملك فكأنه قال من كل ما نال الفتى قد نلته إلا الملك •• وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء — والبازل — الناقة التي بلغت تسع سنين فهي أشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء — والكوماء — العظيمة السنام — والولية — برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده — والبجال — الذي يجله قومه ويعظمونه •• وقوله — يهادى بالعشيه — أي يماشيه الرجال فيسندونه لضعفه والتهادي المشي الضعيف •• وقوله — أسبات — فالسُّبات سكون الحركة ورجل مسبوتٌ — والخفاتُ — الضعف أيضاً يقال خفت الرجل اذا أصابه ضعف من مرض أو جوع — والمفجع — الذي فجع بولد له أو قرابة — والحران — العطشان المتهب وهو ههنا المحزون على قتلاه •• ومما يروي لزهير بن جناب

إذَا ما شِئْتَ أنْ تَسلو حَبِيباً فَكَثِّرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالي

فما سلي حَبِيبكَ مِثْلَ نَاءٍ ولاَ أبلى جَدِيدكَ كَابتِذَالِ

مجلس آخر ١٧

ومن المعمرين ذو الأصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة ابن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عتّاب بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر •• وانما سمي الحارث عدوان لأنه عدى على أخيه فهم فقتله وقيل بل فقأ عينه وقيل ان اسم ذو الأصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنّي أبا عدوان وسبب لقبه بذي الأصبع ان حية نهشت أصبعه فشلّت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين سنة •• وقال أبو حاتم انه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد حكّام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان أرم وروى عنه

لاَ يَبعُدَنْ عَهدُ الشَّبابِ ولاَ لَذَّاتُهُ ونَبَاتُهُ النضرُ

لولا أُولئكَ ما حفَلتُ متى عُوليتُ في حرَجٍ إلى قبْرِي
هزِئتْ أُثيلةُ أن رأتْ هرَمي وأنِ انحنَى لتقادُمٍ ظهْرِي

وكان لذي الأصبع بنات أربع فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك أحب الينا ثم أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منّا ما فى نفسها فقالت الكبرى

ألاَ هلْ أراها مرَّةً وضجيعُها أشمُّ كنصلِ السيفِ عينُ مُهنَّدِ
عليمٌ بأدْواءِ النّساءِ وأصلُهُ إذا ما انتمى من أهلِ سرِّي ومحتِدِي

ويروى من سر أهلى ومن أصل سري ومحتدى فقلن لها أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية

ألاَ ليتَ زوْجي من أُناسٍ أُولي عدىً حديثُ شبابٍ طيّبُ الثّوْبِ والعطْرِ

ويروى أولى غنى

لصُوقٌ بأكبادِ النِّساءِ كأنَّهُ خليقةُ جانٍ لا ينامُ على وتْرِ

ويروى لا ينام على هجرى فقلن لها أنت تريدين فتىً ليس من أهلك ثم قالت الثالثة

ألاَ ليتَهُ يكسِي الجمالَ نديَّهُ لهُ جفنةٌ تشقى بها المعْزُ والجزُرُ
لهُ حكَماتُ الدَّهرِ منْ غيرِ كبرَةٍ تشينُ فلاَ وانٍ ولاَ ضرِعٌ غمْرُ

فقلن لها أنت تريدين سيداً شريفاً وقلن للرابعة قولي فقالت لا أقول فقلن لها ياعدوة الله علمت ما فى أنفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت مثلاً فزوجهن أربعهن وتركهن حولاً ثم أتي الكبرى فقال يا بنيّة كيف ترين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل نشرب ألبانها جُرعاً ويروى جزعاً بالزاي المعجمة ونأكل لحمانها مزعاً وتحملنا وضعفتنا معاً فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ثم أتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير

زوج يكرم أهله وينسى فضله قال وما مالكم قالت البقر تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء فقال حظيت ورضيت ثم أتى الثالثة فقال يابنية كيف زوجك قالت لاسمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعز قال وما هي قالت لو أنا نولدها فطماً ونسلخها أدماً ويروى أُدماً بالفتح لم نبغ بها نعماء فقال لها جذوة مغنية ويروى جدوة ثم أتى الصغرى فقال كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا تسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أبوها أشبه أمراً بعض بزه فمضت مثلا ٠٠ أما قول إحدى بناته في الشعر ــ أشم ــ فالشمم ارتفاع أرنبة الأنف وورودها ويقال رجل أشم وامرأة شماء وقوم شم ٠٠ قال حسان بن ثابت

بيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أَحسابُهُمْ ... شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ

الشمم الارتفاع فى كل شئ ويحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ماذكرناه من ورود الأرنبة لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الأمور ورذائلها وخص الأنوف بذلك لأن الحمية والغضب والأنف يكون فيها ولم يرد طول أنفهم وهذا أشبه بأن يكون مراده لانه قال بيض الوجوه ولم يرد اللون فى الحقيقة وانما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم وجميل أخلاقهم وأفعالهم وما يقول القائل جاءنى فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهي بكذا وكذا وانما يعنى ماذكرناه ٠٠ وقول المرأة أشم كنصل السيف يحتمل الوجهين أيضاً وقول حسان من الطراز الأول أي أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم وانهم لم يحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نجارهم وأصولهم ٠٠ وقولها ــ عين مهندٍ ــ أي هو المهند بعينه كما يقال هذا بعينه وعين الشئ نفسه وعلى الرواية الأخرى غير مهند أى ليس هو السيف المنسوب الى الهند فى الحقيقة وانما هو يشبهه فى مضائه ٠٠ وقولها ــ من سر أهلي ــ أي من أكرمهم وأخلصهم يقال فلان فى سر قومه أى فى صميمهم وشرفهم وسر الوادى أطيبه تراباً ــ والمحتد ــ الأصل ٠٠ وقول الثانية ــ أولى عدى ــ فان معناه أن يكون لهم أعداء لأن من لا عدو له هو الفسلُ الرذل الذى لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس وهو

المحمّد المعادي •• وقولها ـ لصوق بأكباد النساء ـ يعني في المضاجعة ويحتمل أن يكون ارادة في المحبة وكنت بذلك عن شدة محبتهن له وميلهن اليه وهو أشبه •• وقولها ـ كأنه خليقة جان ـ أي كأنه حية للصوقه والجانّ جنس من الحيات نخففت لضرورة الشعر •• وقول الثالثة ـ يكسي الجمال نديه ـ فالنديّ هو المجلس •• وقولها ـ له حكمات الدهر ـ تقول قد أحكمته التجارب وجعلته حكيماً ـ والضرع ـ الضعيف ـ والغمر ـ الذي لم يجرب الأمور ••وقول ـ الكبرى ـ يكرم الحليلة ويعطى الوسيلة ـ فالحليلة هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة •• وقولها ـ نشرب ألبانها جرعاً ـ فالجرع جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى في الاناء •• وقولها ـ مزعاً ـ المزعة البقية من دسم ويقال ماله جرعة ولا مزعة هكذا ذكره ابن دريد الضم في جرعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جرعة واذا كسرت فينبغي أن يكون نشرب ألبانها جرعاً وتكسر المزعة أيضاً ليزدوج الكلام فتقول ونأكل لحمانها مزعاً قال المزعة من الشحم بالكسر هي القطعة من الشحم والمزعة أيضاً من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق ويقال انه ليكاد يتمزع من الغيظ ومزع الصبي في عدوه يمزع مزعاً اذا أسرع •• وقوله ـ مال عميم ـ أي كثير •• وقول الثانية ـ تودك السقاء ـ من الودك الذي هو الدسم ـ وقول الثالثة ـ نولدها فطماً ـ الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من الرضاع •• وقولها ـ نساخها أدماً ـ الأدم جمع إدام وهو الذي يؤكل تقول لو أنا فطمناها عند الولادة لساخناها للأدم من الحاجة لم نبغ بها نعماء وفي الرواية الأخرى أدماً من الأديم •• وقوله ـ جذوة مغنية ـ فالجذوة القطعة •• وقول الصغرى ـ جُوْفٌ لا يشبعن ـ الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف ـ والهيم ـ العطاش ولا ينقعن أي لا يروين •• ومعنى قولها ـ وأمر مغويتهن يتبعن ـ لأن القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كلهن إتباعاً لها والضأن يوصف بالبلادة ••

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال ابن دريد وأخبرنا العكلي عن أبي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان

الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس على أخذ فرائضهم فأتيناه فقال ممن القوم فقلنا من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك

عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَـدْوَا نَ كانوا حَيَّةَ الأَرْضِ [1]

بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَلَمْ يَرْعَوْا على بَعْضِ

ومِنْهُمْ كانتِ السَّادَا تُ والمُوفُونَ بالقَرْضِ

ومِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْـضِي فلا يُنْقَضُ ما يَقْضِي

ومِنْهُمْ مَنْ يُجِيرُ النَّا سَ في السُّنَّةِ والفَرْضِ

ثم أقبل على رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال أيكم يقول هـذا الشعر فقال لاأدري فقلت أنا من خلفه يقوله ذو الأصبع فتركني وأقبل على ذاك الجسيم فقال وما كان اسم ذو الأصبع فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه حرثان فأقبل عليـه وتركني فقال لم سمي ذو الأصبع فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه نهشته حية في أصبعه فأقبل عليه وتركني فقال من أيكم كان فقال لا أدري فقلت أنا من خلفه من بني ناج فأقبل على الجسيم فقال كم عطاؤك قال بسبعمائة ثم أقبل علي فقال كم عطاؤك قلت أربعمائة فقال

(١) اختلف في العذير فمنهم من جعله مصدراً بمعنى العذر وهو مذهب سيبويه ومنهم من جعله بمعنى عاذر كعليم وعالم والمعنى عنده هات عذرك واحضر عاذرك وامتنع أن يجعله بمعنى العذر لأن فعيلا لا ينبني على المصدر إلاّ في الأصوات نحو الصهيل والنهيق والنبيح والأولى مذهب سيبويه لأن المصدر يطرد وضعه موضع الفعل بدلاً منه لانه اسمه ولا يطرد ذلك في اسم الفاعل وقد جاء فعيل في غير الصوت كقولهم وجب القلب وجيباً اذا اضطرب ٠٠ والمعنى يصف ما كان من تفرق عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم وعزتهم في البلاد لكثرة ساداتهم وبغي بعضهم على بعض فيقول من يعذرهم في فعلهم أو من يعذرني منهم ٠٠ وقوله كانوا حية الأرض أي كانوا يتقى منهم لكثرتهم وعزتهم كما يتقى من الحية المنكرة

يا بن الزعيزعة حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائة وفي رواية أخرى انه لما قال من أيكم كان فقال لاأدري فقلت أنا من بني ناج الذي يقول فيهم الشاعر

فأَمَّا بنو ناجٍ فلا تَذْكُرُنهمْ ولاتتبعنَ عينيكَ من كانَ هالكا

إذَا قلتَ معروفاً لتصلحَ بينهمْ يقولُ رهيبٌ لا أُسلّمُ ذلكا

ويروى ما أحاول

فأَضحى كظهرِ الموْدِجِ سنامهُ تحومُ عليهِ الطيرُ أحدبَ باركا

وقد رويت هذه الأبيات لذي الأصبع أيضاً ومن أبيات ذي الأصبع السائرة قوله

أُكاشرُ ذَا الضغنِ المبينِ منهمُ وأُضحكُ حتَّى يبدُوَ النابُ أجمعُ

وأُهدِنهُ بالقوْلِ هدْناً ولو يرَى سريرةَ ما أُخفي لباتَ يُفزَّعُ

ومعنى أهدنه أسكنه ومن قوله أيضاً

إذَا ما الدَّهرُ جرَّ على أُناسٍ حوَادِثهُ أناخَ بآخرينا

ويروى شراشره

فقُلْ للشامتينَ بنا أفيقوا سيلقى الشامتونَ كما لقينا

ومعنى — الشراشر — هنا الثقل يقال ألقى عليه شراشره وجراميزه أي ثقله ومن قوله

ذَهبَ الذينَ إذا رأَوني مقبلاً هشُّوا إليَّ ورحَّبوا بالمقبلِ

وهمُ الذينَ إذا حملتُ حمالةً ولقيتهمْ فكأَنَّني لم أحملِ

ومن قوله وهي المشهورة

ليَ ابنُ عمٍّ على ما كانَ منْ خُلُقٍ مختلفانِ فأقليهِ ويقليني

أَزرَى بنا أنَّنا شالتْ نعامتُنا فخالني دُونهُ وخلتهُ دُوني[1]

---

(١) يقال أزري به اذا قصّر وزري عليه اذا عابه .. وقوله شالت نعامتنا أي تفرق

لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أُفضلتَ في حسبٍ ... عني ولا أنتَ ديَّاني فتخزُوني (١)

إني لعمرُكَ ما بابي بذي غلقٍ ... عن الضُّيوفِ ولا خيري بممنونِ

ولا لساني على الأدْني بمُنطلقٍ ... بالفاحشاتِ ولا أغضي على الهُونِ

ماذا عليَّ وإن كُنتُم ذوي رحمٍ ... ألاَّ أُحبكُمُ إنْ لمْ تُحبُّونى

أمرنا واختلف يقال عند اختلاف القوم شالت نعامتهم وزف رالهم والرال فرخ النعام وقيل يقال شالت نعامتهم اذا جلوا عن الموضع والمعنى تنافرنا فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن الىّ ويقال ألقوا عصاهم اذا سكنوا واطمأنوا ٠٠ وقال الزمخشرى شالت نعامتهم أي تفرقوا وذهبوا لأن النعامة موصوفة بالخفة وسرعة الذهاب والهرب ويقال أيضاً خفت نعامتهم وزف رالهم وقيل النعامة جماعة القوم

(١) قوله أفضلت ضمن فضلت معنى تجاوزت في الفضل فلهذا تعدى بعن ولولا التضمين لقال أفضلت علىّ لأنه من قولهم أفضلت على الرجل اذا أوليته فضلا وأفضل هذه تتعدى بعلى لانها بمعنى الانعام أو انه من قولهم أعطى وأفضل اذا زاد على الواجب وأفضل هذه أيضاً تتعدى بعلى يقال أفضل على كذا أى زاد عليه فضله ومراده من ذكر التضمين ان عن ليست بمعنى على خلافا لابن السكيت ولابن قتيبة ومن تبعهما فانهم قالوا عن نائبة عن على والأولى أن يكون أفضل من قولهم أفضل الرجل اذا صار ذا فضل فى نفسه فيكون معناه ليس لك فضل تنفرد به عنى وتحوزه دوني فيكون لتضمنه معنى الانفراد تعدى بعن فتأمل ـ والديان ـ القيم بالأمر المجازي به وتخزونى تسوسنى سياسة وتخزونى بالخاء والزاى المعجمتين مضارع خزاه خزوا بالفتح ساسه وقهره وملكه وأما الخزى بالكسر وهو الهوان والذل فالفعل منه كرضى ويحتمل تخزونى الرفع ويكون التقدير ولا أنت مالكي فتسوسنى ويحتمل النصب والفتحة حينئذ مقدرة كما فى قوله

* أبى الله أن أسمو بأم ولا أب * وليس بضرورة يقول لله ابن عمك الذى ساواك فى الحسب وماثلك فى الشرف فليس لك فضل تنفرد به عنه ولا أنت مالك أمره فتتصرف به على حكمك ومراده بابن العم نفسه فلذلك رد الاخبار بلفظ المتكلم

يا عَمْرُو إلاّ تدَعْ شتمي ومنقصتي أَضربْكَ حتي تقولَ الهامةُ اسقوني

فأنتمُ معشرٌ زيدٌ علي مائةٍ فأجمعوا أمرَكُمْ طرًّا وكيدُوني

لاَ يخرِجُ القسرُ مِنِي غيرَ مأبيةٍ ولاَ أَلينُ لمنْ لاَ يبتغي لِيني

قوله — شالت نعامتنا — معناه تنافرنا فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن الي يقال شالة نعامة القوم اذا أجلوا عن الموضع ٠٠ وقوله — لاه ابن عمك — قال قوم أراد لله ابن عمك ٠٠ وقال ابن دريد أقسم بالله ابن عمك ٠٠ وقوله — عنى — أى علىَّ — والديان — الذى يلى أمره ومعنى — فتخزونى — أي تسوسونى — والهون — الهوان ٠٠ وقوله — أضربك حتى تقول الهامة اسقونى — قال الأصمعي العطش فى الهامة فأراد أضربك في ذلك الموضع أى على الهامة حتى تعطش وقال آخرون ان العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقونى اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثاره وهذا باطل ويجوز أن يعنيه ذو الأصبع على مذاهب العرب ٠٠ وقوله — لا يخرج القسر منى غير مأبية — والقسر القهر أي ان أخذت قسراً لم أزده إلاّ إباء

ومن المعمرين معديكرب الحميري من آل ذى رعين ٠٠ قال ابن سلام وقال معديكرب الحميري وقد طال عمره

أَراني كُلَّما أَفنيتُ يوْماً أَتاني بعدَهُ يوْمٌ جدِيدُ

يَعُودُ بياضُهُ في كلِّ فجْرٍ ويأْبي لى شبابي ما يعودُ

ومن المعمرين الربيع بن ضبع الفزارى ويقال انه بقى الى أيام بنى أمية وروى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع أخبرنى ما أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية فقال أنا الذي أقول

ها أَنا ذا آمُلُ الخُلودَ وقدْ أَدْرَكَ عقْلي ومولِدِى حجُرا

فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي قال وأنا القائل

إذَا عاشَ الفتي مِائتينِ عاماً فقدْ ذَهبَ اللَّذاذَةُ والفتاء

قال قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام وأبيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة فى فترة عيسى وعشرين ومائة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام ٠٠ قال اخبرنى عن فتية من قريش متواطئي الأسماء قال سل عن أيهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن العباس قال فهمٌ وعلمٌ وإعطاء جذمٌ ومقرىً ضخمٌ قال اخبرنى عن عبد الله بن عمر قال حلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرنى عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لينٌ مسها قليل على المسلمين ضرها قال فاخبرنى عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر ينحدر منه الصخر قال لله درك ياربيع ماأعرفك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري ٠٠ [قال المرتضي] رضى الله عنه ان كان هذا الخبر فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له انما كان فى أيام غفلته لا فى أيام ولايته لأن الربيع يقول فى الخبر عشت في الاسلام ستين سنة وعبد الملك وليّ فى سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية ويقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

أَلاَ أَبلِغْ بَنِيَّ بني رَبيعٍ ... فأَشرَارُ البَنِينَ لكُمْ فِدَاءُ
بأَني قدْ كَبِرْتُ ودَقَّ عظمي ... فلاَ تشغَلكُمُ عنّي النّساءُ
فإِنَّ كَنائِني لِنساءُ صِدْقٍ ... وما آلا بَنِيَّ ولاَ أَساؤُا
إِذَا كانَ الشّتاءُ فأَدْفِئوني ... فإِنَّ الشيخَ يَهْدِمُهُ الشّتاءُ
وأَما حينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍّ ... فسِرْبالٌ خَفيفٌ أَو رِدَاءُ
إِذَا عاشَ الفتى مِائتينِ[1] عاماً ... فقَدْ ذَهَبَ اللَّذاذَةُ والفَتاءُ

(١) قوله مائتين عاماً كان الوجه حذف النون وخفض عام إلاّ أنها شبهت للضرورة بالعشرين ونحوها مما يثبت نونه وينصب ما بعده ٠٠ وصف فى البيت هرمه وذهاب مروءته ولذته وروى أودى بدل ذهب بمعنى انقطع وهلك والفتاء مصدر الفتى وروى تسعين عاماً ولا ضرورة فيه على هذا وهي رواية لا أصل لها يعلم من الأبيات ومن ترجمة صاحبها

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة

أَصبحَ منّي الشَّبابُ قدْ حسرَا ... إنْ ندَّ عنّي فقدْ ثوَى عُصُرَا

ودَّعنا قَبلَ أَنْ نُودِّعَهُ ... لمَّا قَضى مِنْ جماعِنا وَطرا

ها أَنا ذَا آمُلُ الخُلودَ وقدْ ... أَدْركَ عَصْرِي ومولِدِي حُجُرا

أبا أمرِئِ القَيسِ هلْ سَمعتَ بهِ ... هَيهاتَ هيْهاتَ طالَ ذَا عُمُرَا[1]

أَصبحتُ لاَ أَحملُ السِّلاَحَ ولاَ ... أَملكُ رأْسَ البَعيرِ إنْ نفرَا

والذِّئبَ أَخشاهُ إنْ مَرزتُ به ... وَحدِي وأَخشى الرِّياحَ والمَطرا

مِنْ بَعدِ ما قُوَّةٍ أُسَرُّ بها ... أَصبحتُ شيخاً أُعالِجُ الكِبَرا

قوله ـ عطاء جذم ـ أي سريع وكل شئ تسرعت فيه فقد جذمته وفى الحديث اذا أذّنت فترسل واذا أقمت فاجذم أي أسرع ـ والمقرى ـ الاناء الذى يقرى فيه ... وقوله ـ فما آلا بَنيَّ ولا أساؤا ـ أي لم يقصروا والآليّ المقصر



مجلس آخر ١٨

ومن المعمرين أبو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين قال أبو حاتم عاش مائتى سنة فقال فى ذلك

حَنَتْني حانِياتُ الدَّهرِ حتَّى ... كأَنى خاتِلٌ يَدْنُو لصيْدِ

قَصيرُ الخَطْوِ يحسِبُ مَنْ رآنى ... ولستُ مُقيَّدًا أَنّي بقيدِ

وروى التخيل بدل اللذاذة والتخيل التكبر وعجب المرء بنفسه وروى بدله المسرة والمروءة أيضاً والفتى الشاب وقد فتى بالكسر يفتي بالفتح فتى فهو فتى السن بيّن الفتاء

(١) قوله طال ذا عُمُرا هو تعجب أى ما أطول هذا العمر

ويروى قريب الخطو .. قال أبو حاتم حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين وينشد أيضاً

تَقَارَبَ خَطْوُ رِجالِكَ يا سُوَيْدُ ... وَقَيَّدَكَ الزَّمانُ بِشَرِّ قَيْدِ

وهو القائل

وإنّي مِنَ القَوْمِ الذينَ هُمُ هُمُ ... إذَا ماتَ مِنهُمْ مَيِّتٌ قامَ صاحِبُه

نُجومُ سَماءٍ كُلَّما غابَ كَوْكَبٌ ... بَدَى كَوْكَبٌ تأْوِي إلَيهِ كَوَاكِبُه

أَضاءَتْ لَهُمْ أَحسابُهُمْ ووُجوهُهُمْ ... دُجَى اللَّيلِ حتّى نَظَّمَ الجِزْعَ ثاقِبُه

وما زَالَ مِنهُمْ حَيثُ كانَ مُسَوَّدًا ... تَسِيرُ المَنَايا حَيْثُ سارَتْ رَكائِبُه

ومعنى البيتين الأولين يشبه قول أوس بن حَجَر[1]

إذَا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَى حَدُّ نابِهِ ... تَخَمَّطَ فِينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ

ولطفيل الغنوي مثل هذا وهو

كَوَاكِبُ دَجْنٍ كُلَّما انْقَضَّ كَوْكَبٌ ... بَدَى وانْجَلَتْ عنهُ الدُّجُنَّةُ كَوْكَبُ

وقد أخذ الخزيمي هذا المعنى فقال

إذَا قَمَرٌ مِنَّا تَغَوَّرَ أو خَبَا ... بَدَا قَمَرٌ في جانِبِ الأُفْقِ يَلْمَعُ

ومثل ذلك

خِلافَةُ أَهلِ الأَرْضِ فِينا وِراثَةٌ ... إذَا ماتَ مِنا سَيِّدٌ قامَ صاحِبُه

ومثله

إذَا سَيِّدٌ مِنا مَضَى لِسَبِيلِهِ ... أَقامَ عَمُودَ الدِّينِ آخَرُ سَيِّدُ

وكأن مزاحماً العقيلي نظر الى قول أبي الطمحان

---

(١) ـ أوس بن حجر بفتحتين وليس في أسماء الأشخاص على هذا البناء غير هذا

أَضاءَتْ لهُمْ أَحسابُهُمْ ووُجوهُهُمْ

في قوله

وُجوهٌ لوَ أَنَّ المُدلجينَ اعتَشوْا بها صَدَعْنَ الدُّجى حتّى تَرى اللَّيلَ يَنجلي

ويقارب ذلك قول حجيّة بن المضرب الكندي

أَضاءَتْ لهُمْ أَحسابُهُمْ فتضاءَلَتْ لِنورِهِمُ الشَّمسُ المُضيئَةُ والبَدْرُ

وأنشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيتي أبي الطمحان

مِنَ البِيضِ الوُجوهِ بني سِنانٍ لوَ انَّكَ تَستَضيءُ بِهِمْ أَضاؤُا

هُمُ حلُّوا مِنَ الشَّرَفِ المُعلَّى ومِنْ كَرَمِ العَشيرَةِ حيثُ شاؤُا

فلوْ أَنَّ السَّماءَ دَنَتْ لمَجْدٍ ومَكْرُمةٍ دَنَتْ لهُمُ السَّماءُ

وأبو الطمحان القائل

إذَا كانَ في صدْرِ ابنِ عمِّكَ إِحنَةٌ فلاَ تَستَثِرْها سوْفَ يَبدُو دَفينُها

وهو القائل

إذَا شاءَ راعِيها اسْتقَى مِنْ وَقيعةٍ كَعيْنِ الغُرابِ صفوُها لمْ يُكَدَّرِ

ــ والوقيعة ــ المستنقع في الصخرة للماء ويقال للماء إذا زل من صخرة فوقع في بطن أخرى ماء الوقائع وأنشد لذي الرمة

ونِلْنا سِقاطاً مِنْ حديثٍ كأَنَّهُ جَنَا النَّحلِ مَمزُوجاً بماءِ الوَقائعِ

ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل ماء المفاصل وأنشدوا لأبي ذؤيب

مَطافِيلُ أَبكارٌ حَديثٌ نِتاجُها تُشابُ بماءٍ مِثلِ ماءِ المَفاصِلِ

وأنشد أبو محلم السعدي لأبي الطمحان

بُنيَّ إذا ما سامَكَ الذُّلَّ قاهِرٌ عزيزٌ فبعضُ الذُّلِّ أَبقي وأَحرَزُ

ولاتَحمِ مِن بَعضِ الأُمورِ تَعزُّزا   فقد يُورِدُ الذُّلَّ الطويلَ التَّعزُّزُ

وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفري٠٠وروى لأبي الطمحان أيضاً في مثل هذا المعنى

يا رُبَّ مَظلمةٍ يوماً لَطيتُ بها   تَمضي عليَّ إذا ما غابَ نُصّاري

حتّى إذا ما انجلَت عني غَيابَتُها   وثَبتُ فيها وُثوبَ المُخدِرِ الضّاري

ومن المعمرين عبد المسيح بن بُقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس ابن حيان بن بُقيلة وبُقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمي بُقيلة لأنه خرج في بردين أخضرين على قومه فقالوا له ما أنت إلاّ بُقيلة فسمي لذلك٠٠وذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانياً وروى ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه أهلها أرسل اليهم ابعثوا اليَّ رجلاً من عقلائكم وذوى أنسابكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بُقيلة فأقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال أنعم صباحاً أيها الملك قال قد أغنانا الله عن تحيتك فمن أين أقصى أثرك أيها الشيخ قال من ظهر أبي قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال فعلام أنت قال على الأرض قال ففيم أنت قال في ثيابي قال أتعقل لا عقلت قال أي والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحدٍ قال خالد ما رأيت كاليوم قط إني أسأله عن الشيء وينحو في غيره قال ما أجبتك إلاّ عما سألت فاسأل عما بدا لك قال أعربٌ أنتم أم نبطٌ قال عربٌ استنبطنا ونبطٌ استعربنا قال فحربٌ أنتم أم سلمٌ قال بل سلم قال فما هذي الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجيء الحليم فينهاه قال كم أتى لك قال خمسون وثلاثمائة سنة قال فما أدركت قال أدركت سفن البحر في السماوة في هذا الجرف ورأيت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها لا تزود إلاّ رغيفاً حتى تأتي الشام ثم قد أصبحت خراباً يباباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه في كفّه فقال له خالد ما هذا في كفّك قال هذا السم قال ما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي وأهل بلدي حمدت الله وقبلته وان كانت الأخرى لم أكن أول من

ساق اليهم ذلاً وبلاءً أشربه فأستريح من الدنيا فانما بقى من عمرى اليسير قال خالد هاته فأخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شئ فشربه فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه فى صدره طويلا ثم عرق فأفاق كأنما نشط من عقال فرجع ابن بُقيلة الي قومه فقال جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم فان هذا أمر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة ألف درهم وأنشأ يقول

أَبعدَ المُنذِرينِ أرَى سَوَاماً ... يُرَوَّحُ بالخَوَرْنَقِ والسَّدِيرْ

أَبَعدَ فَوَارِسِ النُّعمانِ أَرْعَى ... مَرَاعِيَ نَهرِ مُرَّةَ فالحفِيرِ

تَحاماهُ فَوَارِسُ كُلِّ قومٍ ... مَخافةَ ضَيغَمٍ عالي الزَّئيرِ

فصِرْنا بعدَ هُلكِ أبي قُبيسٍ ... كَمِثلِ الشّاءِ في اليومِ المَطيرِ

يريد أبا قابوس فصغر ويروى كمثل المعز

تَقَسَّمُنا القَبائلُ مِنْ مَعَدٍّ ... عَلَانيةً كأَيسارِ الجَزُورِ

نُؤَدِّي الخَرْجَ بَعدَ خَراجِ كِسرَى ... وخَرْجِ بني قُرَيظةَ والنَّضيرِ

كَذاكَ الدَّهرُ دَولَتُهُ سِجالٌ ... فيومٌ مِنْ مَساةٍ أو سُرُورِ

ويروى ان عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بنى بُقيلة قال

لقدْ بَنيتُ لِلحدَثانِ قصرًا ... لوَ انَّ المَرْءَ تنفعُهُ الحُصُونُ

طَوِيلَ الرَّأسِ أقعَسَ مُشمَخِرًّا ... لأَنواعِ الرِّياحِ بهِ أنينُ

ومما يروى لعبد المسيح بن بُقيلة

والنَّاسُ أبناءُ عَلَّاتٍ فمَنْ عَلِموا ... أنْ قد أقَلَّ فمَجفُوٌّ ومَحقُورُ

وهُمْ بَنُونَ لأُمٍّ إنْ رَأَوا نَشَبًا ... فَذاكَ بالغَيبِ مَحفُوظٌ ومَخفُورُ

وهذا يشبه قول أوس بن حجر

بَني أُمِّ ذِي المالِ الكَثيرِ يَرَونَهُ ... وإنْ كانَ عَبدًا سَيِّدَ الأَمرِ جَحفَلَا

وهُمْ لِمقلِّ المالِ أوْلاَدُ عَلَّةٍ　　وإنْ كانَ مَحْضاً في العمومةِ مُخْوِلاَ

وذكر ان بعض المشايخ من أهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديراً فلما احتفر موضع الأساس وأمعن فى الاحتفار أصاب كهيئة البيت فدخله فاذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة أنا عبد المسيح بن بُقيلة

حَلَبتُ الدَّهرَ أشطُرَهُ حياتي　　ونِلتُ منَ المُنَى فوقَ المَزيدِ

وكافحتُ الأمورَ وكافحتني　　ولمْ أحفلْ بمُعضلةٍ كؤُدِ

وكِدتُ أنالُ في الشَّرفِ الثُّريَّا　　ولكِنْ لاَ سَبيلَ إلى الخُلودِ

ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد[1] الله بن عدس بن ربيعة ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكني أبا ليلى •• وروى أبو حاتم السجستانى قال كان النابغة الجعدى أسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله

تذَكَّرْتُ والذِّكرَى تَهيجُ على الجوَى　　ومِنْ حاجةِ المَحزُونِ أنْ يَتذَكَّرَا

نَدامايَ عِندَ المُنذِرِ بنِ مُحَرِّقٍ　　أرَى اليومَ مِنهُمْ ظاهرَ الأرْضِ أقفرا

كُهولٌ وفتيانٌ كأنَّ وُجُوهَهُمْ　　دَنانيرُ مِمَّا شِيفَ في أرْضِ قيْصَرَا

فهذا يدل على أنه كان عند المنذر بن محرق والنابغة الذبيانى كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق •• قوله ـ شيف ـ يعني جلى والمشوف المجلو •• ويقال النابغة غبر ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأصبهان وكان ديوانه بها وهو الذى يقول

فمَنْ يَكُ سائلاً عنِّي فإنِّي　　مِنَ الفِتيانِ أيامَ الخُنانِ

---

(١) قوله اسمه قيس اختلف في اسمه فقيل قيس كما هنا وقيل عبد الله بن قيس وقيل حبان بن قيس بن عمرو بن عدس بن ربيعة وانما سمى النابغة لأنه قال الشعر فى الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه فسمي النابغة

ـ أيام الخنان ـ أيام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم [1] مرض في أنوفهم وحلوقهم

مَضَتْ مِائَةٌ لِعامِ وُلِدْتُ فيهِ ... وعَشْرٌ بَعْدَ ذاكَ وحِجَّتانِ

فأَبقى الدَّهرُ والأَيّامُ مِنّي ... كَما أَبقى مِنَ السَّيفِ اليَماني

تفلَّلُ وهُوَ مأثورٌ جُرازٌ ... إِذا اُجتَمَعَتْ بقائمهِ اليَدانِ

وقال أيضاً فى طول عمره

لَبِستُ اناساً فأَفنيتُهُمْ ... وأَفنيْتُ بَعدَ أُناسٍ أُناسا

ثلاثةُ أَهلِينَ أَفنيتُهُمْ ... وكانَ الإِلهُ هوَ المُستآسا

ـ المستآس ـ المستعاض ٠٠ وروى عن هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين سنة ٠٠ وروى ابن دريد عن أبي حاتم فى موضع آخر ان النابغة الجعدي عاش مائتي سنة وأدرك الاسلام وروى له

قالتْ أُمامةُ كَمْ عَمِرْتَ زَمانةً ... وذَبَحتَ مِنْ عِترٍ على الأَوثانِ

ـ العتيرة ـ شاة تذبح لأصنامهم في رجب فى الجاهلية

ولقدْ شَهِدْتُ عُكاظَ قبلَ مَحَلِّها ... فيها وكُنتُ أُعَدُّ ملفتيانِ

والمُنذِرَ بنُ مُحرِّقٍ في مُلكهِ ... وشَهِدْتُ يَومَ هَجائنِ النُّعمانِ

وعَمِرْتُ حتى جاءَ أَحمَدُ بالهُدَى ... وقَوارِعٍ تُتلَى مِنَ القُرْآنِ

ولَبِستُ مِنْ إِسلامِ ثوباً واسعاً ... مِنْ سَيْبِ لاَ حَرِمٍ ولاَ مَنّانِ

وله أيضاً فى طول عمره

المَرءُ يَهوَى أَنْ يَعيـــشَ وطُولُ عيشٍ قدْ يَضُرُّه

(١) قوله هاج بها فيهم الخ المعروف ان الخنان على وزن غراب زكام يأخذ الابل فى مناخرها وتموت منه ٠٠ وقال الأصمعي كان الخنان داء يأخذ الابل فى مناخرها وتموت منه وكانت أيام الخنان على عهد المنذر بن ماء السماء وكانوا يؤرخون بها

تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

وتتابع الأيام حتى لا يرى شيئاً يسره

كم شامت بي إن هلكت وقائل لله دره

ويروى ان النابغة الجعدى يفتخر ويقول أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال عليه الصلاة والسلام أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة يارسول الله فقال أجل ان شاء الله ثم أنشدته

فلا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال عليه الصلاة والسلام لايفضض الله فاك •• وفي رواية أخرى لايفضض فوك فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا ضرس وفى رواية أخرى قال فرأيته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية تنبت له أخرى مكانها وهو أحسن الناس ثغراً. ترف معنى تبرق وكأن الماء يقطر منها •• [قال المرتضي] رضى الله عنه ومما يشاكل قول الجنة فى جواب قول النبى صلى الله عليه وسلم أين المظهر يا أبا ليلى وان كان يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان مستغيثاً من فعل الجحاف السلمي وانه أنشده

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلي الله منها المشتكى والمعول

فإن لم تغيرها قريش بمثلها يكن عن قريش مستماز ومزحل (١)

---

(١) قوله يكن عن قريش الخ سبب هذين البيتين ان بنى تغلب رهط الأخطل قتلوا عمير بن الحباب السلمي فاتفق ان قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف ابن حكيم السلمى جالس عنده فأنشده

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف مغضباً يجر مطرفه فقال عبد الملك للأخطل ويحك أغضبته وأخلق

فقال له عبد الملك الى أين يا ابن اللخناء فقال الى النار فقال لو قلت غيرها قطعت لسانك ٠٠ فقوله الى النار تخلص حسن على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله الى الجنة وأول قصيدة الجعدي الذي ذكرنا منها الأبيات

خليليَّ غُضَّا ساعةً وتهجَّرا ... ولوما على ما أحدثَ الدَّهرُ أَو ذَرا

ولاَ تسألاَ إنَّ الحياةَ قصيرَةٌ ... فطيرَا لروعاتِ الحوادِثِ أَوقِرا

وإنْ كانَ أمرٌ لاَ تُطيقانِ دَفعَهُ ... فلاَ تجزَعا مماَّ قضى اللهُ واصبرَا

أَلمْ تعلَما أَنَّ المَلاَمَةَ نفعُها ... قليلٌ إذا ما الشَّيْءُ وَلَّى وأَدْبرَا

لوَى اللهُ عِلمَ الغيبِ عنْ ماسواءِهُ ... ويعلَمُ منهُ ما مَضَى وتأَخَّرا

وفيها يقول

وجاهَدتُ حتَّى ما أَحسُّ ومَنْ معي ... سهيلاً إذا ما لاَحَ ثمَّ تغوَّرا

أن يجاب عليك وعلى قومك شراً فكتب الجحاف عهداً لنفسه من عبد الملك ودعا قومه للخروج معه فلما حصل بالبشر قال لقومه قصتي كذا فقاتلوا عن أحسابكم أو موتوا فأغاروا على بني تغلب بالبشر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم قال الجحاف يجيب الأخطل

أبا مالك هل لمتني إذ حضضتني ... على الثأر أم هل لامني فيك لائمي

متى تدعني أخرى أجبك بمثلها ... وأنت امرؤٌ بالحق لست بقائم

فقدم الأخطل على عبد الملك فأنشده لقد أوقع الجحاف البيتين ٠٠ وروي من غير هذا الوجه ان عبد الملك دخل عليه الجحاف بن حكيم السلمي فقال عبد الملك أتعرف هذا يا أخطل قال ومن هو قال الجحاف فقال الأخطل ألا سائل الجحاف البيتين حتى فرغ من القصيدة وكان الجحاف يأكل رطباً فجعل النوى يتساقط من يده غيظاً فأجابه فقال

بلى سوف نبكيهم بكل مهند ... ونبكي عميرا بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترئ عليَّ بمثل هذا ولو كنت مأسوراً لك فحم الأخطل خوفاً فقال عبد الملك أنا جار لك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتني

يريد إني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معينٌ وفيها يقول

وَنحنُ أُناسٌ لاَ نُعوِّدُ خَيلَنا ... إذا ما التقينا أَنْ تَحيدَ وتَنفرا

ونُنكِرُ يَومَ الرَّوْعِ أَلوانَ خَيلِنا ... مِنَ الطَّعنِ حتى نَحسَبَ الجونَ أَحمَرا

وليسَ بمَعرُوفٍ لنا أَنْ نَرُدَّها ... صِحاحاً ولاَ مُستَنكَراً أَنْ تُعقَّرَا

أخبرنا المرزباني قال أنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيي قال أنشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي

تَلومُ علي هلكِ البَعيرِ ظَعينتي ... وكُنتُ على لوْمِ العوَاذِلِ زَارِيا

أَلَمْ تَعلَمي أَني رُزِئتُ مُحارِباً ... فما لكِ منهُ اليومَ شيئاً ولاَ لِيا

ومنْ قَبلهِ ما قدْ رُزِئتُ بوَحْوَحٍ ... وكانَ ابنَ أُمّي والخليلَ المُصافِيا

فتىً كَمُلَتْ أَخلاقُهُ غيرَ أَنَّهُ ... جَوَادٌ فما يُبقِي مِنَ المالِ بَاقِيا

منه في اليقظة فمن يجيرني منه في النوم ثم قام الجحاف ومشى يجر ثوبه وهو لا يعقل حتى دخل بيتاً من بيوت الديوان فقال للكاتب اعطني طوماراً من طوامير العهود فأتاه بطومار وليس فيه كتاب فخرج الى أصحابه من القيسية فقال ان أمير المؤمنين ولاني صدقات بكر وتغلب فلحقه زهاء ألف فارس فسار حتى أتى الرصافة ثم قال لمن معه ان الأخطل قد أسمعني ما علمتم ولست بوال فمن أحب أن يغسل عنه العار فليصحبني فاني قد آليت ان لا أغسل رأسي حتى أوقع ببني تغلب فرجعوا غير ثلاثمائة فسار ليلته فصبح الرحوب وهو ماء لبني جشم بن بكر رهط الأخطل فصادف عليه جماعة كثيرة من تغلب فقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ الأخطل وعليه عباءة وسخة فظنوه عبداً وسئل فقال أنا عبد فخلوا سبيله فخشي أن يراه من يعرفه فرمي بنفسه في جب فلم يزل فيه حتى انصرفت القيسية فنجا وقتل أبوه غوث وأسرف الجحاف في القتل وشق البطون عن الأجنة وفعل أمراً عظيما فقدم الأخطل على عبد الملك وأنشده لقد أوقع الجحاف الخ

فتيً كانَ فيهِ ما يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... علي أَنَّ فيهِ ما يَسوءُ الأَعادِيا

ويروى فتىً تمّ فيه ما يسر

أَشَمُّ طَوِيلُ السَّاعدَينِ سَمَيدَعٌ ... إذا لم يَرُحْ لِلْجدِأَصبحَ غادِيا

ـ السميدع ـ السيد •• ومما يروى له أيضاً

عُمَيلِيَّةٌ أَوْ من هلَالِ بن عامرِ ... بذِي الرِّمْثِ من وادِي المياهِ خيامُها

إِذَا ابْتَسَمَتْ في اللَّيلِ واللَّيلُ دُونَها ... أَضاءَ دُجَى اللَّيلِ البَهِيمِ ابْتِسامُها

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق بن غالب عن الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده خمار فواف بألف دينار ومطرف بدينار •• قال الأصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة فى كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب ثم أنشد له

سَمَا لكَ هَمٌّ ولمْ تَطرَبِ ... وبتَّ يبَثٍّ ولمْ تنصَبِ

وقالتْ سُلَيمي أَرَى رأْسَهُ ... كَنَاصيَةِ الفرَسِ الأَشهَبِ

وذَلكَ منْ دَفَعاتِ المَنونِ ... ففيئِي اليكِ ولاَ تَعجَبي

أَتينَ علي إِخوَةٍ سبعةٍ ... وعُدْنَ علي رُبُعِ الأَقرَبِ

ثم يقول بعدها

فأَدْخلكَ اللهُ بَرْدَ الجنا ... نِ جذْلاَنَ في مَدْخلٍ طيّبِ

فلان كلامه حتى لو ان أبا الشمقمق قال هذا كان رديًّا ضعيفاً •• قال الأصمعى وطريق الشعر اذا أدخلته في باب الخير لانَ ألا ترى الى حسان بن ثابت كان علية في الجاهلية والاسلام فلما أدخل شعره فى باب الخير من مراثي النبي عليه الصلاة والسلام وحمزة وجعفر وغيره لانَ شعره

━━✱✱✱ ✱ ✱✱✱━━

مجلس آخر ١٩

مسألة تتعلق بما ذكرناه ان سأل سائلٌ فقال كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيراً من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لاقدرة عليه ولا سبيل اليه وفيهم من ينزل من انكاره درجة فيقول انه وان كان جائزاً من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقاً للعادات وان العادات اذا وثق الدليل بانها لا تخرق إلاّ على سبيل الابانة والدلالة على صدق نبي من الأنبياء علم ان جميع ماروي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لايلتفت الى مثله • الجواب قيل له أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه من باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع علم من جواز امتداده ماعلمنا والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حيًّا وغير حيٍّ حيًّا وان شئت أن تقول هو استمرار الحي الذى لكونه على هذه الصفات ابتداء حيا وانما شرطنا الاستمرار لانه يتعذر أن يوصف من كان حاله واحدة حياً بان له عمراً بل لا بد من أن يراعوا فى ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حيّ أو يكون لكونه حياً ابتداءً لئلا يلزم عليه القديم تعالى لانه تعالى جلت عظمته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حياً وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما تحتاج اليه الحياة من البنية والمعانى ما يختص به عزوجل ولا يدخل إلاّ تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل القديم تعالى الحياة وما يحتاج اليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقاء وكذلك ما تحتاج اليه فليست تنتفى إلاّ بضد يطرأ عليها أو بضد ينفى مايحتاج اليه والأقوى انه لاضد لها فى الحقيقة وانما ادّعى قوم بانه لا يحتاج اليه ولو كان للحياة على الحقيقة لم تخل بما قصدناه في هذا الباب فمهما لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ماتحتاج اليه ولا نقض منّا ناقض بنية الحي استمر كون الحي حياً ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ماقصدناه صحيحاً لانه تعالى قادرٌ على أن يفعلها حالاً فحالاً ويوالي

بين فعلها وفعل ما تحتاج اليه فيستمر كون الحي حياً فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الانسان فليس مما لابد منه وانما أجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادرٌ على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله اذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما أُتي من أحال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حياً موجب على طبيعة وقوّة لهما مبلغ من المادة متى انتهت اليه انقطعتا واستحال أن تدوما ولو أضافوا ذلك الي فاعلٍ مختارٍ متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة ٠٠ فأما الكلام فى دخول ذلك فى العادة وخروجه عنها فلاشك فان العادة قد جرت فى الأعمار بأقدار متفاوتة تعد الزيادة عليها خارقاً للعادة إلاّ انه قد ثبت ان العادة قد تختلف فى الأوقات وفى الأماكن أيضاً ويجب أن يراعى فى العادة اضافتها الى من هي عادة له فى المكان والوقت وليس يمتنع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدريج حتى يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف وأن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات فى الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدريج ثم صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة وهذه جملة فيما أردناه كافية



باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسميها قوم المسكتة

اعلم ان أجوبة المحاورة والمناظرة انما تستحسن وتؤثر اذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور فكم من جواب أتى بعد لأيٍ وبعد تقاعس لم يكن له فى النفوس موقع ولا حلّ من القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتثاقل أعرق فى نسب الاصابة وآخذ بأطراف الحجة ولهذا قيل أحسن الناس جواباً وأحضرهم قريش ثم العرب وان الموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية ٠٠ وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدى لمعاوية بن أبى سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال أن يصيب فلا يخطئ ويسرع

فلا يبطئ ثم اختصر ذلك فقال لايخطيء ولا يبطيء .. ولطول الفكرة والاعراق في الروية مذهب وأوان لا يحمد فيها التسرع والتعجل كما لا يحمد فى أوان السرعة التثاقل والتأيد وانما تحمد السرعة في أجوبة المحاورة والمناظرة وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة التى على الانسان فيها مهلة وله فى تأملها فسحة ولا عيب عليه معها في اطالة التأمل واعادة التصفح ولهذا قال الأحنف بصفين أغبوا الرأي فان ذلك يكشف لكم عن محضه .. وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له لاخير في الرأي الفطير والكلام القضيب .. وشُووِر ابن التوام الرقاشى فأمسك عن الجواب وقال ما أحب الخبز إلاّ بائتا .. فأما قولهم ثلاث يعرفن فى الأحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل أحد فمحمول على اسراعه بالجواب عند الرأي والمشاورة والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت أو على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا إشكال فيه ثم نعود الى ما قصدناه .. روى ان بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سألته متى يعرف الانسان ربه فقال اذا عرف نفسه .. وقال له عليه الصلاة والسلام رجل إنى أكره الموت فقال ألك مال قال نعم قال قدّم مالك فان قلب كل امرء عند ماله .. وقال يهودى لأمير المؤمنين عليه السلام مادفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ماجفّت أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون .. وروى انه عليه السلام لما فرغ من دفن النبى صلى الله عليه وسلم سأل عن خبر السقيفة فقيل له إن الأنصار قالت منّا أمير ومنكم أمير فقال عليه السلام فهل لاذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وسلم تقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر فيهم والوصاة بهم .. وقال له عليه السلام ابن الكوّاء يا أمير المؤمنين كم بين السماء والأرض قال دعوة مستجابة .. وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة .. وقيل له كم بين المشرق والمغرب قال مسير يومٍ للشمس .. وأثنى عليه رجل وكان متهما فقال أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك . وكان عليه السلام اذا طراه رجل قال اللهم انك أعلم بى منه وأنا أعلم منه بنفسي فاغفر لي مالا يعلم .. أخبرنا أبو عبد الله المرزبانى قال حدثنى

عبد الواحد بن محمد الحصيني قال حدثني أبو عليّ أحمد بن اسماعيل قال حدثني أيوب ابن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الأنصار يقال له نفيع وكان عِرّيضاً قال فحضر باب الرشيد يوماً ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمارٍ له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام وأعظمه من كان هناك وعجـل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ فقال أو ما تعرفه قال لا قال هـذا شيخ آل أبي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير إمّا لئن خرج لأسوأنه فقال له عبـد العزيز لا تفعل فان هؤلاء أهل بيت قلّ ما تعرض لهـم أحد في خطاب إلاّ وسموه بالجواب سمةً يبقى عارها عليه مدى الدهر قال فخرج موسى بن جعفر عليه السلام فقام اليه نفيع الأنصاري فأخذ بلجام حماره ثم قال له من أنت قال ياهـذا ان كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضى مشركوا قومي مسلمي قومك أكفاءً لهم حتى قالوا يامحمد اخرج الينا أكفاءنا من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصـلاة علينا في الصـلواة الفرائض بقول اللهم صل على محمد وآل محمد ونحن آل محمد خل عن الحمار قال فخلى عنه ويده ترتعد وانصرف بخزي فقال له عبد العزيز ألم أقل لك •• ويقال ان معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد فقال له أنت أعلم بليله ونهاره •• وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخزيمي مدحك لمحمد بن منصور أجود من مراثيك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهـما بونٌ •• ودخل مطيع بن إياس على الهادي في حياة المهدي فقال السلام عليك ياأمير المؤمنين فقيل له مه فقال بعد أمير المؤمنين •• وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب وكان جيد الجواب حاضره فقال أنا خـير لك من أخيك فقال عقيل ان أخي آثر دينه على دنياه وانك آثرت دنياك على دينك فأخي خير لنفسه منك وأنت خير لي منه •• وقال له يوماً ان فيكم لشبقاً يا بني هاشم فقال هو منّا في الرجال ومنكم في النساء •• وقال له

يوماً وقد دخل عليه هذا عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل هذا معاوية عمته حمالة الحطب وعمة معاوية أم جميل بنت حرب بن أمية وكانت امرأة أبي لهب •• وقال له يوماً ياأبا يزيد أين ترى عمك أبا لهب فقال له عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشاً عمتك فانظر أيهما أسوأ حالاً الناكح أم المنكوح •• وقال له ليلة الهرير بصفين ياأبا يزيد أنت معنا الليلة قال ويوم بدرٍ كنت معكم •• وقيل لسعيد بن المسيب وقد كُفَّ ألا تقدح عينك قال حتى أفتحها على من •• ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يامعن قال فى طاعتك قال وانك لتتجلد قال على أعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك •• وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لأقتلنك قتلة يتحدث بها بعدك فقال مسلم أشهد انك لاتدع سوء القتلة ولؤم المقدرة لأولى بهما منك •• وقال رجل لعمرو بن العاص لأتفرغن لك قال اذاً وقعت فى الشغل •• وقال معاوية لعمرو ابن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق الى من أوصى بك أبوك فقال ان أبى أوصى اليَّ ولم يوص بى •• وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة قد أوصيت بك فلاناً فالقه بعدى فقال ياأبت اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت •• وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي أنشدني بعض قولك في الخمر فأنشده

كُميتٌ إِذَا شُجَّتْ وفي الكأسِ وَرْدَةٌ ... لها في عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبُ

فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان نعتي لها بذلك رابك لقد رابني معرفتك بها •• ولما أتى معاوية نعي الحسن بن عليّ عليهما السلام بعث الى ابن عباس وهو لايعلم الخبر فقال ماجاءك خبر من المدينة قال لا قال أتانا نعي الحسن وأظهر سروراً فقال ابن عباس اذا لاتنسأ ولا يسد حفرتك قال أحسبه قد ترك صبية صغاراً قال كلنا كان صغيراً وكبر قال وأحسبه قد بلغ سناً قال مثل مولده لايجهل قال معاوية وقال قائل انك أصبحت سيّد قومك قال أما وأبو عبد الله الحسين بن عليّ حيّ فلا فلما كان من غدٍ أتى يزيد بن معاوية ابن عباس وهو فى المسجد يعزي فجلس بين يديه جلسة المعزى وأظهر حزناً وغماً فلما انصرف اتبعه ابن عباس بصره وقال اذا ذهب آل حرب

ذهب حلم قريش •• وروى ان وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز فأراد فتى منهم الكلام فقال عمر ليتكلم أكبركم فقال الفتى ان قريشاً لترى فيها من هو أسن منك فقال له تكلم يا فتى •• روى محمد بن سلام الجمحي قال أنشد كثير عبد الملك بن مروان شعراً

عليَّ ابنِ أبي العاصي دِلَاصٌ حَصِينةٌ ... أجادَ المُسَدِّي نَسجَها فأَذالها

فقال له هلاّ قلت كما قال الأعشى،

وإِذَا تكُونُ كَتيبةٌ ملْمُومةٌ ... شَهباءُ يَخشَى الذَّائدُونَ نِهالَها

كُنتَ المُقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ ... بالسَّيفِ تَضرِبُ مُعلِماً أَبطالَها

فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم •• ويشبه ذلك ماروي عن أبي عمرو بن العلاء انه لقى ذا الرمة فقال أنشدني قصيدتك

ما بالُ عَينيكَ مِنها الدَّمعُ يَنسَكِبُ ... كأَنَّهُ مِنْ كُلى مفرِيَّةٍ سَرَبُ

فأنشده إياها فلما بلغ الى قوله

تُصغِي إِذَا شدَّها بالكُورِ جانِحَةً ... حتَّى إِذَا ما استَوَى في غرْزِها تثِبُ

فقال له عمرو بن العلاء قول الراعي أحسن مما قلت

ترَاها إِذَا قامَ في غرْزِها ... كَمِثْلِ السَّفِينةِ أَوْ أَوْقرُ

ولاَ تُعجِلُ المرْءَ عِندَ النُّزُو ... لِ وهْىَ بِرُكبَتِهِ أَبصَرُ

فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وأنا وصفت ناقة سوقة •• وحكي الصولي انه سمع ذا الرمة ينشد بيته الذى حكيناه فقال سقط والله الرجل فأما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو نسع مضفور ••وقوله ــ تصغي ــ يريد تميل رأسها كأنها تسمع ليست بنفور بل مؤدبة مقومة ــ والكور ــ الرحل •• وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة فى مدحه للخصيب بن عبد الحميد

فَكَأَنَّهَا مُصْغٍ لِتُسمِعَهُ   بَعضَ الحَدِيثِ بِإِذْنِهِ وَقْرُ

فلم يرض بان وصفها بالاصغاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل فى الأُذن لان الثقيل السمع يكون اصغاؤه وميله الى جهة الحديث أشد واكثر .. [قال المرتضي] رضى الله عنه وانى لأستحسن القصيدة التى من جملتها البيت الذى أوردناه لأبي نواس لانها دون العشرين بيتاً وقد نسب في أولها ثم وصف الناقة بأحسن وصف ثم مدح الرجل الذى قصد مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورونق يترقرق وسهولة مع جزالة والقصيدة

يا مِنَّةً أُمْتِنُّهَا السُّكْرُ   ما يَنقَضي مِنّي لها الشُّكْرُ

أَعطتْكَ فوقَ مُناكَ من قِبَلٍ   قدْ كُنَّ قَبلَ مَرامِها وَعْرُ

يَثْنِي اليكَ بِهِا سَوالِفَهُ   رَشأٌ صِناعةُ عَينِهِ السِّحْرُ

ظلَّتْ حُمَيَّا الكأْسِ تَنْشُطُنا   حتّى تَهَتَّكَ بيْننا السِّتْرُ

في مَجلسٍ ضَحِكَ السُّرُورُ بهِ   عَنْ ناجِذَيهِ وحَلَّتِ الخَمْرُ

.. أما قوله ـ حلت الخمر ـ فيحتمل أن يريد به ان ماوصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور المأمول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر وملجئاً الى تناولها ورافعاً للحرج فيها على مذهب الشعراء فى المبالغة ويكون فائدة وصفها بانها حلت المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب .. ويحتمل أن يكون عقد على نفسه وآلى ألاّ يتناول الخمر إلاّ بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه مخرجاً عن يمينه على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم الى أن يأخذوا بثأرهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفرى

حَلَّتِ الخَمْرُ وكانت حَرَاماً   وبِلأْيٍ ما أَلَمَّتْ تَحِلُّ (١)

---

(١) نسبة القصيدة التى منها هذا البيت الى الشنفرى وانه رثى بها خاله تأبط شراً غير صحيحة لأن الشنفرى مات قبل تأبط شراً ورثاه تأبط شراً بأبيات مشهورة وممن رواها أبو الفرج الأصبهانى وابن الانبارى وأولها

٠٠ ويحتمل ان يريد بحلت نزلت وأقامت من الحلول الذى هو المقام لا من الحلال فكأنه وصف بلوغ جميع آرابه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التى فيها جميع اللذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه أحدٌ ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالقول يحتمله ولا مانع من أن يكون مراداً وقد قيل انه أراد استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التى كنا نمتنع لها من الحرام والوجوه المقدمة أشبه وأقرب الى الصواب والله أعلم

ولقدْ تجوبُ بيَ الفَلاةَ إِذَا ... صامَ النَّهارُ وقالتِ العفْرُ

أراد ـ بصام ـ وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول ـ والعفر ـ الظباء اللواتى فى ألوانها حمرة يخالطها كدرة ـ وقالت ـ من القائلة وهي وقت نصف النهار لا من القول

شَدَنيَّةٌ رَعتِ الْحِمافاً تتْ ... ملءَ الحبالِ كأنَّها قَصْرُ

ـ الشدنية ـ من الابل منسوبة الى شدن موضع باليمن يقال لملكه ذو شدن

تَثْني على الْحاذَيْنِ ذا خُصَلٍ ... تَعْمالُهُ الشَّذْرانُ والْخطْرُ

ـ الحاذ ـ مؤخر الفخذ ـ والشذران ـ رفع الناقة ذنبها من المرح ـ والخطران ـ معروف من خطر يخطر ـ وتعماله ـ أى عمله

أَمَّا إِذَا رَفعتْهُ شامِذَةً ... فتقولُ رَنَّقَ فوْقها نسْرُ

يعنى ـ بشامذة ـ أى مبالغة في رفع ذنبها ويقال ـ رنق ـ الطائر اذا نشر جناحيه طائراً من غير تحريك

أَمَّا إِذَا وَضعتْهُ خافِضةً ... فتقولُ أُرْخيَ دُونَها سِتْرُ

وتَسِفُّ احْياناً فتَحسبُها ... مُتَرَسِّماً يَقْتادُهُ إِثْرُ

معنى ـ تسف ـ أى تدني رأسها من الأرض ـ والمترسم ـ متتبع الرسم ومتأمله ومعنى ـ يقتاده ـ أى هو معنيٌّ بطلب الأثر موكل بتتبعه ٠٠ ويقال أثر وأُثر وإثْر ثلاث لغات

على الشنفرى صوب الغمام ورائح ... غزير الكلي وصيّب الماء باكر

ولأن تأبط شراً ليس بخال للشنفرى

وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لأنه قال ان أبا نواس جمع الأثر آثاراً ثم جمع الآثار أثراً ثم خفف فقال إثر وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما أوردناه وانما ذهب عليه أنه يقال فى الأثر إثر

فإذا قصرتَ لها الزمامَ سما ... فوقَ المقادمِ ملطمٌ حرُّ

فكأنها مصغٍ لتسمعهُ ... بعضَ الحديثِ بأذنهِ وقرُ

تبري لأنقاضٍ أضرَّ بها ... جذبُ البُرى فخدودُها صفرُ

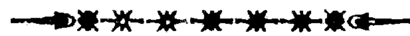
معنى ــ تبرى ــ تنبرى أى تعرض لهذه الانقاض ــ والانقاض ــ جمع نقض وهو البعير الذى قد أهزله السفر والكد ــ والبرى ــ جمع برة وهي الحلقة التى تكون فى أنف البعير يذلل فيها

يرمي اليكَ بها بنو أملٍ ... عتبوا فأعتبهمْ بكَ الدهرُ

أنتَ الخصيبُ وهذهِ مصرُ ... فتدفقا فكلاكما بحرُ

لا تقعدا بي عن مدى أملي ... شيئاً فما لكما بهِ عذرُ

ويحقُّ لي إذ صرتُ بينكما ... أنْ لا يحلَّ بساحتي فقرُ



مجلس آخر ٢٠

ثم نعود الى ما كنا آخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات ٠٠ روى أن رجلا نظر الى كثير الشاعر وهو راكب وأبو جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام يمشي فقيل له أتركب وأبو جعفر يمشي فقال هو أمرني بذلك وأنا بطاعته فى الركوب أفضل منى في عصياني إياه بالمشي ٠٠ وروى ان دعاة خراسان صاروا الى أبى عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا له أردنا ولد محمد بن علىّ فقال أولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا لو

أراد الله بنا خيراً كنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله أردت الخروج علينا فقال نحن ندل عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم .. وقال عبد الملك بن مروان لنصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشعر مفلفل واللون مرمد وانما قربني اليك عقلي فهبه لي .. وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولّي منهزماً كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لأسوءنك فقال وددت انك تقدر على ذلك .. وقال يحيي بن خالد لشريك علمنا مما علمك الله يا أبا عبد الله فقال له شريك اذا علمتم بما تعلمون علمنا كم ما تجهلون .. وقال المأمون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل .. وقيل لأبي دؤاد الايادي ونظر الى بنته تسوس فرسه أهنتها يا أبا دؤاد فقال أهنتها بكرامتي كما أكرمتها بهواني .. ومثل ذلك قول اعرابي لحقه ذلٌّ على باب السلطان

أُهينُ لهُمْ نَفْسي لأُكرِمَها بِهِمْ ولَنْ تُكرِمَ النَّفْسَ الَّتي لاتُهينُها

ودخل عُمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه فقام رجلٌ فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك فقال عمارة غصبني ضيعتي فقال المنصور قم ياعمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخصم فقال له كيف قال ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة .. وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سلني حاجتك فقال لا أسأل في بيت الله غير الله .. وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول ﴿ قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلاّ قليلا ﴾ فقال ذلك القليل نطلب .. وقيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة تراباً وماءً فاستحال دوداً وهواماً وقال لأصحابه إني خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقل له كم هو وكم الذكران منه والأناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحدة منهن وليأمر التي تسعى الى هذا الوجه أن ترجع الى غيره فانطلق وهرب .. وقال المأمون للفضل بن سهل إني أخاف عليك أقواماً يعادونك فلا تركب اليّ إلاّ في جيش فقال الفضل ما أخاف غيرك فان أمنتني

من نفسك لم يضربني انسان ٠٠ وقيل لأبي ثور ماتقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد ابن سلمة بن دينار فقال بينهما في العلم كقيمة ما بين أبويهما من الصرف ٠٠ وأراد المأمون تقبيل السواد وجلس يناظر العمال على ذلك فقام اليه رجل من الدهاقين فقال يا أمير المؤمنين ان الله ولاك علينا بالأمانة فلا تقبلنا فأضرب عن ذلك ٠٠ وقال رجل لابن عباس زوجني فلانة وكانت يتيمة في حجره فقال لا أرضاها لك لأنها تتشرف فقال الرجل قد رضيت أنا فقال ابن عباس الآن لا أرضاك لها ٠٠ ويشبه هذا الخبر من وجه ما رواه المدائني قال أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المزني وبين القاسم بن ربيعة الجوشني من بني عبد الله ابن غطفان فيولي القضاء أنفذهما فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال إياس للشامي أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين فمن أشارا عليك بتوليته فوله وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن إياس يأتيهما فعلم القاسم انه ان سألهما أشارا به فقال للشامي لا تسأل عني ولا عنه فوالذي لا إله إلا هو ان إياساً أفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق انه لينبغي لك أن تقبل مني وان كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب فقال إياس للشامي انك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار أن تقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي أما اذ فطنت لهذا فاني أوليك فاستقضاه [1] ٠٠ ولما أمضى معاوية بيعة ولده يزيد جعل الناس يقرظونه فقال يزيد لأبيه ما ندري

---

(١) قوله فاستقضاه وفي غير الأصل بعدان استقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكى إياس وقال يا أبا سعيد بلغني ان القضاة ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قضى الله تعالى في النبي داود ما يرد قول مولاي ثم قرأ قوله تعالى (ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) فحمد سليمان ولم يذم داود

أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال يا بني من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته ●● وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصّار يقول ياليتني كنت غسالاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ●● وقال الواثق للجاحظ يامانويّ فقال لو كان الذي أضفتني اليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه فكيف أكون على دينه ●● وقال ابن عباس للخوارج وقد أرسله أمير المؤمنين اليهم نشدتكم الله أيما أعلم بالتأويل والتنزيل عليّ أم أنتم فقالوا عليّ فقال أليس تدرون لعل الذي حكم به فيكم بفضل علمه على ما لا تعلمون فرجع أكثرهم ●● وقال عتيبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس ما منع عليّ بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين فقال أما والله لو بعثني لاعترضت مدارج أنفاسه أطير اذا أسفّ (١) وأسف اذا طار ولعقدت له عقداً لا تنتقض مريرته ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدرٌ ومضى أجل والآخرة خير لأمير المؤمنين من الدنيا ●● وقال أبو جعفر محمد بن عليّ عليه السلام لكثيِّر امتدحت عبد الملك بن مروان فقال له لم أقل له يا امام الهدى انما قلت يا شجاع وشجاع حية ويا أسد والأسد كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم أبو جعفر عليه السلام ●● وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رأيت ألأم من أصحابك اذا أيسرت لزموك واذا أعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منّا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف منّا عنهم ●● وقيل لابراهيم النخعي متى جئت قال حيث احتيج اليَّ ●● ورؤي رجل يصلي صلاة خفيفة فقال له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها رياء ●● وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاثٍ لم ير مثله والآت لم يسمع بمثلها فأراد أن يرى الناس عظم ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدارٍ ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلالم واذا الحصين بن المنذر بن الحارث

---

(١) قوله أطير اذ أسفّ يقال أسف الطائر اذا دنا من الأرض في طيرانه وقيل طار على الأرض دانياً منها حتى كادت رجلاه يصلانها

ابن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحصين شيخ كبير فلما رآه عبدالله بن مسلم أخو قتيبة قال لقتيبة أتأذن لي في معاتبته قال لا ترده فانه خبيث الجواب فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسوّر حائطاً الى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحصين وقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان فقال أجل أسن عمك عن تسوّر الحيطان قال رأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان فقال له يا أبا ساسان أتعرف الذى يقول

عَزَلْنا وأَمَّرْنا وبَكْرُ بنُ وائلٍ تَجُرُّ خِصاها تبتَغي مَنْ تُحالِفُ

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبةُ مَنْ يَخيبُ على غَنيٍّ وباهِلَةَ بنَ يَعصُرَ والرِّبابِ

قال أفتعرف الذي يقول

كأَنَّ فِقاحَ الأَزْدِ حولَ ابنِ مَسمعٍ وقدْ عَرِقتْ أفواهُ بَكرِ بنِ وائلِ

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

فَقومٌ قُتَيبةُ أُمُّهمْ وأَبوهُمُ لوْلا قتيبةُ أصبحوا في مَجهَلِ

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيئاً قال نعم أقرأ منه الكثير الطيب ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ فأغضبه فقال والله لقد بلغنى ان امرأة الحصين حملت وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ من هيئته الأولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاماً على فراشي فيقال ابن الحصين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك ٠٠ ولقي شريك النمرى رجلا من بني تميم فقال له التميمي يعجبنى من الجوارح البازى فقال له شريك وخاصة اذا صاد القطا أراد التميمى بقول البازى قول جرير

أنا البازِي المُطِلُّ على نُميرٍ أُتيحَ منَ السَّماءِ لهُ انْصِبابا

وأراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماح

تَمِيمٌ بِطُرْقِ ٱللُّؤْمِ أَهدَى مِنَ القَطا ولوْسَلَكتْ سُبْلَ المَكارِمِ ضَلَّتِ

•• وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما أردت ذاك قال شريك ولا أنا أردته ظن •• شريك ان عمر أراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير

فغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُميرٍ فلاَ كَعباً بلَغتَ ولاَ كِلاَبا [1]

وعنى شريك بقوله مكتوبة قوله

لاَ تأْمَنَنَّ فزارِياً خلَوْتَ بهِ علي قَلوصِكَ واْكتُبْها بأَسْيارِ [2]

يعني ـ باكتبها ـ شدها •• وأنشد أبو تمام الطائي أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التى يمدحه فيها فلما بلغ الي قوله

في حِلمِ أَحنفَ في شَجاعةِ عامرٍ في جودِ حاتِمٍ في ذَكاءِ إِياسِ [3]

فقال له الكندى وكان حاضراً ما صنعت شيئاً قال وكيف قال لأن شعراء دهرنا قد

---

(١) وهو من قصيدة مشهورة لجرير بن عطية الخطفى يهجو بها الراعي النميرى وقومه ويقال لهذه القصيدة الفاضحة والدامغة •• ومرت امرأة ببعض مجالس بنى نمير فأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بني نمير ماقبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر * فغض الطرف إنك من نمير * الخ

(٢) قوله اكتبها باسيار أى شد حيائها أي اختمه باسيار جمع سير وذلك لأن بني فزارة يرمون بغشيان الابل

(٣) الرواية المعروفة

اقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

ـ عمرو ـ يعنى به عمرو بن معديكرب ـ وإياس ـ يعني به إياس بن معاوية قاضياً كان بالبصرة يوصف بالذكاء وكان من قوم يظنون الشيء فيكون كما يظنون حتى شهر أمرهم فى ذلك

تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الي قول أبي العكوك فى أبي دلف

رَجُلٌ أبَرَّ على شجاعةِ عامرٍ   بأساً وغيَّرَ في مُحَيَّا حاتمِ

فأطرق الطائي ثم رفع رأسه وأنشد

لاَ تُنكِرُوا ضَرْبي لهُ مَنْ دُونَهُ   مَثلاً شَرُودًا في النَّدَى والباسِ[1]

فاللهُ قدْ ضَرَبَ الأقلَّ لِنُورِهِ   مَثلاً مِنَ المِشكاةِ والنِّبْرَاسِ

(١) قوله لاتنكروا الى آخر البيتين أى لاتنكروا قولي اقدامه كاقدام عمرو وذكاؤه كذكاء إياس وهو أذكى منه لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منه اذا كان المشبه به من أبلغ مايعرفه الناس ضوءً فقال مثل نوره كمشكاة وهي الكوة ليست بنافذة وأصحاب التفسير يزعمون ان أصلها حبشي وأما لفظها فيدل على انها عربية من شكوت والنبراس المصباح ويقال انه ليس بعربي .. وكان أبوتمام أنشد أحمد بن المعتصم هذه القصيدة وليس فيها البيتان أعني قوله لاتنكروا والبيت الذى بعده فقال يعقوب ابن اسحاق الكندى وكان يخدم أحمد الأمير أكبر من كل شئ ممن شبهته به فعمل هذه البيتين وزادهما فى القصيدة من وقته فعجب أحمد وجميع من حضر من فطنته وذكائه وأضعف جائزته .. وروى انه لما مدح الخليفة بهذه القصيدة قال له الوزير أتشبه أمير المؤمنين باجلاف العرب فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد البيتين فقال الوزير للخليفة أى شئ طلبه فاعطه فانه لايعيش أكثر من أربعين يوماً لأنه قد ظهر فى عينيه الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهي قال أريد الموصل فاعطاه إياها فتوجه اليها وبقي هذه المدة ومات وهذه القصة لا صحة لها أصلاً وروى من غير هذا الوجه ان أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التى منها

ديمة سمحة القياد سكوب   مستغيث بها الثرى المكروب

لو سعت بقعة لاعظام أخرى   لسعي نحوها المكان الجديب

٠٠وقال ابن هبيرة لأبي دلامة وكان مولىً لبني أمية لما ظهرت المسوّدة لأتخذن لك منهم عبداً صالحاً يخدمك فلما علت كلمتهم وفشت دعوتهم قال أبو دلامة ليت الله قيض لي منهم مولىً صالحاً أخدمه ٠٠ وقال يحيي بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة سوى حقد فيك فقال أنا خزانة تحفظ الخير والشر ٠٠وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى في قوله

وما الحقدُ إلاّ توأمُ الشُّكرِ في الفتى ... وبعضُ السجايا ينتسبنَ إلى بعضِ
فحيثُ ترى حقدًا علي ذي أساءةٍ ... فثمّ ترى شُكرًا علي حسنِ القرضِ
إذا الأرضُ أدّتْ رُبعَ ما أنتَ زارِعٌ ... منَ البذرِ فيها فهيَ ناهيكَ من أرضِ

٠٠وقال الحجاج للحطيط الخارجي ماتقول في عبد الملك بن مروان قال ما أقول في رجل أنت خطيئة من خطاياه قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حال بيننا بَينٌ وقدر وقد أعطيت الله عهداً ان سألتني لأصدقنك ولأن خليت عني لأطلبنك ولأن عذبتني لأصبرن لك فأمر بقتله ٠٠ أما ــ البين ــ فهي الأرض الواسعة ٠٠ قال ابن مقبل

بسرْوِ حميرَ أبوالُ البغالِ بها ... أنّى تسدّيتَ وهْناً ذلكَ البينا(١)

قال له ابن الزيات يا أبا تمام انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك مايزيد حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما يدخر لك شئ من جزيل المكافأة إلاّ ويقصر عن شعرك في الموازاة وكان بحضرته فيلسوف فقال له ان هذا الفتي يموت شاباً فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ماعلمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده وكذا كان لأنه مات وقد نيّف على ثلاثين سنة

(١) قوله ــ بسرو حمير ــ قال الصاغاني والرواية من سرو حمير لاغير ــ وتسديت ــ بفتح التاء على ارادة الخيال ويروى بكسرها وكسر كاف ذلك على ارادة ليلى صاحبة الخيال المذكورة في البيت قبله وهو

لم تسر ليلى ولم تطرق لحاجتها ... من اهل ريمان إلاّ حاجة فينا

•• وقيل لأبي العتاهية لما قال

عُتْبُ ما لِلخَيالِ   حينَ بَيْني ومالِيَ

خرجت من العروض فقال أنا أكبر من العروض •• وقال عبد الملك بن مروان للهيثم ابن الأسود ما مالك قال قوامٌ من العيش وغنًى عن الناس فقيل له لِمَ لَمْ تخبر به فقال ان كان كثيراً حسدني وان كان قليلاً ازدراني •• واغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه فطلع الرجل على هيئة ذلك فقال له رجل من أصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة فقال له الأعمش قل له أنت حتى تكون نميمة •• وقال معاوية لعمرو بن العاص هل غششتني مذ نصحتني قال لا قال بلى يوم أشرت عليّ بمبارزة عليّ وأنت تعلم من هو قال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين إمّا أن قتلته فنلت قتال الأقران وازددت شرفاً الى شرفك وخلوت بملكك وإمّا أن قتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين قال معاوية لهذه أشد عليّ من الأولى فقال عمرو فكنت في جهادك من شك فتتوب منه الساعة قال دعني منك الآن •• وقيل للأحنف بن قيس وقد رأى مسيلمة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبئ حاذق •• وروى المبرّد قال قال زياد لأبي الأسود الدؤلي لولا انك قد كبرت لاستعنّا بك في بعض أمورنا قال ان كنت تريدني للصراع فليس عندي وان كنت تريد رأيي وعقلي فهما أوفر ما كانا •• وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح البادرة •• وروي عن الشعبي انه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه دخل على معاوية بالنخيلة فقال له معاوية أكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعاً قال كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم وألفاً من الأنصار وأبنائهم ثم أقول يامعشر من حضر أرجلٌ من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء فلعنه معاوية وقال الحمد لله الذي كفاناك •• وقد روى ان أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة وقال لأمير المؤمنين في وقت الحكمين يا أمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فاني قد عجمت الرجل وبلوته فحلبتُ أشطُرَهُ فوجدته قريب القعر مع انه يمانٍ وما أدرى ما يبلغ نصحه فابعثني فانه لا يحل عقدة إلاّ عقدت له أشد منها وانهم قد رموك بحجر الأرض فان

قيل انه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم إلاّ من تعرف وكان في الخلاف عليهم كالنجم فأبى عليه السلام •• وروى محمد بن يزيد النحوي ان أبا الاسود كان شيعياً وكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرةً فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني •• وقال لهم يوماً يا بني قشير ما في العرب أحب اليّ طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لأنكم اذا ركبتم أمراً علمت انه غيّ فاجتنبه واذا اجتنبتم أمراً علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فأنشأ يقول

يَقُولُ الأَرْذَلُونَ بَنو قُشَيرٍ طَوَالَ الدَّهرِ لاَ تَنْسَى عليًّا

أُحِبُّ مُحَمَّدًا حبًّا شَدِيدًا وعبَّاساً وحَمزَةَ والوَصيَّا

أُحِبُّهُمْ لِحُبِّ اللهِ حتَّى أَجيَّ إِذَا بُعِثتُ على هَوِيَّا

فإِنْ يَكُ حبُّهمْ رُشْدًا أُصِبْهُ ولَستُ بِمُخْطِيءٍ إِنْ كانَ غيًّا

فقالوا أشككت يا أبا الأسود فقال ألم تسمعوا الله تعالى يقول ﴿ وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ أفترون الله شك •• أما قوله ـ هويًّا ـ فانه لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور [1] مثل التقى والهوى والعصى •• قال أبو ذؤيب الهذلي

سَبَقُوا هَوِيَّ وأَعنَقوا لِسَبيلِهِمْ فَتُخُرِّموا ولِكُلِّ جَنبٍ مَصْرَعُ

•• وروى ان أبا الأسود دخل على معاوية فقال له أصبحت جميلا يا أبا الأسود فلو علقت تميمة تدفع العين عنك فقال أبو الأسود

---

(١) قوله يقولون ذلك في كل مقصور وأما غيرهم فيبقى الفتحة لتدل على ألف المقصور كمصطفى بفتح الفاء جمع مصطفى بالقصر وأما مصطفى بكسر الفاء فانه جمع مصطف بالنقص وتسلم ألف التثنية من القلب ياء اتفاقاً كمسلماي إذ لا موجب لقلبها وقول أبي الأسود هوي أصله هواي فقلبت الألف ياء وأدغمها في ياء المتكلم ولا يختص قلب ألف المقصور ياء بلغة هذيل بل حكاها عيسي بن عمر عن قريش وحكاها الواحدي في البسيط عن طيء

أَفنى الشَّبابَ الَّذِي فارَقتُ بَهجَتَهُ ... كَرُّ الجَدِيدَينِ من آتٍ ومُنطَلِقِ

لمْ يَترُكا لي فِي طُولِ اختِلافِهِما ... شيئاً أخافُ عليهِ لذغةَ الحَدَقِ

٠٠وروى انه دخل يوماً السوق يشترى ثوباً فقال له رجل هامّ أقاربك فى هذا الثوب فقال ان لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هو قال انما أُعطيت به كذا كذا قال انما تخبرنى عمّا فاتك ٠٠ وروى انه كان ماشياً فى طريق فقال له راكبٌ الطريق الطريق فقال له عن الطريق تعدلني ٠٠ومرض أبو الأسود فقيل هو أمر الله فقال ذاك أشدله ٠٠ وقيل ان امرأة أبي الأسود خاصمته الى زياد فى ولدها فقالت أيها الأمير ان هـذا يريد أن يغلبنى على ولدي وقد كان بطنى له وعاء وثدي له سقاء وحجرى له فناء فقال أبو الأسود بهذا تريدين أن تغلبينى على ابني فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه فقالت ولا سوأ إنك حملته خفيفاً وحملتهُ ثقيلا ووضعته شهوة ووضعتهُ كرهاً فقال له زياد انها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع ابنها اليها فاخلق أن تحسن أدبه ٠٠ وقال رجل لأبي الأسود أنت والله ظرفُ لفظ وظرفُ علمٍ ووعاء حلمٍ غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه ٠٠ وسلّم عليه اعرابي يوماً فقال أبو الأسود كلمة مقولة فقال له أأأذن في الدخول قال وراءك أوسع لك قال فهل عندك شيءٌ قال نعم قال اطعمنى قال عيالي أحق منك قال ما رأيت ألأم منك قال نسيت نفسك ٠٠ وسأله رجل شيئاً فمنعه قال ما أصبحت حاتمياً فقال بلى قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري أليس حاتم الذى يقول

أماوِيَّ إمَّا مانِعٌ فمُبَيِّنٌ ... وإِمَّا عَطاءٌ لاَيُنَهنِهُهُ الزَّجرُ (١)

---

(٢) قلت ولهذا البيت حكاية عجيبة وقعت بين الأصمعي وأحد ولد حاتم ٠٠ قال الأصمعي دفعت الى رجل من ولد حاتم بن عبد الله فسألته القرى فقال القرى والله كثير ولكن لا سبيل اليه فقلت ما أحسب عندك شيئاً فأمر بالجفان فأخرجت مكرمة بالثريد عليهاوذَرُ اللحم واذا هو جاد في المنع فقلت والله ما أشبهت أباك حيث يقول

وأبرز قدرى بالفناء قليلها ... يرى غير مضنون به وكثيرها

مجلس آخر ٢١

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال لما وُلي سليمان بن عبد الملك أُتي بيزيد بن أبي مسلم مولي الحجاج في جامعة وكان رجلا دميما تقتحمه العين فلما رآه سليمان قال لعن الله امرأً أجرّك رسنك وولى مثلك فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر عنّي مدبر ولو رأيتني والأمر عليّ مقبل لاستعظمت ما استصغرت ولاستجللت ما استحقرت فقال له سليمان أين ترى الحجاج أيهوى في النار أم قد استقر فقال يا أمير المؤمنين لا تقل كذا ان الحجاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فانه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك الوليد فضعه حيث شئت •• وروى ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له العبدري من أنت فقال أنا خالد ابن صفوان بن الأهتم فقال له العبدري أنت خالد كمن هو خالد في النار وأنت ابن صفوان وقال الله تعالي (كمثل صفوان عليه تراب) وأنت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار أتتكلم وقد هشمتك هاشم وأمّتك بنو أمية وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فأنت عبد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدري محموماً •• وتقدم الأشعث بن قيس الى شريح فقال له الأشعث تعلمني بك يا ابن أم شريح لقد عهدتك وان شأنك لشوين فقال له شريح أنت امرؤ تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك •• وروى أبو العيناء عن العتبي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال

اليكَ فَرَرْتُ مِنكَ ومِنْ زِيادٍ ... ولمْ أَحسبْ دَمي لكُما حَلالاَ

فقال إلا أشبهه في ذلك فقد أشبهته في قوله

اماوي إمّا مانع فبيين ... وإمّا عطاء لا ينهنهه الزجر

فأنا والله مانع مبين فرحلت عنه

فإنْ يكُنِ الهجاءُ أحلَّ قتْلي   فقدْ قلْنا لِشانئكُمْ وقالاَ
ترَى الغرَّ الجحاجحَ من قُريْشٍ   إذا ما الأمرُ في الحدَثان غالاَ
قياماً ينظرُونَ إلي سعيدٍ   كأنَّهُمْ يرَوْنَ بهِ هلالاَ

فقال له الحطيئة هذا والله أيها الأمير الشعر لاما نعلل به منذ اليوم يا غلام قدمت أمك الحجاز فقال لا ولكن قدمه أبي .. أراد الحطيئة بقوله قدمته أمك فقد وقعت بها وكنت مني وأراد الفرزدق بقوله ولكن قدمه أبي أي وقع بأمك فكنت أنت منه .. ويشبه ذلك ماروى ان الفرزدق كان ينشد شعره يوماً والناس حوله إذ مر به الكميت بن زيد الأسدى فقال له الفرزدق كيف ترى شعري قال حسنٌ بسَنٌ فقال له الفرزدق أيسرك إني أبوك قال أما أبي فلا أريد به بدلا ولكن يسرني أن لو كنت أمي فقال الفرزدق اكتم هذه على عمك يابن أخي فما مر بى مثلها .. وقيل ان عبد الملك بن مروان ظفر برجل من بنى مخزوم زبيري الرأي فقال له لما حضر مجلسه أليس قد ردك الله على عقبيك فقال الرجل أو من رُد اليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبيه فوجم عبد الملك .. وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك يا أبا عبد الله عزلوك عن القضاء وما رأينا قاضياً عزل فقال شريك هم الملوك يخلعون ويعزلون فعرض بان أباه خُلعَ من ولاية العهد .. وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى ان المفضل الضبي الراوية وهب لبعض جيرانه أيام الأضحى أضحية فلما لقيه قال كيف وجدت أضحيتك قال ماوجدت لها دماً يعرض بقول الشاعر

ولوْ ذُبحَ الضبيّ بالسيفِ لمْ تجدْ   منَ اللؤْمِ للضبيِّ لحماً ولاَ دَما

.. وروى عن المأمون انه قال ما أعياني جواب أحد قط مثل جواب ثلاثة . أحدهم أم الفضل بن سهل فإني عزيتها عن ابنها وقلت لئن جزعت على الفضل لأنه ولدك فهاأنا ذا ابنك مكانه فقالت وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لى ولداً .. والثانى رجل حضرته يزعم انه نبي الله موسى فقلت له ان الله تعالى أخبرنا عن موسى انه يدخل يده في جيبه ويخرجها بيضاء من غير سوء فقال له متى فعل ذلك أليس بعد ان لقي فرعون

فاعمل كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى • والثالث ان جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا الىّ يشكون عاملها فقلت ارضوا بواحد أسمع منه فرضوا برجل منهم فقال فى العامل وأكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت يا أمير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين رعيتك في العدل فصرفته عنهم •• ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائى على معاوية فقال له معاوية ما فعل الطرفات يعنى طريفاً وطرافاً وطرفة قال قتلوا مع علىّ بن أبى طالب فقال ما أنصفك ابن أبى طالب قدم بنيك وأخر بنيه فقال عدي بل ما أنصفته أنا أن قُتل وبقيت •• وكتب رجل الى صديق له يقترض منه شيئاً فأجابه يشكو ضيق حاله فكتب اليه إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً وان كنت معذوراً فجعلك الله ملوماً وان كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً •• وسمع الأحنف رجلا يقول ما أحلم معاوية فقال لو كان حليما ما سفّه الحق •• ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل أغمد سيفه وفى قلبه على أحد شئ •• وقال زياد لرجل حضره أين منزلك فقال وسط البصرة قال فما لك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره فى أقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل دارى بين أهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لى عشر بنين فقدمت تسعة منهم فهم لى وبقى واحد لا أدرى أهو لى أم أنا له •• وقال رجل لابن سيرين إني وقعت فيك فاجعلنى فى حلٍّ فقال ما أحب ان أحلك مما حرم الله عليك •• وخطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فأمر به فحبس فجاءه أهله وشهدوا انه مجنون فقال ان أقر بالجنون أطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا أقول ان الله ابتلانى وقد عافانى •• وحدث الحسن البصرى بحديث فقال رجل يا أبا سعيد عمن فقال وما تصنع بعمن أما أنت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته •• وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه يماكس فى درهم فقيل له تماكس في درهم وأنت تجود بما تجود به فقال ذاك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به ••وروى ان أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامي حدّث بعض الزبيريين بفضائل أهله فقال له

الزبيري أتجلب التمر الى هجر فقال له أبو العيناء نعم اذا أجدبت أرضها وعام نخلها •• وكان أبو العيناء من أحضر الناس جواباً وأجودهم بديهة وأملحهم نادرة ••وحكى عن أبي العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي وقال لي يا محمد بلغني ان فيك شرًّا فقلت يا أمير المؤمنين إن يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكّى الله تعالى وذم فقال في التزكية (نعم العبدُ إنه أوَّاب) وقال فى الذم (همّازٍ مشّاء بنميمٍ منّاعٍ للخير معتدٍ أثيمٍ عتلٍّ بعد ذلك زنيمٍ) فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر

إِذَا أَنا بالمَعْرُوفِ لمْ أُثْنِ دَائباً ... ولمْ أَذْمُمِ الجِبْسَ اللَّئيمَ المُذَمَّما

فَفيمَ عَرَفتُ الخيْرَ والشَّرَّ باسمِهِ ... وشقَّ ليَ اللهُ المَسامِعَ والفَما

وان كان الشر كفعل العقرب تلسع النبي والذمي بطبع لا يتميز فقد صان الله تعالى عبدك عن ذلك •• وروى انه قال له يوماً إنّي لأفرَق من لسانك فقال له ان الشريف فروقة ذو إحجام وان اللئيم ذو إمنة وإقدام •• وقال له يوماً وقد دخل عليه اشتقتك والله يا أبا العيناء فقال له ياسيدى انما يشتد الشوق على العبد لأنه لايصل الى مولاه فأما السيد فمتى أراد عبده دعاه •• وروى انه قال له يوماً مابقى أحد فى مجلسي إلا اغتابك وذمك عنده ماجرى ذكرك غيري فقال أبو العيناء

إِذا رَضيتْ عنّي كِرامُ عَشيرَتي ... فلاَ زَالَ غَضباناً عليَّ لِئامُها

••وذكر أبو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رأيت الناس بنو دورهم في الدنيا وأمير المؤمنين جعل الدنيا فى داره •• وقال أبو العيناء قال لي المتوكل من أسخى من رأيت ومن أبخل من رأيت فقلت مارأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد ولا أبخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال أجئت الى من أطرحته فسخيته والى من أمسكته فبخلته فقلت ياأمير المؤمنين ان الصدق ماهو في موضع من المواضع أنفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا نسب الناس

السخاء الى البرامكة فانما ذلك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد واذا نسبوا الحسن بن سهل وأخاه الفضل الى السخاء فانما ذلك سخاء أمير المؤمنين المأمون واذا نسبوا أحمد بن أبي دؤاد الى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخاء فانما هو سخاؤك فما بال هؤلاء القوم لاينسبون الى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء قال لي صدقت وسرّي عنه •• وقال له المتوكل ما أشد عليك من ذهاب البصر فقال له فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك •• وقال له يوماً أريدك لمجالستي قال لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلا بمالي فى هذا المجلس من الشرف ولكن أنا رجل محجوبٌ والمحجوب تختلف اشاراته ويخفى عليه إيماؤه ويجوز على أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فقال صدقت •• وروى انه قال له لولا إنك ضريرٌ لنادمتك فقال ان أعفيتنى من رؤية الأهلة وقراءة نقش الخاتم فإنى أصلح •• وقال له المتوكل ماتقول فى ابن مكرم والعباس ابن رستم فقال هما الخمر والميسر وإثمهما أكبر من نفعهما قال بلغنى إنك تودهما فقال لقد ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة •• وقال له يوماً ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون •• وقال أبو العيناء قال لي المنصور ما أحسن الجواب فقلت ما أسكت المبطل وحيَّر المحق •• وقيل لأبي العيناء ابراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم •• ورآه رزقان وهو يضاحك نصرانياً فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فقال أبو العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين •• وأخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيي الصولى قال أخبرنا أبو العيناء قال كان سبب اتصالى بأحمد بن أبي دؤاد انّ قوماً من أهل البصرة عادونى وادعوا علىّ دعاوى كثيرة منها إنى رافضي فاحتجت الى ان خرجت عن البصرة الى سر من رأى وألقيت نفسي على ابن أبى دؤاد وكنت نازلا فى داره أجالسه كل يوم وبلغ القوم خبرى فشخصوا نحوي الى سُر من رأى فقلت له القوم قد قدموا من البصرة يداً علىّ فقال يد الله فوق أيديهم فقلت ان لهم مكراً فقال ويمكرون ويمكر الله

والله خير الماكرين فقلت هم كثيرون قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقلت لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي

لِلّهِ دَرُّكَ أيُّ جُنَّةِ خائفٍ ومَتاعُ دُنيا أنتَ لِلحَدَثانِ
مُتَخَمِّطٌ تَطأُ الرِّجالَ غُلُبّهُ وَطْءَ الفَنيقِ دَوارِجَ القِرْدانِ
ويَكُبُّهُمْ حتّى كأنَّ رُؤُسَهُمْ مأمُومَةٌ تَنحطُّ لِلغِرْبانِ
ويُفَرِّجُ البابَ الشَّديدَ رِتاجُهُ حتّى يَصيرَ كأنّهُ بابانِ

وقال لابنه الوليد اكتب هذه الأبيات فكتبها بين يديه ‥ قال الصولي حفظي عن أبي العيناء الصموت الكلابي على انه رجل وقال وكيع حفظي انها للصموت الكلابية على انها امرأة ‥ ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأثنى عليه فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال والله ما استكثر كثيرك أيها الأمير ولا استقل قليلك قال وكيف ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك أكثر منه ولا استقل قليلك لانه أكثر من كثير غيرك ‥ وقال له عبيد الله بن يحيي بن خاقان يوماً اعذرني فاني مشغول فقال اذا فرغت لم أحتج اليك ‥ وقال له يوماً قد تبينت فيك الغضب يا أبا عبد الله فقال له قد أجلّ الله قدرك من غضبي انما يغضب الرجل على من دونه فأما على من فوقه فلا ولكن أحزنني تقصيرك فسميت حزني غضباً ‥ ويقال ان صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسلم ديناً وأكثرهم صلاة وصدقة فصار الى بابه أبو العيناء مرّات كثيرة بعقب اسلامه فحجب فقيل له هو مشغول في صلاته فقال أبو العيناء لكل جديد لذة ‥ ودخل يوماً الى أبي الصقر بن بلبل في وزراته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك عنّا فقال سرق حماري فقال وكيف سرق قال لم أكن مع الذى سرقه فأخبر بما كان قال هلا اكتريت أو استعرت أو اشتريت قال قعد بي عن الشراء نشبي وكرهت منّة العوارى وذلة المكارى فوهب له حماراً ووصله ‥ وأدناه أبو الصقر يوماً ورفعه فقال تدنيني حتى كأني بعضك وتبعدني حتى كأني ضدك ‥ وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان وقد رفعه أيضاً الى كم ترفعني ولا ترفع بي رأساً ‥ وقال له يوماً وقد سأله عن حاله أنا معك مغبوط الظاهر

محروم الباطن •• ويقال ان أبا علىّ البصير قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة فى أي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال أبو علىّ لذلك خرجت شحاذاً سائلاً لأنه الوقت الذي يستثير فيه السؤّال •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثني أبو العيناء قال ما رأيت قط أحسن شاهداً عند حاجة من ابن عائشة قال له يوماً كان أبو عمرو المخزومي يصلك ثم جفاك فقال

فإنْ تنأَ عنَّا لاَ تَضِرْنا وإنْ تَعُدْ ... تجدْنا علي العَهدِ الذي كُنتَ تعلمُ

وقال والله لا أدرى لمن هذا البيت فقلت ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال

تَصرَّمَ منّي وُدُّ بَكْرِ بنِ وائلٍ ... وماخلتُ دَهري وُدَّهُمْ يتَصرَّمُ

قَوَارِصُ تأْتيني فيَحتقِرُونها ... وقدْ يملأُ القطرُ الإِناءَ فيُفعَمُ

وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء العجلي يجيبه

لقدْ بوَّأَتكَ الدَّارَ بَكرُبنُ وائلٍ ... ورَدَّتْ لكَ الأَحشاءَ إِذْأنتَ مُجرِمُ

لَيالي تمنّى أنْ تكونَ حَمامةً ... بمكّةَ يَغشاها الشتّا والمُحرَّمُ

فإنْ تنأَ عنَّا لاَ تَضِرْنا وإنْ تعُدْ ... تجدْنا علي العَهدِ الذي كُنتَ تعلمُ

فقال ابن عائشة أنت والله يا بني ممن ستصدق فى العلم مخائله وتكثر عليه دلائله ••وقال أبو العيناء يوماً لأبي الصقر بن بلبل وهو زائر أنت والله تقرب منّا اذا احتجنا اليك وتبعد منّا اذا احتجت الينا •• [قال المرتضي] رضى الله عنه وهذا يشبه قول ابراهيم بن العباس الصولى

ولكنَّ الجَوادَ أبا هِشامٍ ... وَفيُّ العَهدِ مأْمونَ المَغيبِ

بَطيٌّ عنكَ ما استَغنَيتَ عنهُ ... وطَلاَّعٌ عليكَ منَ الخُطوبِ

ولعله مأخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا فى زمان واحد فى بعض الأوقات فان أبا العيناء بقى بعد ابراهيم زماناً طويلاً لأن ابراهيم توفي في سنة ثلاث وأربعين

ومائتين وأبا العيناء سنة اثنين أو ثلاث وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله لأبي الصقر في وزارته وكانت بعد وفات ابراهيم بن العباس الصولي بزمان طويل ٠٠ ويشبه بيتا ابراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر

وليسَ أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذي ... يذمُّكَ إنْ ولَّى ويرضيكَ مقبلا

ولكنَّهُ النائي اذا كنتَ آمناً ... وصاحبكَ الأدنى اذا الأمرُ أعضلا

ولابراهيم بن العباس مايقارب هذا المعنى أيضاً وهو

أسدٌ ضارٍ اذا هيَّجتَهُ ... وأبٌ برٌّ اذا ما قدرا

يَعلمُ الأبعدُ إنْ أثرى ولا ... يعلمُ الأدنى إذا ما افتقرا

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول الفقعسي

إذا افتقرَ المرّارُ لمْ يُرَ فقرُهُ ... وإنْ أيسرَ المرّارُ أيسرَ صاحبه

ومما يشبه قول أبي العيناء بعينه قول ابراهيم بن العباس أيضاً

فتى غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقهِ ... ولا مُظهرِ البلوى إذا النعلُ زلَّتِ

رأى خلَّتي من حيثُ يخفى مكانُها ... فكانتْ قذى عينيهِ حتى تجلَّتِ

٠٠ وقال المتنخل الهذلي

أبو مالكٍ قاصرٌ فقرَهُ ... على نفسهِ ومُشيعٌ غناهُ

وهذا البيت الذي رويناه للهذلي من جملة أبيات يرثي بها المتنخل أباه وقيل يرثي أخاه

لعمرُكَ ما إنْ أبو مالكٍ ... بوانٍ ولا بضعيفٍ قُواه (١)

---

(١) قوله ما إن أبو مالك يورده النحويون على ان الباء تزاد بعد ما النافية المكفوفة بان اتفاقاً وهذا يدل على انه لا اختصاص لزيادة الباء في خبر ما الحجازية ٠٠ وقوله لعمرك ما إن أبو مالك الخ اللام لام الابتداء وفائدتها توكيد مضمون الجملة وعمرك بالفتح بمعنى حياتك مبتدأ خبره محذوف أي قسمي وجملة ما إن أبو مالك جواب القسم ٠٠ وأبو مالك

ولاَ بألَدَّ لهُ نازِعٌ يُغازِي أخاهُ إذَا ما نَهاه

فمعنى ـ نازع ـ أى خلق سوء ـ ويغازي ـ أى يلاحي ويشارُّ

ولـكِنَّهُ هيّنٌ لَيّنٌ كعالِيةِ الرُّمحِ عَرْدُ نَساه(١)

ـ العرد ـ الشديد يقال وترٌ عردٌ وعرندٌ بالنون أي شديد ـ والنّسا ـ عرق معروف

اذَا سُدْتَهُ سُدْتَ مِطْواعةً ومَهْما وكَلْتَ اليهِ كَفَاه

معنى ـ سدته ـ من المساودة التى هي المساررة والسواد هو السرار أيضاً كأنه قال اذا ساررته طاوعك وساعدك .. وقال قوم انه من السيادة فكأنه قال اذا كنت فوقه سيداً له أطاعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيئاً كفاك وقوم ينشدونه اذا سسته سست مطواعة

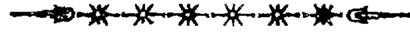
هو أبو الشاعر واسمه عويمر لأن المتنخل اسمه مالك بن عويمر ولم يصب ابن قتيبة فى كتاب الشعراء فى زعمه انه يرثى أخاه أبا مالك عويمرا ـ ووان ـ اسم فاعل من ونِي ونياً ونيا من باب تعب ووعد بمعنى ضعف وفتر وروى بدله واه وهو أيضاً اسم فاعل من وهي من باب وعد بمعنى ضعف وسقط ـ والقوى ـ جمع قوة خلاف الضعف .. قال فى الصحاح ورجل شديد القوى أي شديد أسر الخلق يريد ان أباه كان جلداً شهماً لايكل أمره الى أحد ولا يؤخره لعجزه الي وقت آخر

(١) قوله كعالية الرمح الخ ـ عالية الرمح ـ ما دخل فى السنان الى ثلثه .. ومعنى كونه ليناً كعالية الرمح انه اذا دعي أجاب بسرعة كعالية الرمح فانه اذا هز الرمح اضطرب واهتز للينه بخلافه من الأخشاب فانه لا يتحرك طرفها اذا هزت لصلابتها ويبسها .. وقوله عرد نساه ـ العرد ـ بفتح العين وسكون الراء المهملتين الشديد والضمير لأبى مالك ـ والنسا ـ .. قال الأصمعي بالفتح مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر فاذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النّسا بينهما واستبان واذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفى النّسا واذا قالوا انه لشديد النّسا فانما يراد به النّسا نفسه .. وقال السكري أراد غليظ موضع النّسا

ولم أجد ذلك في رواية (١)

ألاَ مَنْ يُنادِي أباما لِكٍ أَفي أمرِ ناهُوَ أمْ في سِوَاه

أبو ما لِكٍ قاصِرٌ فقْرَهُ علي نفسهِ ومُشيعٌ غِنَاه



مجلس آخر ٢٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالي (سأصرفُ عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وان يروا كلَّ آيةٍ لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً) الى غافلين .. فقال ماالجواب عن هذه الآية على ما يطابق العدل فان ظاهرها كأنه نخالف .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأناه فيها ومنها ماسبقنا به فحررناه واخترنا فيه من المطاعن وأجبنا عمَّا لعله يعترض فيه من الشبهة . أولها أن يكون عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر فى الآيات وعن العز والكرامة الذين يستحقهما من أدى الواجب عليه في آيات الله وأدلته وتمسك بها والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات

(١) قوله ولم أجد ذلك فى رواية قات هذه الرواية التى لم يرها المؤلف أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة فى مختار أشعار القبائل ــ وسسته ــ من سست الرعية سياسة ــ والمطواع ــ الكثير الطوع أى الانقياد والتاء لتأكيد المبالغة وعلى هذا التفسير اقتصر السكري وهذا البيت يروى للمتنخل كما تقدم ورواه فى مختار أشعار القبائل لذى الأصبع العدوانى مع بيتين آخرين وهما

وما إن أسيد أبو مالك بوان ولا بضعيف قواه

ولكنه هينٌ لينٌ كعالية الرمح عرد نساه

فان سسته سست مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه

وأسيد ــ بفتح الهمزة وكسر السين المهملة

الأنبياء خاصة وهذا التأويل يطابق الظاهر لأنه تعالى قال ﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ فبين ان صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلاّ بما ذكرناه •• وثانيها انه أراد أن يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الحجة لما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات واذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لايؤمنون عنها ويكون الصرف على أحد وجهين إمّا بأن لايظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم •• فاذا قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها • قلنا الفرق بينهما ان المعجز الأول يجب اظهاره لإزالة العلة في التكليف ولانا به نعلم صدق الرسول المؤدّي الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فاذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والإلطاف لتزاح العلة وكان لا سبيل الى معرفتها على الوجه الذي يكون عليه لطفاً إلاّ من قبل الرسول وكان لاسبيل الى العلم بكونه رسولاً إلاّ من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع واظهار المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث اليهم الرسول أو بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين أن لا يعلم ذلك في وجوب البعثة وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذى لا فرق في حسنه بين ان يقع عنده الايمان أو لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهره من المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها لانه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في اظهارها فائدة وكانت عبثاً فافترق الأمران •• فان قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ ومعلومٌ أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك • • قلنا يمكن أن يكون قوله تعالي ﴿ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ لم يرد به تعليل قوله تعالى سأصرف بل يكون كالتعليل لما هو أقرب اليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى ﴿ وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ﴾ لأن من كذب بآيات الله وعدل عن تأملها والاهتداء

بنورها ركب النبي واتخذه سبيلاً وحاد عن الرشد وضل ضلالاً بعيداً ورجوع لفظة ذلك الي ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله سأصرف لان رجوع اللفظ فى اللغة الى أقرب المذكورين اليه أولى ‥ ويمكن أن يكون قوله تعالى كذبوا بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوماً منهم لو أظهرت لهم الآيات جعل كأنه قال ذلك بانه متي أظهرنا لهم آياتنا كذبوا ويجرى ما ذكرناه أولا مجرى قوله تعالى ﴿ ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة ﴾ فى انه بلفظ الماضى والمعنى الاستقبال ‥ وثالثها أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوتيها من هذه صفته واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظتين تفيد معنىً واحداً ‥ وليس لأحد أن يقول هل لا قال سأصرف آياتى عن الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات التى تختص بها الأنبياء ‥ فان قيل فأي فائدة فى قوله على سبيل التعليل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وأي معني لتخصيصه الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وهل لاتؤتى الآيات والمعجزات إلاّ الأنبياء دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر ‥ قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من كذب بآيات الله لا يؤتي معجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب ويمنع من ايتائه الآيات علة أخرى والتكبر والبغي بغير الحق مانع من إتيان الآيات وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول القائل أنا لا أود فلاناً لغدره ولا يلزم اذا لم يكن غادراً أن يودّه لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجري مجرى السبب وأن يكون بعض الجهال اعتقد في ذلك الوقت جواز ظهور المعجزات على يد الكفار فأكذبهم الله تعالى بذلك ‥ ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التى يجعلها الله تعالى فى قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تأول أهل الحق الطبع والختم الذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ويكون سأصرف عنها أى أعدل بها عنهم وأخص بها المؤمنين المصدقين بآياتى وأنبيائى وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا

عنها غافلين) فيكون صرفهم عن هذه الآيات كالمستحسن لتكذيبهم واعراضهم عن آياته تعالى ٠٠ وخامسها أن يريد تعالى إني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض فى البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فتكون الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التى يحملها الرسل والصرف وان كان متعلقاً فى الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها مما هو يتعلق بها فاذا ساغ أن يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن يعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحجة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) راجعاً الى ما صرف بل يرد الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) على ما بيناه في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية ٠٠ وسادسها أن يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شيء فجائز أن يقول صرفه عنه كما يقال أكفره وكذبه وفسقه وكما قال عز من قائل (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) أى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) لان الحكم عليهم بما ذكرنا من التسمية يوجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله واعراضهم عنها ٠٠ وسابعها انه تعالى علم ان الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق سيصرفون عن النظر فى آياته والايمان بها اذا أظهرها على أيدى رسله جاز أن يقول سأصرف عن آياتى فيريد سأظهر ما ينصرفون بغير اختيارهم عنه ويجرى ذلك مجرى قولهم سأبخل فلاناً وأخطئه أى أسأله ما يبخل ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى إنى أفعل فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه جائز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى وجائز أن تكون جميع الأدلة ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) غير راجع الى قوله تعالى سأصرف بل الى ماقدمنا ذكره لتصح الفائدة ٠٠ وثامنها أن يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الآيات والحجج

والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججاً فيكون تقدير الكلام إني بما أؤيد من حججي وأحكمه من آياتي وبيناتي صارف للمكذبين المبطلين عن القدح في الآيات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هـذا الإحكام والتأييد يعترضونه ويغتنمونه من تمويههم الحق ولبسه بالباطل ويجري هذا مجرى قول أحدنا قد منع فلاناً أعداءه بأفعاله الكريمة وطرائقه الممدوحة وأخلاقه المهذبة وصرفهـم عن ذمه وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى الذي ذكرناه .. فان قيـل أليس في المبطلين من طعن على آيات الله وأورد الشبهة فيها مع ذلك .. قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر وانما أراد ما قدمناه وقد يكون الشيء في نفسه مطعوناً عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريًّا من الطعن وان طعن فيه بما لم يؤثر فيه ألا ترى ان قولهم فلان قد أخرس أعداءه من ذمه وليس يراد بانه منعهم عن التلفظ بالذم وانما المعنى انه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالا ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا يرجع الي ما قبله فلا فصل ولا يرجع الى قوله سأصرف .. وتاسعها ان الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمته إهلاك عدوهم قال (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) وأراد عز وجل أن يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشّر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى اذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقـد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات أهله وهـذا الوجه يمكن أن يقال فيـه ان العقوبة لا تكون إلاّ مضادة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد أن يكون مقترنا بالتبجيل والتعظيم وإماتة الله تعالى للأمم وما يفعله من بوارٍ واهـلاك لا يقترن اليـه مالا بد أن يكون مقـترناً الى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن أن يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع أن يضم الله الى ما يفعـله بهؤلاء الكفار المتجبرين مـن الاهلاك اللعن والذم والاستخفاف ويأمرنا باهلاكهم

وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ويضيف الله تعالى ذلك اليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه .. فان قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ يتكبرون فى الأرض بغير الحق ﴾ كأن فى التكبر مايكون بالحق .. قلنا فى هذا وجهان . أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان على أن التكبر لايكون إلاّ بغير الحق وان هذه صفة له لازمة غير مفارقة ويجرى ذلك مجري قوله تعالى ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لابرهان له به ﴾ وقوله تعالي ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ﴾ ولم يرد تعالي الا المعنى الذى ذكرناه ومثله قوله تعالى ﴿ ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ﴾ ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل أراد به تأكيد القول بان كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالاضافة اليها ويكون المتعوض عنها مغبوناً مبخوساً خاسر الصفقة . والوجه الآخر ان في التكبر مايكون ممدوحاً بان من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد عن فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح سالكا لطريق الحق والتكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله اليه وأرشد الى الثواب المستحق عليه ويستحق بذلك الذم والمقت ولهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق فى قوله تعالى في هذه السورة ﴿ قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق ﴾ يحتمل أيضاً هذين الوجهين الذين ذكرناهما فان أريد به البغي المكروه الذى هو الظلم وما أشبهه كان قوله بغير الحق تأكيداً وإخباراً عن انه بهذه صفته وان أريد بالبغي الطلب وذلك أصــل فى اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق .. فان قيل فما معني قوله تعالى ﴿ وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ﴾ وهل الرؤية ههنا العلم والادراك بالبصر وهب انها يمكن أن تكون فى قوله تعالى ﴿ وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ محمولة على رؤية البصر لأن الآيات والأدلة مما تشاهد كيف نحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشــد انما هي طريقه ولا يصح أن يرجع بها الى المذاهب والاعتقادات التى لايجوز عليها رؤية البصر فلا بد اذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشد

لا يجوز أن ينصرف عنــه الى طريق الغي لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك •• قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه • أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكور في الآية هي الأدلة والآيات لانها ممـا يدركه البصر ويسـمي سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هو الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغلون فى الدين فيوقعوا بها الشبهة على أهـل الايمان وتسمي بانها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر بأهلها انه يصـير الى الغي • والوجه الثاني أن يكون المراد بالرؤية العلم إلاّ أن العلم لا يتناول كونها سبيلا للرشـد وكونها سبيلا للغي بل يتناولها لا من هـذا الوجه ألا ترى ان كثيراً من المبطلين يعلمون مذاهب أهـل الحق واعتقاداتهم وحججهم إلاّ أنهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الى الحق فيتجنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهـم الباطلة إلاّ أنهـم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشـبه فيصيرون اليها وعلى هـذا الوجه لا يجب أن يكون الله تعالى وصفهم بالغي وترك الحق مع العلم به • والوجه الثالث أن يكونوا عالمين بسبيل الرشد والغي ومميزين بينهما إلاّ أنهم للميل الى أعراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشـبهات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما أخـبر الله سبحانه عن كثير من أهل الكتاب لانهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه •• فان قيل فما معنى قوله تعالى (ذلك بأنهـم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) والتكذيب لا يكون فى الحقيقة الاّ فى الأخبار دون غـيرها •• قلنا التكذيب قد يطلق على الأخبار وغـيرها ألا ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا وكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصـدق بكذا وكذا اذا كان يعتقد صحتــه ولو صرفنا التكذيب ههنا الي أخبار الله تعالى التى تضمنتها كتبه الواردة على أيدى رسله جاز فتكون الآيات ههنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات •• فان قيل فما معنى ذمه تعالى (ذلك بأنهم كانوا عن آياتنا غافلين) والغفلة على مذهبكم من فعله لانها السـهو وما جرى مجراه مما ينافى العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك ••قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه لاالحقيقة

ووجه التشبيه انهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهياً غافلا عنها فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى (صمٌّ بكمٌ عميٌ) على هذا المعنى ولهذا يقول الانسان لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التأمل والتبين أنت ميت وراقد لا تبصر ولا تسمع وما أشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله وكرمه واحسانه

﴿ تم الجزء الأول ولله الحمد من كتاب أمالي السيد المرتضى ﴾

﴿ ويليه الجزء الثاني وأوله تأويل خبر ان سأل سائل الخ .. ﴾

(والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

﴿ فهرس الجزء الاول من كتاب أمالي السيد المرتضى ﴾

(تم الفهرس)